جامعـــــــة دمشـــــق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

شعر الثورات السياسية في العراق

من بداية الدولة العباسية حتى نهاية ثورة الزَّنج

" أطروحة أعدت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها "

إعداد الطالب

بسام البردان

إشراف الدكتورة

سميرة سلامي

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م

الإهـداء

إلى الـتي ظلّـت في سمـائي رمـزاً للعصـامية والكفـاح

فحملـت قنـديل عمرهـا لتـنير بـه لنـا طريـق النجـاح

إلى من شـاركتني في لقاء العاصفة ، فشدّت من عزمي

وأحيـت مـن جلـدي ، وارتفعـت بنـا فـوق الآلام . .

وإلى الـذين سـاهموا معنـا في تحقيـق الأحـلام . .

فأسّسوا باجتهادهم وتفوّقهم مؤسّسة المحبّة والوئام . .

إلى زوجـتي وأولادي أهـدي هـذا العمـل ،،،

بسّام ،،،،

كلمة شكر

يقف الإنسان ممتثلاً أمام واجب إسناد الفضل لأهله ، فيسعى إلى مكافأة صاحب الفضل على ما قدم ، ولكن حسب استطاعته وإمكاناته .

وانطلاقاً من ذلك فإنني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ **الدكتور عبداللطيف عمران** على أياديه البيضاء التي أحاطت هذا البحث في جميع مراحله ، فقد كان أستاذاً وأخاً وصديقاً قدم الكثير من المساعدة والتوجيه في سبيل إنجاز هذا البحث ، ولا أخفي أنني أغبطه على هذه الروح المتفانية في خدمة العلم والمتعلمين ، فجزاه الله خيراً وأسبغ عليه من فضله ونعمه .

كما أتقدم بخالص شكري ، وعظيم امتناني إلى **الدكتورة سميرة سلامي** التي أشرفت على هذا البحث ، فأعطته من علمها ما جعله يرتقي إلى هذا المستوى ، وصبغته بإنسانيتها الجليلة ، فمنحت له من وقتها مساحة واسعة وصلت إلى حد الألم ، فالشكر كل الشكر لهذه الأستاذة الإنسانة .

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى **الأستاذ الدكتور محمود الربداوي** الذي أضاء لي الطريق في خطواتي الأولى في هذا البحث ، وشجعني وشدّ على يدي وأرشدني فكان منهلاً أرده كل حين ولا أزال .

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى **الأستاذ الدكتور علي أبو زيد** ، وكيل جامعة دمشق ، على ما قدم من مساعدة وعون عند تسجيل هذا البحث ، وأدعو له الله أن يوفّقه في خدمة العلم وطلابه.

وكذلك فإنني أشكر الأساتذة الأفاضل **أعضاء لجنة الحكم** على وقتهم الذي أعطوه لقراءة هذا البحث ، وأعدهم بالامتثال لما سيقدمونه من توجيه وملاحظات .

وإنني لأتقدم بالشكر إلى **مكتبة الملك عبد العزيز العامة** في عاصمة المملكة العربية السعودية ، إدارة وموظفين ، على ما قدموه لي من تسهيلات في سبيل إنجاز هذا البحث ، فجزاهم الله خيراً ، ونفع بهم طلاب العلم ومحبّيه .

والشكر موصول إلى زملائي الأفاضل الذين مدوا لي يد العون والمساعدة كي أنجز هذا البحث وأقدمه ، وأخص بالشكر **الأخ الدكتور شلاش قداح** ، **والأخ الأستاذ رمضان أيوب** ، اللذين غمراني بفضلهما فمنحاني من وقتهما ما ساعدني على الوصول إلى خط النهاية .

ولايسعني في هذه الطبعة المعدّلة - التي أنجزت بعد جلسة المناقشة – إلاّ أن أتقدّم بخالص شكري وعظيم امتناني إلى الأستاذ الدكتور خالد الحلبوني،عضو لجنة الحكم،على ماقدّمه لي من توجيهات وملاحظات اتسمت بالدّقة،وسعة العلم،وغزارة الاطّلاع.فقد استفدتُ منها فائدةً عظيمةً جعلتِ البحثَ يتخلّص من جلّ عثراته وأخطائه.فله منّي كلّ المحبّة،وجزيل الشكر،وعظيم التقدير. **والله عنده حسن الثواب**

الباحث

مخطط البحث

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الفصل الثالث

دلالات شعر الثورات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الفصل الرابع
الخصائص الفنية لشعر الثورات

المقدمة

موضوع هذه الدراسة ((شعر الثورات السياسية في العراق ، من بداية الدولة العباسية حتى نهاية ثورة الزنج)) . وقد كانت هناك مجموعة أسباب دعت إلى دراسة هذا الموضوع . فشعر الثورات ظاهرة أدبية ارتبطت بحياة الناس والمجتمع على اختلاف طبقاته ، كما أنه يبين لنا بعض جوانب الحياة العربية في تاريخنا القديم ، وهو بعد هذا يلقي ضوءاً على الحالة النفسية للأفراد والجماعات ، ويكشف عما ساد الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية من مظاهر التجديد والتطور والفساد والتأخر . ثم إن شعر الثورات في هذه المرحلة من العصر العباسي لم يبحث بحثاً جامعياً مستقلا يستوفي اتجاهاته ودلالاته وخصائصه .صحيح أن بعضاً من الباحثين تناولوا أبحاثاً في الأدب والسياسة في العصر العباسي ، ولكنهم لم يعرضوا شعر الثورات بالشكل الذي أردناه له من حيث وحدة الدراسة الموضوعية والفنية .

وقد أردت من هذه الدراسة أن تحقق الغايات التالية :

١- أن تكون مرجعاً جامعاً لدراسة شعر الثورات ، يقدّم للباحثين في هذا الميدان معلومات قد يحتاجون إليها.

٢- أن تكون مرجعاً لكشف الحقائق عن الأوضاع السياسية في العصر العباسي ، ولا سيما المتصلة بالثورات ، وموقف السلطة الحاكمة منها .

٣- أن تعكس صورة حقيقية عن هذه الثورات ،فتبيّن دوافعها السياسية والاجتماعية،وتميط اللثام عن الثورات التي كانت تسعى إلى السلطة ليس غير كثورتي :الزّطّ والزّنج.

وأخيراً فإن شعر الثورات أسهم في الكشف عما أصاب الأوضاع السياسية من فساد وشرور ، في هذه المرحلة المضطربة من الحياة العباسية ، فدعا دعوة مباشرة وغير مباشرة إلى رفض هذا الواقع ، وشجع على التغيير والإصلاح ، وبذلك كانت لهذا الموضوع أهميته في إطار الدراسات الأدبية .

وإذا كانت هذه الرسالة دراسة موضوعية وفنية لشعر الثورات ، فقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى خمسة فصول ، خصصت الأول منها لدراسة الثورات ودوافعها الفكرية والاجتماعية ، وتناولت في الفصل الثاني الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات ، ورأيت أن أقدم بين يدي هذه الاتجاهات المختلفة - بإيجاز – ما يوضح الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية المؤثرة فيها ، وفي حدود ما يتطلبه الموضوع .

وعرضت في الفصل الثالث دلالات شعر الثورات : السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، ثم جعلت الفصل الرابع للحديث عن الخصائص الفنية لشعر الثورات ، من حيث اللغة والموسيقى والصورة الشعرية والبناء العام للقصيدة ، ثم أفردت فصلاً خاصاً شمل النصوص الكاملة لشعر الثورات .

وينبغي أن أشير هنا إلى أنني حرصت ما وسعني الحرص على أن تكون نماذج الشعر التي تمثلت بها مما قيل في الثورات ،وذلك من خلال معرفة المناسبة التي قيل فيها النص ، وكذلك تعدد المصادر التي ذكرت هذه الأشعار في كثير من الأحيان . وأكاد أجزم بأن جميع النصوص التي تمثل بها هذا البحث هي مما قيل في الثورات المدروسة ، وبذلك تكون هذه الدراسة قد أسهمت في تقديم صورة من صور الحياة العامة في العصر العباسي من خلال النصوص الشعرية .

والدراسات الحديثة المتصلة بهذا الموضوع كثيرة .... تميز بعضها بمنهجه التاريخي الصرف ، بينما درس بعضها الآخر موضوعه دراسة أدبية معتمدة على التاريخ . ولعل من أبرز هذه الدراسات كتابَيْ : " ثورة الزنج " للدكتور فيصل السامر ، و "ثورة الزنج وقائدها علي بن محمّد " لأحمد علبي ،وقد كان لهذين البحثين فضل إنارة الطريق وتمهيده أمام بعض مراحل بحثنا ، وإن كنتُ قد خالفتُ الباحثَين الرائدَين في بعض آرائهما وأحكامها ، وعرض الدكتور إبراهيم الخواجة في دراسته " شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري " لبعض الثورات بإيجاز وفي حدود ما يسمح به بحثه . ودرس الدكتور شوقي ضيف ثورة الزنج في كتابه " العصر العباسي الثاني " وقد كانت دراسة غنية الفائدة ، لكنها كانت موجزة بحكم كونها جزءاً من بحوث متشعبة الأطراف والمقاصد . كما كانت هنالك مجموعة من الدراسات ذات الصلة ببحثنا هذا ، وهي " أدب الخوارج " للدكتورة

سهير القلماوي ، و " الأدب في ظل الخلافة العباسية " للدكتور علي جميل مهنا ، و " رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية " للدكتور مصطفى الشكعة ، و " شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة " للدكتور زكي محاسني ، و " العلاقات بين العلويين والعباسيين " للدكتور عبد العزيز اللميلم . فقد عرض أصحاب هذه الدراسات لبعض أشعار الثورات وأخبارها .

وتتصل بهذا البحث دراسات جامعية ، منها : " شعر السخط على الحياة السياسية في العصر العباسي الثاني ٢٣٢ – ٣٣٤ هـ " لسايح جنيدي ، و " انعكاس الفكر السياسي على الأدب العربي في العصر العباسي " لعبد الرزاق أيوب ، و " الأدب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث " لعبد الكريم عبود . وهذه الدراسات إما أن تتناول بعض الثورات ضمن دائرة بحث واسعة الموضوعات فلا يتأتى لها دراستها دراسة مستقصية محددة المعالم ، وإما أن تعرض لبعضها عرضاً سريعاً موجزاً لا يروي عطش الظامئ المحب لمعرفة المزيد عن هذه الثورات ونتاجها الشعري .

واختصت بعض الدراسات الحديثة ببعض أعلام الشعر وأشهرهم في العصر العباسي ، وأبرز هذه الدراسات : " شعر أبي فراس الحمداني – دلالاته وخصائصه الفنية – " للأستاذ الدكتور عبد اللطيف عمران ، وهي من أوفى الدراسات وأعمقها بحثاً وأغناها قيمة ، وقد كانت لها على هذا البحث أكثر من يد .

وأفاد البحث من بعض الدراسات النقدية التي كان للشعر موقعه فيها كما في كتاب " أسس النقد الأدبي عند العرب " للدكتور أحمد أحمد بدوي ، و " الأسس النفسية للإبداع الفني " للدكتور مصطفى سويف ، و " بناء القصيدة " ليوسف بكار ، و " التفسير النفسي للأدب " للدكتور عز الدين إسماعيل ، و " دراسات فنية في الأدب العربي " للدكتور عبد الكريم اليافي ، و " ثقافة الناقد الأدبي " للدكتور محمد النويهي .

ومصادر البحث ومراجعه كثيرة جداً ، وكانت المصادر التاريخية التي قيدت لنا أحداث الثورات ، وحددت تواريخها ، وسجلت ما قيل فيها من شعر دعت إليه الأحداث السياسية المضطربة ، بالإضافة إلى دواوين بعض الشعراء ، كانت جميعها المنهل الأول الذي استقيتُ منه مادة البحث الأساسية . وأبرز دواوين الشعراء التي اعتمدتُ عليها في دراستي

ديوان ابن الرومي ، وديوان ابن المعتــز ، وديوان مسلم بن الوليد . أما المصادر التاريخيـــة فهي : تاريخ الرسل والملوك للطبري ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، ومروج الـــذهب ، والتنبيه والإشراف للمسعودي ، وتاريخ الموصل للأزدي ، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي .

وانتفع البحث كثيراً بكتب التراجم والسير شعراً وأخباراً وأحداثاً ، ومنها : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، ومعجم البلدان ليـــاقوت الحمـــوي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، ومقاتل الطالبيين للأصفهاني ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وطبقات فحول الشعراء للجمحي .

أما كتب النقد والبلاغة فلها على جوانب البحث الفنية والشكلية فضل كـــبير ، إذ أمدتني بكثير من الآراء والأحكام والتعريفات ذات الصلة بهذا البحث ، وأشـــهرها : نقـــد الشعر لقدامة بن جعفر ، عيار الشعر لابن طباطبا ، الموازنة للآمدي ، كتـــاب الـــصناعتين للعسكري ، العمدة لابن رشيق ، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني .

والمراجع الحديثة التي أفاد منها البحث كثيرة . فقد وقفتُ في الناحية السياسية على مجموعة دراسات أبرزها : أدب السياسة في العصر الأموي للدكتور أحمد الحوفي ، والعامل السياسي في أدب العصر العباسي الأول لأحمد الشايب ، والعصر العباسي الأول لعبد العزيز الدوري ، والحركات السرية في الإسلام لمحمود إسماعيل .

واستعان البحث في دراسة الجوانب الاجتماعية بدراسات عدة منها : الاغتـــراب في الشعر العباسي للدكتورة سميرة سلامي ، والبؤساء في عصر الإسلام لمحمود كامل فريـــد ، والشعر والحياة العامة لـــ (م . روزنتال) ، والشعر وطوابعه الشعبية على مـــر العـــصور للدكتور شوقي ضيف ، والفن والحياة الاجتماعية لشارل لالو ، والمجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط لإبراهيم حركات .

وفي مجال تحديد دوافع الثورات ومنطلقاتها رجعنا إلى دراســـات كـــثيرة أبرزهـــا : حركات الشيعة المتطرفين لمحمد جابر عبد العال ، والخوارج في العصر الأموي لنايف محمود

معروف ، والخوارج والشيعة ليوليوس فلهوزن ، والتشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول لمحسن غياض .

وأملت علي طبيعة البحث التوجه إلى النقد الحديث ، أستخلص منه مفهوماً للصورة الفنية كي يكون لي الضوء الذي أتبين به معالم الإبداع والفن في شعر الثورات ، ذلك لأن الصورة الفنية قد احتلت ، بعد أن كشفت الدراسات دورها في الشعر ، مكان الصدارة في هذا النقد . ومن المراجع الأدبية والفنية التي عني بها البحث : الصورة الأدبية لمصطفى ناصيف ، واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني لمصطفى هدارة ، وموسيقى الشعر لإبراهيم أنيس ، وأوزان الشعر وقوافيه للدكتور محمد أبو الفتوح شريف ، والصورة الفنية في التراث النقدي للدكتور جابر عصفور ، والصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد للدكتور عبد الله التطاوي ، وفن الحياة فن الكتابة للدكتور أسعد علي ، والمعنى الشعري في التراث النقدي لحسن طبل .

أما المنهج الذي اتبعته في هذا البحث فهو المنهج التكاملي الذي يفيد من معطيات المناهج جميعها : التاريخي ، والاجتماعي ، واللغوي ، والبنيوي ، والنفسي ، والتحليلي .

وبعد ... فأرجو أن يكون لهذه الدراسة بعض النفع ، وتأخذ مكانها بين الدراسات الأدبية ، ، وإذا لم تبلغ هذه الدراسة مرتبة الكمال ، فحسبي أني قد نشدتها .

والله ولي التوفيق ،،،

الفصل الأوّل

الثّورات السّياسيّة ودوافعها الفكريّة والاجتماعيّة

أوّلاً–ثورات الشّيعة " الطّالبيّين " في العراق .

ثانياً–ثورات الخوارج في الموصل وضواحي البصرة وسواد العراق .

ثالثاً–ثورة يعقوب بن اللّيث الصّفّار حين دخل العراق .

رابعاً–ثورة الزُّطّ وموقفها من النّظام والسّلطة .

خامساً–ثورة الزّنْج والدّعوة إلى تحرير الإنسان .

أولاً: ثورات الشّيعة "الطالبيين" في العراق:

اتخذ الطالبيون موقفاً عدائيا تجاه الخلافة العبّاسية، استمراراً لموقفهم السابق من الأمويين، لاعتقادهم بأن العبّاسيين قد خدعوهم فسلبوهم حقّاً، كان من المفروض أن يؤول إليهم، لأنهم أولى وأحقّ به منهم لقرابتهم القريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلاّ أن نظرة الطالبيين العدائية للحكم العبّاسي لم تكن واحدة، فالفرع الحسني برئاسة عبدالله بن الحسن، كان أشدّ عداوة، وتعلّقاً لطلب الخلافة، أما الفرع الحسيني الذي يتزعمه جعفر الصادق، فإنه مال إلى الهدوء والسكينة، وعزف عن المطالبة بالخلافة، ناصحاً أتباعه بعدم شهر السلاح، لأن الظروف السياسية غير مواتية للقيام بمثل هذا العمل.

وبناءً على ما تقدّم فإنه ينبغي لي قبل أن أتحدث عن ثورات الطالبيين التي قامت ضدّ الخلافة العبّاسية، أن أبيّن طبيعة العلاقة بين العباسيين والطالبيين، تلك العلاقة التي جعلت الطالبيين يقفون من السلطة العبّاسية موقفاً عدائياً ظهر من خلاله مذهبهم السياسي و الديني.

بدأت العلاقة السياسية بين العباسيين و الطالبيين عندما عقد الطرفان مؤتمر الأبواء [١]، وذلك في سنة ١٢٧ هـ. حين اضطرب أمر بني أميّة بعد مقتل الوليد بن يزيد، وكان الهدف من الاجتماع مناقشة الوضع السياسي المتدهور للدّولة الأمويّة، والاتّفاق على شخصية يبايعونها، بعد أن أصبحت الدلائل تنبيء بقرب نهاية الأمويين.

وكان من دعا لهذا المؤتمر هو عبدالله بن الحسن، لكي يبايعوا لابنه محمد بالخلافة، إلاّ أن المؤرخين اختلفوا في ذكر وقائع هذا المؤتمروأشخاصه و مقرراته النهائية، ويبدو أن المجتمعين لم يستجيبوا لطلب عبدالله بن الحسن، حينما دعاهم بالبيعة لابنه، فانفضّ الاجتماع دون اتخاذ قرار معيّن. [٢]

---

[١] الأبواء: قرية بين مكة و المدينة، وبها قبر آمنة بنت وهب والدة الرسول (ص). (معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م، ج١/ ص ٧٩)

[٢] انظر: مقاتل الطالبيين، للأصفهاني، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت: دار المعرفة، ص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٥٦، ٢٥٧، وانظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط ٤، ج ٧/ ص ٥١٧، وانظر: الفخري في الآداب السلطانية، ابن الطقطقي، تحقيق: عبد القادر مايو، حلب: دار القلم العربي، ١٩٩٧م، ص ١٦٢.

ومع هذا ظلّ الفرع الحسني يتطلّع إلى الخلافة [١]، وكان عبدالله بن حسن زعيم هـذه الدعوة، نظراً لمكانته السامية بين أفراد بيته [٢]، يعد بنيه ويمنيهم بالخلافة، ويحـثهم علـى السعي لها، وتحيّن الفرص لنيلها، وهذا واضح من كلامه لهم: " فليدع إلى أمره، وليجد فيه، فإن فرجنا بيد الله " [٣]، لذلك رفض محمد وإبراهيم إعلان بيعتهما للحكم الجديد، مما أثار تساؤلات الخليفة أبي العبّاس، إلاّ أنه لم يجد تعليلاً مقبولاً من أبيهما أو غيره حول امتناعهما عن الحضور إلى مقر الخلافة وإعلان بيعتهما، كما فعل أفراد البيت الهاشمي، واقتنع أخيراً، أنه لا جدوى من الاستمرار في الإلحاح بهذه المسألة. [٤]

وأدرك أبو العبّاس من خلال هذه المواقف، طموح آل حسن في الخلافة، وأحس بمـا يدور في كوامن نفوسهم من شعور عدائي إزاء الوضع الجديد، الذي خيّب آمالهم، وقضى على طموحهم، فحاول طيلة فترة حكمه، اتّباع سياسة اللّين معهم، وتجنّب كلّ مـا يـثير مشاعرهم، ورأى أنه من الحكمة استمالتهم بالأموال[٥]، وتحاشى الاصطدام بهم، لإعطـاء الفرصة للوضع الجديد من تثبيت أقدامه.

وبعد أن آلت الخلافة إلى المنصور، امتنع كل من محمد النفس الزكيّة وأخيه إبراهيم من إعلان بيعتهما له، ورفضا الاعتراف بخلافته، استمراراً لموقفهما السابق، وهذا مما دعـاه لأن يعاتب أباهما عليه [٦]، ومن هنا بدأت المشكلة بين الطرفين، تأخذ طريقهـا نحـو التعقيـد والاختلاف، وبدأ الشّك يتسـرب إلى قـلب المنصور تجاهـهم، وزاده اتّخاذ محمد لقب

---

[١] انظر : الطبري: ج٧/ ص ٥١٢ و ما بعدها، وانظر : مقاتل الطالبيين : ص ٢١١و ما بعدها.

[٢] انظر: مقاتل الطالبيين: ص ١٨٠، وانظر: المعارف، ابن قتيبة، تحقيق : الدكتور ثـروت عكاشـة، مـصر: دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٩م، ص ٢١٢

[٣] الطبري: ج٧ / ص ٥٣٩، البداية و النهاية، ابن كثير، تحقيق: د. عبدالله التركي، الرياض: دار عـالم الكتـب، ٢٠٠٣م، ج١٣/ ص ٣٥١.

[٤] تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، بيروت: دار بيروت، ١٩٨٠م، ج٢ / ص ٣٦٠. مقاتل الطالبيين: ص ١٧٤.

[٥] انظر : التاج في أخلاق الملوك، للجاحظ، تحقيق : أحمد زكي باشا، القاهرة : المطبعة الأميريـة، ط ١، ١٩١٤م، ص ٨١. وانظر : عيون الأخبار، ابن قتيبة، القاهرة : دار الكتب المصرية، ط ١، ١٩٢٥-١٩٣٠م، ج١ / ص٢١١.

[٦] الطبري: ج٧/ ص٥٢٤، العقد الفريد، ابن عبدربه، الطبعة الأزهرية/ ط١، ١٣٢١هـ، ج٣ / ص ٢٣.

" المهدي" [1]، وهذا اللقب يعدّ من أبرز مميزات العقيدة الشيعية وأولها ظهوراً، والذي جذب الكثير من الأتباع و الأنصار إليه، سواءً أكانوا من ذوي الميول العلويّة أم غير العلويّة، لاعتقادهم بأنه المنقذ المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً و جوراً.

أدرك المنصور بأن الحركة العلويّة أصبحت بهذه الصورة، تشكل رمزاً للمعارضة ضدّ الحكم العباسي، وتأكد هذا بموقف محمد النفس الزكية الذي لم يقتنع بالحكم العباسي، ورفض إعلان طاعته له، وتبلور هذا الرفض بشكل علني وسافر منذ اعتلاء المنصور عرش الخلافة، فكشف عن موقفه بقوله: " لقد كنا نقمنا على بني أميّة ما نقمنا، فما بنو العباس إلاّ أقلّ خوفاً لله منهم، وإن الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم، ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم و فواضل ليست لأبي جعفر" [2]، وقد أثبتت الحوادث فيما بعد صحة هذا الموقف.

ومن هنا بدأ الموقف العدائي يتصاعد بين الطرفين.فأيقن المنصور أن استمرار غيبة محمد وإبراهيم و رفضهما إعلان طاعتهما، واختلاق أبيهما الأعذار الواهية لهما ما هي إلاّ بداية لإعلان الثّورة ضدّه، يؤيد ذلك قوله لعقبة بن سلم " إن بني عمّنا هؤلاء قد أبوا إلاّ كيداً لملكنا واغتيالاً له" [3] لذلك قرر وضع آل حسن تحت رقابة شديدة، واتّخاذ إجراءات قاسية ضدّهم.

وكان الخليفة المنصور قد أرسل إلى عبدالله بن الحسن يعاتبه في تحركات ابنه محمد النفس الزكية ضدّ السلطة العباسية، وقال في رسالته:

أُرِيْـــدُ حَيَاتَـــهُ وَ يَرِيْـــدُ قَتْلِـــي   عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيْلِـكَ مِـنْ مُـرَادِ *

فردّ عليه عبدالله بن الحسن، وقال:

وكَيْـــفَ يُرِيْـــدُ ذَاكَ وَأَنْـــتَ مِنْـــهُ   بِمَنْزِلَـــةِ النِّيَـــاطِ مِـــنَ الفُـــؤَادِ

---

[1] الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق و الآثار، د. حسن الباشا، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة: ١٩٥٧م، ص ٥١٤ – عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عني بتصحيحه : محمد حسن الطالقاني، المطبعة الحيدرية، العراق، النجف، ط٢، ١٩٦١م، ص ١٠٤.

[2] الأغاني، للأصفهاني، تصحيح الشيخ أحمد الشنقيطي، مصر: مطبعة التقدم، (د.ت)، ج١/ ص١٠١.

[3] الطبري: ج ٧/ ص ٥١٩، مقاتل الطالبيين: ص ٢١١، الأغاني، طبعة بيروت: دار الثقافة/ (د.ت)، ج ٢١/ ص ١٣٧.

وَكَيْــفَ يُرِيْــدُ ذَاكَ وَأَنْــتَ مِنْــهُ   وَزَنْدُكَ حِــينَ يَقْــدَحُ مِــنْ زِنَــادِ

وَكَيْــفَ يُرِيْــدُ ذَاكَ وَأَنْــتَ مِنْــهُ   وَأَنْــتَ لِهَاشِــمٍ رَأْسٌ وَهَــادِ [1]

والذي يظهر من هذه المراسلات أن موضوع محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم قد شغل المنصور كثيراً على الرغم من الأحداث التي تتابعت عليه في أول خلافته.

وكان الجدل السياسي حول موقف الطرفين من الخلافة قد سبق إعلان الثورة المسلّحة، فقد لجأ المنصور إلى إعلان حقِّ العباسيين في الخلافة لأنهم من أبناء العصبيات الذين يرثون بشكل مباشر، أما الطالبيون فهم أبناء بنات، وأبناء البنات لا يرثون، وأن العم إذاً أولى من ذوي الأرحام لأنه عصبة، وأولئك ليسوا بعصبة، ولذلك نرى شاعر العبّاسيين مروان بن أبي حفصة يقول : [2]

يَــابْنَ الَّــذِي وَرِثَ الــنَّبِيَّ مُحَمَّــداً   دُونَ الأَقَارِبِ مِــنْ ذَوِي الأَرْحَــامِ

الوحيُ بَينَ بَنِــي البَنَــاتِ وبَيْــنَكُمْ   قَطَعَ الخِصَامَ فَلاتَ حِــينَ خِــصَامِ

مَا لِلنِّــسَاءِ مَــعَ الرِّجَــالِ فَرِيْــضَةٌ   نَزَلَــتْ بِــذَلِكَ سُــورَةُ الأَنْعَــامِ

ويردّ عليه شاعر العلويين محمد بن يحيى بن أبي مرّة التغلبي، فيقول: [3]

لَمْ لا يَكُــــونُ وأَنَّ ذَاكَ لَكَــــائِنٌ   لِبَنِــي البَنَــاتِ وِرَاثَــةُ الأَعْمَــامِ

لِلْبِنْتِ نِــصْفٌ كَامِــلٌ مِــنْ مَالِــهِ   وَالعَــمُّ مَتْــرُوكٌ بِغَــيرِ سِــهَامِ

مَــا لِلطَّلِيــقِ [1] ولِلتُّــرَاثِ وَإِنَّمَــا   صَلَّى الطَّلِيــقُ مَخَافَــةَ الصَّمْــصَامِ

---

[1] العقد الفريد، ابن عبد ربه، ط٢، ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م ، ج٥/ ص ٧٦، مقاتل الطالبيين: ص ١٧٦، تاريخ اليعقوبي: ج٢/ ص٣٦٠، الأغاني، طبعة دار الثقافة، ج٢١/ ص ١٣٥-١٣٦. وهناك اختلاف بين هذه المصادر فبعضهم يورد هذه المراسلة بين أبي جعفر المنصور وعبدالله بن الحسن، و الآخرون يوردونها بين أبي العباس السفاح و عبدالله بن الحسن.

* هذا البيت لعمرو بن معد يكرب في قيس بن مكشوح المرادي، وكان علي بن أبي طالب قد تمثلّ به . (الكامل في اللغة والأدب، المبرد، بيروت: دار الفكر، (د.ت)، ج٣/ ص ١٠٨).

[2] ديوان مروان بن أبي حفصة ،شرحه:أشرف أحمد عدرة، بيروت:دار الكتاب العربي،ط١ ،١٤١٤هـ -١٩٩٣م ، ص ، ضحى الإسلام، أحمد أمين، بيروت: دار الكتاب اللبناني، (د.ت)، ج٣/ ص ٣١٢- ٣١٣. العلاقات بين العلويين و العباسيين، د. عبد العزيز اللميلم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٢م، ص ١١٦،

[3] ضحى الإسلام: ج٣/ص٣١٣،العلاقات بين العلويين والعباسيين:ص١١٦.

إنّ كل طرف يريد أن يثبت حقّه في الخلافة، ولذلك أخذ الجدل بينهما شكل الحـــوار الساخن، وقد ظهر ذلك جلياً في الرسائل المتبادلة بين محمد النفس الزكيّة والخليفة المنصور، حيث توضّح تمسك كل منهما بحقّه في الخلافة.(٢)

كما أنّ تلك الرسائل المتبادلة بين النفس الزكية و المنصور قد أبرزت لنا جانباً مهماً عن العلاقات العلويّة العبّاسية؛ ذلك لأنها صوّرت آراء زعيمين متنافسين حول مسألة هامة هي الخلافة، كما أن تلك الرسائل كانت ذات أهميّة دعائية كبيرة لكلا الطرفين المتنازعين، حيث بينت وجهة نظر كلّ منهما حيال الخلافة، ودافعت عنها بكلّ قوة.

وعلى هذا فإن نظرية الطالبيين تقوم على أنهم أحقّ من العباسيين في الخلافة، لأنهم أبناء علي بن أبي طالب ابن عمّ الرسول الكريم، وهم أيضاً أبناء ابنته فاطمة الزهراء، فهم يقولون بدافع عاطفة الحنو على أهل بيت رسول الله :" حكَمَنا رسول الله فليحكمنا نسله" (٣)

إلا أنّ العباسيين يرون أن حقّهم في الخلافة يأتي من كونهم أبناء العبّاس عمّ الرســـول الكريم، والعمّ أولى بالميراث من أبناء البنت.

وأمام هذه المواقف المتصلّبة كان لابدّ من المواجهة المسلّحة، وهذا ما حصل بالفعل، فقد ثار محمد النفس الزكية في المدينة المنوّرة، وتبعه أخوه إبراهيم فأعلن ثورته في البصرة، وكان ذلك سنة ١٤٥هـــ.

وكانت ثورتا محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم بداية لثورات أخرى قام بها الطالبيون ضدّ السلطة العبّاسية كما سنرى.

و فيما يلي سأعرض لثورات الشيعة " الطالبيين " التي قامت ضدّ دولة بني العباس و كان مسرحها العراق، هذه الثورات جميعها قامت مطالبةً بحق الطالبيين في خلافة المسلمين.

---

(١) يقصد بذلك العباس بن عبد المطلب جدّ العباسيين.

(٢) للاطلاع على تلك الرسائل انظر: الطبري: ج٧/ ص ٥٦٦-٥٧١، والبداية والنهاية ، ج١٣/ ص ٣٥٩ و مـا بعدها، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، راجعه: نخبة من العلماء، بيروت : دار الكتاب العربي، ط٦، د.ت، ج٥/ ص ٥-٧.

(٣) العلاقات بين العلويين والعباسيين: ص ١٢٠.

١- ثورة إبراهيم بن عبدالله بن حسن في البصرة:

أولاً : قائد الثورة وأسبابها ودوافعها:

قائد هذه الثورة هو إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبوه عبدالله بن حسن شيخ بني هاشم، وأخو إبراهيم هو محمد بن عبدالله الملقب" النفس الزكية "، وهو الذي قاد ثورة في المدينة المنورة كانت متزامنة مع ثورة أخيه إبراهيم. (١)

وكان إبراهيم يقول الشعر، فقد ذكر أنه قال في زوجته بحيرة بنت زياد الشيبانيّة:(٢)

أَلَمْ تعلَمِي يَا بِنتَ بَكْرٍ تَشَوُّقِي ... إليكِ وَأَنْتَ الشَّخْصُ يَنعُمُ صَاحِبُه

وَعُلِّقْتُ مَا لَو نِيْطَ بِالصَّخْرِ مِنْ جَوَى ... لهدَّ مِنَ الصَّخْرِ المنِيْفِ جَوانِبُه

رَأَتْ رَجُلاً بَينَ الرِّكَابِ ضَجِيعُهُ ... سِلاحٌ وَيَعبُوبٌ فَبَاتَتْ تُجَانِبُه(٣)

تَصُدُّ وتَستَحِيي وَتَعلَمُ أَنَّهُ ... كَرِيمٌ فَتَدنُو نَحوَهُ فَتُلاعِبُه

عقد إبراهيم وأخوه"النفس الزّكية" العزم أن تُفجّر ثورتاهما في وقت واحد في كلٍّ من المدينة والبصرة، إلاّ أنه لظروف اختلفت ساعة الصفر بينهما.

فذكرت بعض الروايات، أن محمداً خرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاه(٤)، وقد يكون سبب ذلك، سياسة الشدّة التي اتبعها المنصور ضدّه، فدفعه إلى إعلان الثورة قبل وقتها المتّفق عليه مع أخيه إبراهيم.

بينما أكّدت بعض الروايات أن محمداً أخبر أخاه بالموعد الجديد وطلب منه أن يعلن الثورة(٥).

(١) الطبري: ج٧/ ص ٦٢٢ وما بعدها، اليعقوبي، ج٢ / ص ٣٧٧، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ابن تغري بردي الأتابكي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٩هـ- ١٩٣٠م، ج٢/ ص ٣- ٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) اليعبوب: الفرس السريع الطويل.

(٤) الطبري : ج ٧/ص٥٥٢، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، تحقيق : محمد ومصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م، ج٨/ ص ٦٣.

(٥) الطبري: ج ٧/ ص ٦٢٨ ، الكامل : ج٥/ ص ١٦ ، العبر في خبر من غبر ، الذهبي، تحقيق أبو هاجر زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج١/ ص ١٥٣.

ويشكل مؤتمر الأبواء، الذي تحدثنا عنه سابقاً، السبب الثاني لثورتي محمد و إبراهيم، إذ ادعى محمد " النفس الزكية" أنّ أبا جعفر المنصور كان ممن بايعه في ذلك المؤتمر [1]، وعليه فمن حقّه المطالبة بتنفيذ تلك البيعة.

وكان إبراهيم قد وصل إلى البصرة بعد رحلة من التشرّد، وكان في ضيق شديد أثناء تخفّيه ، وها هو يصوّر حاله ويذكر زوجته رقيّة بنت محمد بن عبدالله [2]، فيقول:

خَلِيْلَيَّ مِنْ قَيْسٍ دَعَا اللَّومَ وَاقْعُدَا ... يَسُرُّكُمَا أَلاَّ أَنَامَ وَتَرْقُدَا

أَبِيْتُ كَأَنِّي مُسْعَرٌ مِنْ تَذَكُّرِي ... رُقَيَّةَ جَمْرَاً مِنْ غَضاً مُتَوَقِّدَا [3]

وفي البصرة راح إبراهيم يدعو لأخيه النفس الزكية، فاستجاب له النّاس، وبلغ عدد من بايعه أربعة آلاف فيهم كثير من المعتزلة و الزيديّة [4] ، وأيّده كثير من الفقهاء و العلماء، منهم الإمام أبو حنيفة [5].

وأغلب الظن أن العلماء لم يؤيدوا الثورة بهذه الكثرة إلاّ لرغبتهم في رؤية حاكم أفضل في دينه وعدله، وقد كان في إبراهيم من الصفات الحميدة، والعقيدة الرّاسخة، ما جعل هؤلاء العلماء يؤمّلون فيه خيراً، بيد أنّ الصفات الحميدة شيء و فنّ القيادة شيء آخر!!.

ثانياً: إعلان الثورة و موقف المنصور منها:

بعد هذا التأييد الذي حصل عليه إبراهيم، أشار عليه أتباعه بالتحول إلى وسط البصرة، ليكون قريباً من العناصر التي ترغب بنصرته ومبايعته فانتقل إلى دار أبي مروان مولى بني سليم

---

(1) الطبري : ج٧ / ص ٥١٧.

(2) هي رقية بنت محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان،ووالدها هو أخو بني حسن لأمهم فاطمة بنت حسين بن علي بن أبي طالب. (الطبري : ج٧ /ص ٥٤٠)

(3) الطبري : ج ٧ /ص ٥٤٣.

(4) الطبري : ج ٧ / ص٦٢٨ ، مقاتل الطالبيين : ص ٣١٨ ، مروج الذهب و معادن الجوهر، المسعودي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، ط٥ ، ١٩٧٣م ، ج٣ / ص ٣٠٨.

(5) كان أبو حنيفة يفتي للناس بالخروج مع إبراهيم ومناصرته.(مقاتل الطالبيين: ص ٣٦٥ ، تاريخ بغداد، البغدادي، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٩٩٧، ج١٣ / ص ٣٨٤ – ٣٨٥).

في مقبرة بني يشكر، واتّخذها مقرّاً جديداً له و منها أعلن الثورة ليلة الإثنين أول رمـــضان سنة ١٤٥هـــ [١].

وما أن حلّ صباح يوم ١٥ رمضان، حتى كانت أخبارالثورة قد عمّت أرجاء البصرة، فتوافد الناس على إبراهيم في المسجد الجامع، بين ناظر و ناصر[٢]، فبلغ عدد أنصاره ١٠٠ ألف على حدّ قول بعض الروايات [٣]، فتوجه إلى دار الإمارة ،واستولى على بيـــت المـــال فوجد فيه ألفي ألف درهم فتقوى بها، وفرّق على أصحابه قسماً منها[٤]، وأمر المغيرة بـــن الفزع أن يأتي السجن فيطلق من فيه، ففعل [٥]، وبذلك تمّت له السيطرة على مدينةالبصرة.

وبعد هذا النصر المبكر لإبراهيم، أرسل الحسين بن ثولاء إلى الأهواز يدعوهم إلى البيعة، فاستجابوا له، فأخذ بيعتهم، ورجع فأخبر إبراهيم بذلك [٦]، وهذا ما شجّعه لأن يرســـل بعض قوّاده إلى المناطق المجاورة لاحتلالها. فوجّه المغيرة بن الفزع إلى الأهواز فاحتلها[٧]، كما استولى محرز الحنفي على كرمان[٨]، وقام إبراهيم بإرسال يعقوب بن الفـــضل الهـــاشمي إلى فارس، فتمكن يعقوب من الاستيلاء على البلد [٩]، كما أرسل برد بن لبيد اليـــشكري إلى

---

(١) تاريخ ابن خياط، تحقيق: أكرم العمري ، الرياض : دار طيبة للنشر، ط٢، ١٩٨٥، ص٤٢٢، المعارف، ابن قتيبة: ص ٣٧٨.

(٢) البداية والنهاية : ج١٣ / ص ٣٧٥.

(٣) العبر، الذهبي: ج ١/ ص ١٥٤.

(٤) تاريخ الموصل، الأزدي، تحقيق : د.علي حبيبة ، القاهرة : لجنة إحيـــاء التراث الإســـــلامي، ١٩٦٧م، ج٢ / ص ١٨٨، مقاتل الطالبيين: ص ٣٢٤.

(٥) العيون والحدائق في أخبار الحقائق،مجهول المؤلّف،"الجزء الثالث"،بغداد:مكتبة المثنّى ،ج٣ / ص ٢٥١ .

(٦) الطبري : ج٧ / ص ٦٣٥.

(٧) تاريخ ابن خياط: ص ٤٢٢ ، اليعقوبي : ج٢ / ص ٣٧٧ ، الطبري : ج٧ / ص ٦٣٥ – ٦٣٦.

(٨) العيون والحدائق : ج٣ / ص ٢٥٢.

(٩) المعرفة والتاريخ، البسوي، تحقيق: د.أكرم العمري، بغداد : مطبعة الإرشاد، ١٩٧٤م، ج١ / ص ١٢٦.

إلى كسكر [١] فغلب عليها[٢]، ووجّه هارون بن سعد العجلي إلى واسط، فتمكّن العجلي من السيطرة عليها.[٣]

أما الخليفة المنصور، فإنه لما علم بأخبارالثورة " تحير في أمره و جعل يتأسف على ما فرّق من جنده في الممالك "[٤] ، وكان الحجاج بن قتيبة بن مسلم قد دخل على المنصور أيّام ثورة إبراهيم، فرآه مهموماً، قلقاً، ويتمثلّ قول الشاعر:

وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرِّمَاحِ دَرِيَةً ... إنَّ الرَّئِيسَ لِمِثْلِ ذَاكَ فَعُولُ [٥]

فقال له الحجاج : " يا أمير المؤمنين، أدام الله إعزازك ونصرك على عدوك، أنت كما قال الأعشى: [٦]

وَإِنْ حَرْبُهُمْ أُوقِدَتْ بَيْنَهُمْ ... فَحَرَّتْ لَهُمْ بَعْدَ إِبْرَادِهَا

وُجِدْتَ صَبُوراً عَلَى رُزْئِهَا ... وَحَرِّ الحُرُوبِ وَتَرْدَادِهَا

فردّ عليه المنصور أنه فعل ما بوسعه، واستعان على إبراهيم بالله، وأنه لا حول له إلاّ بالله. [٧]

والحجاج نفسه يقول عن المنصور بأنه كما قال الشاعر " وهو النابغة الذبياني":

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا ... وَعَلَّمَتْهُ الكَرَّ وَ الإِقْدَاما

وصَيَّرَتْهُ مَلِكاً هُمَامَا [٨]

بادر المنصور بدراسة الموقف السياسي و العسكري دراسة عميقة ومستفيضة من غير إضاعة للوقت الذي يعتبر من العوامل المهمة في كسب الحرب،كما قام باستدعاء أقاربه،

---

[١] كسكر : كورة واسط (انظر : بلدان الخلافة الشرقية، غي لسترنج، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٤، ص ٩٣)

[٢] المعرفة والتاريخ ، البسوي: ج ١/ ص ١٢٦ ، اليعقوبي : ج ٢/ ص ٣٧٧.

[٣] الطبري : ج ٧/ ص ٦٣٧.

[٤] البداية والنهاية : ج ١٣ / ص ٣٧٦ .

[٥] الطبري: ج٧/ ص ٦٤٠ ، الكامل : ج ٥ / ص ١٨، مع شيء من الاختلاف .

[٦] شرح ديوان الأعشى، تحقيق كامل سليمان ، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، (د.ت) ، ص ٦٢.

[٧] الطبري: ج٧ /ص ٦٤٠ – ٦٤١.

[٨] البداية والنهاية: ج١٣ / ص ٣٧٧، والأبيات في ديوان النابغة الذبياني، شرح : محمد عاشور، تونس: الشركة التونسية ١٩٨٦م، ص ٢٤٧.

للتشاور معهم في الأمر، فلما أشاروا عليه بتوجيه عبدالله بن علي لمحاربة إبراهيم قال : "والله لو دخل علي إبراهيم بسيف مسلول كان آمن عندي من عبدالله بن علي" [1]. وقد كشفت لنا هذه المناقشة، عن وجود خلافات ومنافسات خفيّة بين أفراد البيت العباسي.

وعلى كل حال فإن الخليفة شرع باتخاذ إجراءات وتدابير سريعة وشديدة لمواجهة الموقف المتفجّر، قبل أن تفلت من يده زمام الأمور، فقد كتب إلى عيسى بن موسى كتاباً يأمره فيه بسرعة القدوم، فاستجاب لذلك[2]، وكتب إلى مسلم بن قتيبة الباهلي وهو يومئذ بالريّ، يأمره بسرعة القدوم عليه بقواته المرابطة معه، فضمه إلى جعفر بن سليمان بن علي، وكاتب ابن قتيبة أهل البصرة، فلحقت به قبيلة باهلة [3].

وبهذا يمكن القول : إن المنصور تمكّن بخططه العسكرية الناجحة، وسرعة تنفيذه لها، من معالجة الموقف بحكمة ودهاء بالغين، فاستطاع بفترة قصيرة من قلب موازين القوى لصالحه، بحدّ السيف، منتزعاً أهم المناطق الحصينة التي استحوذت عليها قوّات إبراهيم.

ثالثاً: المعركة الفاصلة ونهاية الثورة:

جهّز المنصور جيشاً ضخماً، وكتب إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي بالالتحاق بقواهما بصفوف جيش عيسى [4]، الذي توجه بقواته يريد البصرة.

أما إبراهيم فإنه استمر بجمع المؤيدين والأنصار لثورته. فلما تم له ذلك أعطاهم أرزاقهم [5]، وبينما هو يستعد للمسير، إذ وصله خبر مقتل أخيه النفس الزكية قبل عيد الفطر بثلاثة أيام [6] ، فأثر في نفسيته تأثيراً سيئاً، فصعد المنبر يوم العيد وخطب الناس وأعلمهم الخبر، فزاد هذا من غضب أتباعه على المنصور، ودفع الأهالي للتعاطف معه، وهذا مما دعاه إلى إعادة النظر في أموره، وترتيب قواته طوال شهر شوال سنة ١٤٥هـ ، ومن الطبيعي أن هذا التأخير لم يكن في صالحه، وكان من آثاره ظهور خلافات في آراء أصحابه،

---

(١) أنساب الأشراف، البلاذري ، الجزء الثالث، تحقيق: د. عبد العزيز الدوري، بيروت: ١٩٧٨م، ص ٢٦٩.

(٢) الطبري : ج٧ / ص ٦٤٤.

(٣) الطبري : ج ٧ / ص ٦٣٩.

(٤) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٢.

(٥) تاريخ الموصل : ج٢/ ص ١٨٨ .

(٦) الكامل : ج٥/ ص ١٧.

فكل جماعة أشارت عليه برأي [١]، وأخيراً استقر رأيه على المسير إلى الكوفة، فخرج ومعه ١٠٠ألف مقاتل [٢]، فلما وصل إلى باخمرى [٣] عسكر فيها، مقابل قوات عيسى بن موسى [٤].

على أن إبراهيم أثناء مسيره إلى الكوفة تمثّل أبياتاً للقُطامي، يُظهر فيها ندمه على الخروج من البصرة وأسفه على اتّباع رأي من أراد منه الخروج إلى الكوفة. يقول القطامي في هذه الأبيات: [٥]

أُمُورٌ لَو تَدَبَّرَهَا حَلِيمٌ ... إذاً لَنَهَى وَهَيَّبَ مَا استَطَاعَا

وَمَعصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيكَ مِمَّا ... يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنهُ اسْتِمَاعَا

وَخَيرُ الأَمرِ مَا استَقْبَلْتَ مِنهُ ... وَلَيسَ بِأَنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعَا

ولكنَّ الأَدِيمَ إِذَا تَفَرَّى ... بِليً وتعيّباً غَلَبَ الصَّنَاعَا

وفي هذا الظرف الدقيق، برزت خلافات جدية بين أتباع إبراهيم، فكان أصحابه مع قلّة رأيه يختلفون عليه، وكلٌّ يشير برأي حول الخطّة الحربية التي سيسيرون عليها. [٦]

أشار عليه بعضهم بأن يرجع إلى البصرة ويدع جنوده يقاتلون عيسى فإن هزمهم أمددهم إبراهيم بالإمداد، فقالت الزيدية : أترجع عن عدوّك وقد رأيته [٧]. وأشار بعض قوّاده : أن يسير إلى الكوفة بطائفة من الجند، فإن المنصور ليس عنده من الجيش ما يردّون عنه، فعارض

---

[١] انظر : الطبري ج٧/ ص ٦٤٢-٦٤٣ ، مقاتل الطالبيين : ص ٣٤٤ ، أعيان الشيعة، العاملي، طبعة بيروت، ط٢ ، (د.ت) ، ج٥ / ص ٢٦٦.

[٢] البداية و النهاية: ج ١٣ / ص ٣٧٧.

[٣] باخمرى: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب. (معجم البلدان : ج١/ ص٣١٦).

[٤] الطبري : ج٧/ ص ٦٤٤ ، أعيان الشيعة : ج٥/ ص ٢٦٦.

[٥] الطبري : ج٧ / ص ٦٤٣.

[٦] العبر ، الذهبي : ج١ / ص ١٥٤.

[٧] مقاتل الطالبيين : ص ٣٤٤.

آخرون هذا الرأي، وقالوا إن الأولى أن نناجز هؤلاء الذين بإزائنا. ثمّ هو في قبضتنا، فثناهم ذلك عن الرأي الأول [1].

وأشار عليه جماعة بأن يتبع نظام الكراديس في القتال، لأن الصف إذا انهزم بعضه تداعى، فلم يكن لهم نظام، أما الكراديس، فإن انهزم كردوس ثبت آخر. فقال الباقون: لا نصفّ إلاّ صف الإسلام [2]. يقصدون قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾ [3].

ومهما يكن من أمر، فقد عبّأ كل فريق منهما قوّاته تعبئة تامة، واستعدّ للقتال، فكان جيشُ إبراهيم مكوناً من ١٠٠ ألف مقاتل، يقابله من الجيش العباسي ١٨ ألف مقاتل [4]، فقدّم عيسى بن موسى للقتال حميد بن قحطبة، والتحمت الحرب وكانت أشدّ حرب، والدائرة على عيسى وبوادر النصر لإبراهيم [5]،فثبت عيسى مع ١٠٠ مقاتل من حاشيته [6]، فقال له بعضهم: " لو تنحيّت عن هذا المكان حتّى يثوب إليك الناس فتكرهم! فقال : لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتل، أو يفتح الله على يدي، ولا يقال: انهزم " [7].

ولمّا وردت أنباء هذه الهزيمة إلى المنصور، أعدّ الدواب للهرب إلى الريّ [8] إلاّ أن مجرى الحرب تغير لصالح قواته، بعد حركة الالتفاف الناجحة التي قام بها محمد و جعفر ابنا سليمان بن علي، إذكان لهذا الهجوم أثر كبير في تغيير مجرى القتال لصالح الجيش العبّاسي، حتى أن عيسى بن موسى اعترف بذلك فقال : لولا ابنا سليمان لافتضحنا [9].

---

[1] انظر : تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩١هـ -١٩٧١م، ج٣/ ص ١٩٥، تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة : د.نبيه فارس و منير بعلبكي،بيروت: دار العلم للملايين، ط١ ، ١٩٤٨-١٩٤٩، ج٢ /ص ٧ .

[2] الطبري : ج٧ / ص ٦٤٤ ، مقاتل الطالبيين: ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

[3] سورة الصف : الآية ٤ .

[4] اليعقوبي : ج٢ / ص ٣٧٨.

[5] المصدر السابق .

[6] تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، النجف، العراق : المطبعة العلمية، ١٣٦٩ هـ، ص ٢٣٧.

[7] الطبري : ج ٧/ ص ٦٤٥.

[8] المصدر السابق : ج ٧ / ص ٦٤٩، مقاتل الطالبيين: ص ٣٤٦، البدء والتاريخ، المقدسي، منسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، بغداد: مكتبة المثنّى، ومصر : مؤسسة الخانجي، ١٩١٩م، ج٦ / ص ٨٦.

[9] الطبري : ج ٧ / ص ٦٤٦ ، أعيان الشيعة : ج٥ / ص ٢٦٧.

لحقت الهزيمة بجيش إبراهيم، لكنّه ثبت في ٤٠٠ مقاتل من الزيديّة [١]،وبعد ذلك انطلق إبراهيم، فأصابه سهم في حلقه لا يُدرى من رمى به، فتنحى عن موقفه،فقال : أنزلوني، فأنزلوه ... وهو يقول : وكان أمر الله قدراً مقدوراً، أردنا أمراً وأراد الله غيره، فأُنزل إلى الأرض وهو مثخن، واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه، فتقدّم حميد بن قحطبة وحزّ رأسه وأرسله إلى عيسى بن موسى، الذي عرضه على أبي الكرام الجعفري، فأكد له أنّه رأس إبراهيم [٢] ، وكان قتله يوم الإثنين ٢٥ ذي القعدة سنة ١٤٥هـ[٣]، وقتل معه بشير الرحال وجماعة كثيرة من أتباعه[٤]، فكانت مدة ثورته ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام [٥].

وقام عيسى بن موسى بإرسال رأس إبراهيم إلى المنصور، فلما وضع بين يديه تمثل بقول معقّر بن أوس البارقي:

فَأَلقَتْ عَصَاهَا وَاستَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيناً بالإِيَابِ المسَافِرُ [٦]

ثم بكى حتى قطرت دموعه على خدّ إبراهيم، وقال : أما والله إني كنت لهذا كارهاً، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك[٧]، وسمح للناس بالدخول عليه وكلّهم يهنيء الخليفة بالنصر على إبراهيم، والخليفة ساكت إلى أن دخل جعفر بن حنظلة البهراني فعزّاه بوفاة إبراهيم، قائلاً له : عظّم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك، وغفر له ما فرّط فيه من حقّك، فسُرّ لذلك، وأدنى جعفراً منه، فعرف النّاس أن هذا ما يريده الخليفة، فعزوه بمثل ما عزّاه جعفر[٨].

وفي هذا الموقف دليل على أن المنصور كان كارهاً لهذا اللقاء، وكان حريصاً على الود، وتناسي الخلافات و الأحقاد، وأنه كان يتمنى لو لم يحدث مثل هذا بين أبناء العمومة، كما

---

[١] المعرفة و التاريخ ، البسوي: ج ١/ ص ١٢٧.

[٢] الطبري : ج٧ / ص ٦٤٧، أعيان الشيعة : ج٥ / ص ٢٦٧.

[٣] العبر، الذهبي : ج ١/ ص ١٥٥.

[٤] تاريخ ابن خياط: ص ٤٢٢ ، مقاتل الطالبيين: ص ٣٤٧ .

[٥] الطبري : ج٧ / ص ٦٤٧.

[٦] الطبري : ج٧ /ص ٦٤٨ ، تاريخ الموصل : ج٢ / ص ١٨٩.

[٧] الطبري : ج٧/ ص ٦٤٨ ، مقاتل الطالبيين : ص ٣٥٢ ، تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ص ٢٣٧.

[٨] الطبري : ج٧ / ص ٦٤٨ – ٦٤٩ ، تاريخ ابن خلدون: ج٣/ ١٩٦.

كان حريصاً كلّ الحرص على توطيد ملكه، وعدم تفكيك دولته مهما كلّفه الأمر، وبـأي ثمن كان.

وبعد أن طيف برأس إبراهيم في الكوفة، أرسله الخليفة بالبريد إلى مـصر، لإسـكات الشيعة العلوية هناك، التي بدأت تحركاتها المخيفة للخليفة في هذا الإقليم الهام، فكـان مـا أراد[1].

وبعد قتل محمد وإبراهيم تلقب الخليفة أبو جعفربـ" المنصور" [2] واعتبر مؤسس الدولة العباسية.

رابعاً : نتائج الثورة:

قضت ثورة إبراهيم على آخر طموح الفرع الحسني في نيل الخلافة بقوة السلاح في عهـد المنصور. كما جعلت الأخير يتّبع سياسة الشدّة ضد العناصر التي اشتركت مع إبـراهيم في ثورته، حيث قام الوالي محمد بن سليمان بن علي أواخر سنة ١٤٥هـ، بناءً علـى طلـب الخليفة بتهديم دور وإتلاف بساتين بعض هذه العناصر، واغتيال البعض الآخر [3].

كما ساد البصرة جو من عدم الاستقرار، بعد فشل الثورة، لخوف أهلها الشديد من انتقام الخليفة منهم بسبب تأييدهم لإبراهيم[4].

وهكذا كان الفشل مصير ثورة إبراهيم، بعد أن " كاد أمره أن يـتم" [5]، وانطـوت بذلك صفحة من صفحات الثورات السياسية المناهضة للدولة العباسية، بيد أنها لم تنقطع أو تتوقف، فقد استمرت ثورات الطالبيين تقضّ مضاجع الخلفاء من بني العبّاس.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ج٢ /ص ٢ ، الولاة والقضاة ، الكندي، بيروت: طبع الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م، ص ١١١- ١١٥.

(٢) التنبيه والإشراف، المسعودي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م، ص ٣١١.

(٣) الطبري : ج٧ /ص ٦٥٦ ، عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، القاهرة : دار الكتب المصرية، ١٩٢٥-١٩٣٠م، وطبعة بيروت ج١ / ص ٤٤.

(٤) العبر ، الذهبي : ج١ / ص ١٥٦.

(٥) الطبري : ج٧ /ص ٦٤١.

٢-ثورة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل، المعروف بـــ" ابن طباطبا"في الكوفة:

أولاً : قائد الثورة وأسبابها ودوافعها:

قاد هذه الثورة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علـــي ابن أبي طالب [١]،خرج في الكوفة عام ١٩٩هـــ، أي في خلافة المأمون.

وكان الطالبيون قد تجمعوا أثناء التراع بين الأمين والمأمون، وعزموا علـــى الخـــروج للوصول إلى الخلافة، حقّهم المغتصب – في نظرهم- واعتبروا الخلاف بين الأخوين فرصـــة يجب ألاّ تضيع، بل يجب أن ينتهزوها للوصول إلى ما يبتغون.

والذي حدا بالطالبيين إلى هذا التحرّك أنّ المأمون اتّجه إلى الأدب والعلـــوم والترجمـــة تاركاً السياسة والإدارة بيد الفرس، فولّى مقاليد الأمور كلّها إلى وزيره الفضل بن ســـهل "ذي الرياستين" [٢]. وأناب الفضل أخاه الحسن بن سهل علـــى إدارة العـــراق والـــشام، فأصبحت الدولة بين الفضل و الحسن. وهنا رأى الطالبيون أن الوقت قد حان لثورتهم وأن الناس سوف ينضمون إليهم لكراهيتهم لظهور العنصر الفارسي، هذا بالإضافة إلى أن الفرس يميلون إلى الطالبيين، وأهل بغداد يميلون إلى العنصر العربي، فهذا الفضل بن سهل فارســـي شيعي، يصبو إلى تحويل الخلافة إلى الطالبيين[٣].

خرج ابن طباطبا في أول عام (١٩٩هـــ) ومعه نفر من أصحابه وشيعته قاصداً الجزيرة، ولما وصلها اجتمع بكبار أهل الجزيرة، ولكنه لم يجد منهم ميلاً أو استعداداً للثـــورة، بـــل نصحوا نصر بن شبيب الذي كان قد وعدابن طباطبا بمناصرته بألاّ يعرّض نفـــسه وقومـــه للخطر.

---

[١] الطبري : ج ٨/ ص ٥٢٨ ، مروج الذهب : ج ٤ / ص ٢٦ ، النجـــوم الزاهـــرة : ج٢ / ص ١٦٤، مقاتـــل الطالبيين: ص ٥١٨.

[٢] النجوم الزاهرة : ج٢ / ص ١٥١، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، د. علي عبد الرحمن العمـــرو، ط١، ١٣٩٩هـــ-١٩٧٩م. ص ٣٢٥.

[٣] التاريخ الإسلامي العام، د. علي إبراهيم حسن، طبع مكتبة النهضة المصرية، (د.ت) ، ص ٣٩٨.

ولما علم نصر بتخلي الناس عن نصرة محمدبن إبراهيم، اعتذر له بأنه ما كان يظنّ ذلك منهم، وأنه لو علم بذلك مسبقاً ما دعاه إلى المجيء من الحجاز وواعده أن يقدم له خمسة آلاف دينار ليستعين بها، فلم يقبل محمد منه عذراً وقال له :

سَتَغنَى بِحَمدِ اللهِ عَنكَ بِعُصبَةٍ ... يَهشُّونَ لِلدَّاعِي إِلى وَاضِحِ الحَقِّ

طَلَبتُ لَكَ الحُسنَى فَقَصَّرْتَ دُونَهَا ... فَأَصبَحْتَ مُذْمُومَاً وَزَلْتَ عَنِ الصِّدْقِ

جَرَوا فَلَهُمْ سَبقٌ وَصِرْتَ مُقَصِّرَاً ... ذَمِيمَاً بِمَا قَصَّرْتَ عَنْ غَايَةِ السَّبْقِ

ومَا كُلُّ شَيءٍ سَابِقٌ أَوْ مُقَصِّرٌ ... يَؤُولُ بِهِ التَّقْصِيرُ إِلاَّ إِلى العِرْقِ [١]

ثم رجع عائداً إلى الحجاز، وفي الطريق تقابل مع أبي السرايا " السري بن منصور الشّيباني" وهو رجل أعرابي، وفارس عربي من الطراز القديم [٢]. وكان أبو السرايا ومعه بعض صعاليك عرب الجزيرة الفرسان، قد اشتهر أمره، فقد كان من قطاع الطرق وقتاً من الزمان، وساعد بعض الثورات والانتفاضات الصغيرة حيناً آخر [٣]، وكان من أنصار هرثمة ابن أعين، ثم اختلف معه لأنه نقص عطاءه من الأرزاق [٤]، ولما طلب منه ابن طباطبا مساعدته في الثورة رحب بذلك، وأحس أن العز والرفعة قد جاءته من أوسع الأبواب عن طريق الطالبيين، فقد كان بادىء الأمر إنساناً عادياً ليست له المكانة الاجتماعية،ثم أصبح فارساً وبطلاً عربياً، ولابد من استغلال هذه القدرات التي تجيش في نفسه لتحقيق أطماعه السياسية والمادية، فوجد في الأسرة الطالبية خير ما يحقق به أهدافه و أطماعه، وعلوّ شأنه.

اتفق أبو السرايا مع ابن طباطبا على اللقاء في الكوفة، فسار كل واحد منهما في طريق، ودخلاها، فأعلن ابن طباطبا ثورته في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٩٩هـ [٥]، وبايعه أهل الكوفة [٦]، ووفدت عليه الأعراب من نواحيها[١] فاجتمع له كثير من الشيعة [٢].

---

[١] مقاتل الطالبيين : ص ٥٢٠ – ٥٢١ .

[٢] العصر العباسي الأول ، د. عبد العزيز الدوري، بغداد: طبع النفيض الأهلية، ١٣٦٣ هـ- ١٩٤٥م، ص ٢٠٦.

[٣] الكامل : ج ٥ /ص ١٧٤ ، تاريخ ابن خلدون : ج٣ /ص ٢٤٢.

[٤] الطبري : ج٨/ ص ٥٢٩ ، تجارب الأمم، لمسكويه (ضمن كتاب العيون والحدائق)، بغداد: مكتبة المثنى،(د.ت)، ج٦/ ص ٤٢٠.

[٥] مروج الذهب: ج٤ /ص ٢٦ ، تاريخ اليعقوبي : ج٢ /ص ٤٤٧ ، الكامل : ج ٥/ ص ١٧٤.

[٦] تاريخ ابن خلدون: ج٣ / ص ٢٤٢ ، النجوم الزاهرة : ج٢ /ص ١٦٤ .

ثانياً: أحداث الثورة و تطوراها :

أعلن ابن طباطبا برنامج ثورته في الكوفة وهو البيعة للرضا من آل محمد، والالتزام بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وأن يسيروا بحكم الكتاب الذي هو القرآن الكريم[٣].

وكان الحسن بن هذيل قد اشترك مع أنصار الثورة في حروبها ووقعاها مع جيوش الخلافة، التي كان يقودها زهير بن المسيّب، ويُذكر أنه قال في إحدى هذه المعارك:

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرِماً   المَوتُ كَأسٌ وَالمَرْءُ ذَائِقُهَا [٤]

ويظهر أن أبا السرايا كان القائد العام لجيش الثورة، أما ابن طباطبا فهو يمثّل الزعيم الديني و السياسي لهذه الثورة.

و لم ينته شهر جمادى الآخرة إلاّ وقد تحقق النصر الكامل لابن طباطبا و أبي السرايا في الكوفة، فقد طردوا عاملها، وسيطروا على بيت المال، وفي أول رجب مات ابن طباطبا إثر مرض مفاجيء ألّم به[٥]، أو سمّه أبو السرايا [٦] وهذا هو الأولى، فقد عرف أبو السرايا أنّه لا حكم له معه بعد أن ظهر لابن طباطبا النصر، " ولكونه لم ينصفه في الغنيمة" [٧].

نلمح في هذا تطلعات أبي السرايا إلى الظهور و الشرف والغناء و الطمع في أن يكون له الأمر، فما عمله مع الطالبيين لم يكن قصده -كما ادّعى- الأخذ بحقهم، وهو يظهر نفسه أنّه من شيعتهم، والذّابين عنهم، ولهذا وذاك أراد أن يتخلص من ابن طباطبا فسمّه. ولذلك

---

(١) البداية والنهاية: ج١٤ /ص ١٠٩.

(٢) مقاتل الطالبيين : ص ٥٢٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مقاتل الطالبيين: ص ٥٢٧.

(٥) المصدر السابق : ص ٥٣١-٥٣٢.

(٦) الطبري : ج ٨ /ص ٥٢٩ ، الكامل : ج٥ /ص ١٧٥ ، تجارب الأمم، لمسكويه: ج٦ / ص ٤٢٠.

(٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح الحنبلي، بيروت: المكتبة التجارية، (د.ت)، ج ١ / ص ٣٥٦.

ولّى عهده غلاماً طالبياً، يستطيع التغلب عليه هو " محمد بن محمد بن زيــد الطــالبي " [1]، فكان الحكم والأمر والنهي لأبي السرايا.

وبعد ذلك ألحق أبو السرايا عدة ضربات في الجيش العباسي، وسيطر على أكثر المدن العراقية[2]، واستفحل أمره، وعظم خطره، وبات يهدّد بغداد نفسها، وكاد يقضي علــى الخلافة العباسية، حتى إنه ضرب الدراهم و الدنانير في الكوفة [3]، ونقش عليها :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [4] .

اضطر نائب الخليفة – الحسن بن سهل – أن يكتب إلى القائد هرثمة بن أعين يطلب منه القدوم عليه،لصد هجمات ثورة الطالبيين. وبعد إلحاح قبل ذلك وتوجّــه إلى بغــداد[5]، فجمع الجيوش ووحّد الصفوف، للوقوف أمام أبي السرايا ومطاردتــه، فقــصد الكوفــة، وحاصرها وأعطى أهلها الأمان إن هم سلّموا[6]، ولما شعر أبو السرايا أنّ الكوفيين بــدؤوا يميلون إلى هرثمة، قام يوم الجمعة، وخطب فيهم خطبة طويلة ذمّهم فيها، ثم قال [7]:

وَمَارَسْتُ أَقْطَارَ الــبِلادِ فَلَــمْ أَجِــدْ ... لَكُمْ شَبَهاً فِيمَا وَطِئْتُ مِــنَ الأَرضِ

خِلافَاً وَجَهــلاً و انتِــشَارَ عَزِيمَــةٍ ... وَوَهْناً وَعَجزاً فِي الشَّدَائِدِ وَ الخَفْــضِ

لَقَدْ سَبَقَتْ فِيكُمْ إِلى الحشْرِ دَعْــوَةٌ ... فَلا عَنْكُمُ رَاضٍ ولا فِــيكُمُ مُرضِــي

سَأبعِدُ دَارِي مِنْ قِلىً عَــنْ دِيَــارِكُمْ ... فَذُوقُوا إِذَا وَلَّيْــتُ عَاقِبَــةَ الــبُغْضِ

---

(1) هو محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.(الطبري: ج ٨/ ص ٥٢٩، الكامل : ج٥/ ص ١٧٥) أما المسعودي فيقول إنّه : محمد بن محمد بن يحيى بن زيد، والصحيح ما أثبتناه لإجماع المصادر على ذلك. (مروج الذهب : ج٤ / ص ٦).

(2) الطبري : ج٨ / ص ٥٣٠ ، مقاتل الطالبيين : ص ٥٣٤.

(3) الطبري : ج ٨/ ص ٥٣٠.

(4) سورة الصف : آية ٤ .

(5) الطبري : ج ٨ / ص ٥٣٠ – ٥٣١ ، مقاتل الطالبيين : ص ٥٣٥.

(6) الطبري : ج ٨ / ص ٥٣٣-٥٣٤

(7) المصدر السابق : ص ٥٤٦.

ثالثاً : مقتل أبي السرايا و نهاية الثورة:

في السادس من المحرّم سنة ٢٠٠ هـ هرب الطالبيون وأبو السرايا من الكوفة بعد هزيمة ساحقةٍ لهم، وكانوا يقصدون القادسية، فلاحقهم الجيش العبّاسي فتركوها يريدون بلدة "رأس العين" في الجزيرة وهي بلدة أبي السرايا، فاعترضت طريقهم فرقة من الجيش العباسي كانت تطاردهم، فجرح أبو السرايا، وفرّ الكثير من جيشه[1]، ووقع أبو السرايا ومحمد بن محمد الطالبي في الأسر، وأرسلا إلى الحسن بن سهل و هو بالنهروان، فأدخل محمد بن محمد عليه فقرّبه منه وقال : " لا خوف عليك ..لعن الله من غرّك" ، ثم قتل أبا السرايا، وقطعه نصفين وصلبه على جسري بغداد [2]، وذلك في ١٠ من ربيع الأول سنة ٢٠٠ هـ.[3]

وهكذا قُضي على ثورة ابن طباطبا و أبي السرايا، بعد أن كادت تقضي على الخلافة العباسية، لولا وصول القائد هرثمة بن أعين، الذي قاد الجيش العباسي إلى النصر النهائي، كما أنّ تخلي أهل الكوفة عن أبي السرايا، ثمّ هروب أكثر جيشه، مما كان له أكبر الأثر في نجاح العباسيين في القضاء على هذه الثورة الخطيرة.

٣- ثورة يحيى بن عمر الطالبي في الكوفة:

أولاً : قائد الثورة وأسبابها ودوافعهاوأحداثها :

قام بهذه الثورة رجل من الطالبيين اسمه يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، اتّصف بالشجاعة والفروسيّة ، واشتهر بالعدل والإنصاف، وكان ديّناً و خيّراً، حسن السّيرة [4]، كثير التعطّف و المعروف على عامة الناس.

وكانت ثورته في سنة ٢٥٠ هـ .[5]

كان يحيى بن عمر قد تعرّض للسجن أيام المتوكل [1]، ثمّ وصل إلى بغداد بعد إطلاق سراحه، فأقام فيها بحالٍ سيئة، إذ لزمه الدّين وضاق به ذرعاً[2]، ثم رحل إلى سامُرّا، فلقي

---

[1] الطبري : ج ٨/ ص ٥٣٤ .

[2] المصدر السابق : ج ٨/ ص ٥٣٥ ، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ / ص٤٤٧ ، مروج الذهب: ج ٤ / ص٢٧.

[3] الطبري : ج ٨ / ٥٣٥ ، النجوم الزاهرة : ج ٢ / ص ١٦٦.

[4] الفخري، ابن الطقطقي " ص ٢٣٨ ، مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٩ ، مقاتل الطالبيين : ص ٦٣٩.

[5] الطبري : ج ٩/ ٢٦٦ ، مروج الذهب :ج ٤ / ص ١٤٧.

أحد عمّال المتوكل المكلّف برعاية شؤون الطالبيين ومتابعة أرزاقهم، فطلب منـه رزقـه، فزجره عامل المتوكّل وردّه بشكل غليظ.[٣]

وكان أول عمل قام فيه يحيى في الكوفة هو الهجوم على بيت المال فيها، إذ استولى على مافيه وفرّقه على أصحابه، ثم فتح السجنين اللذين فيها، وأخرج جميع من كان فيهما [٤].

بعد ذلك خرج يحيى من الكوفة إلى سوادها، وهناك ازداد عدد أنصاره، وتبعته جماعـة من الزيدية [٥]، فعظم أمره وازداد خطره على الدولة العباسية، وعندما وصلت أخبار ثورته إلى بغداد، أرسل إليه أميرها محمد بن عبد الله بن طاهر جيشاً بقيادة ابن عمه الحسين بـن إسماعيل، وعزّزه بكثير من القواد من ذوي البأس والنجدة.[٦]

عندما علم يحيى بأمر هذا الجيش توجّه إلى الكوفة سار بجيشه الذي لا يمتلـك الخـبرة الحربية ولا التدبير حتى وصل إلى الجيوش العباسية وذلك في ١٣ رجب ٢٥٠هـ. [٧]

ثانياً : مقتل يحيى ونهاية الثورة :

وفي منطقة الكوفة دارت رحى معركة هي أبعد ما تكون عن التكافؤ في القوة، فقـد كانت جيوش الخلافة منظمة و مدربة تمتلك الخبرة العسكرية والقتالية، بينما كان أنـصار الثورة لا يمتلكون التنظيم، فضلاً عن الخبرة و التدبير و الشّجاعة[٨]. فأسفرت هذه المعركـة عن قتل يحيى بن عمر، إذ قُطع رأسه و أرسل إلى الخليفة المستعين لينصبه في بغـداد ببـاب الجسر [٩].

---

[١] الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٦ ، مقاتل الطالبيين : ص ٦٣٩.

[٢] الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٦.

[٣] المصدر السابق .

[٤] الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٧ ، مقاتل الطالبيين : ص ٦٤٠.

[٥] الطبري : ج١٩ / ٢٦٧.

[٦] المصدر السابق، مقاتل الطالبيين : ص٦٤١.

[٧] المصدر السابق، مقاتل الطالبيين : ص ٦٤٢.

[٨] الطبري : ج ٩/ ص ٢٦٨.

[٩] المصدر السابق : ج٩/ ص ٢٧٠ ، مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٧.

يقول الأصفهاني : " وما بلغني أنّ أحداً ممن قُتل في الدولة العبّاسية من آل أبي طالب رُثي بأكثر ممن رثي به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر ما قيل فيه".[1]

ومن الذين رثوا يحيى الشّاعر أحمد بن أبي طاهر[2]، والشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي [3]، وكذلك الشاعر الكبير ابن الرومي، إذ رثاه بقصيدة طويلة يقول في مطلعها:

أَمَامَكَ فَانظُرْ أيَّ نَهْجَيْكَ تَنْهَجُ   طَرِيْقَانِ شَتَّى مُسْتَقِيمٌ وَ أَعْوَجُ [4]

وهكذا انتهت ثورة يحيى بن عمر الطالبي، لتُطوى صفحة أخرى من صفحات النضال الطالبي في سبيل الوصول إلى الخلافة، حقهم الشرعي – حسب ما يرون–، بيد أن هذا النضال لم يتوقف، بل تواصل ولكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة و التأثير على السلطة العباسية.

٤– ثورات الطالبيين الأخرى في العراق:

ثمة ثورات صغيرة للطالبيين قامت في أنحاء العراق، لم يكن لها من الوقت ما يمكنّها من ترك آثار سياسية أو أدبية، فقد كانت ضعيفة التأثير على مركز السلطة العباسية، ولذلك قمت بتتبّعها – استكمالاً للبحث– ورأيت أن أشير إليها باختصار حسب تسلسلها التاريخي.

أ – ثورة أبي عبدالله أخي أبي السرايا في الكوفة:[5]

قامت هذه الثورة في سنة ٢٠٢ هـ، حيث اجتمع أبو عبدالله أخو أبي السرايا مع عليّ ابن محمد بن جعفر العلويّ، ومعهم جماعة كثيرة[6]، وراحوا يقاتلون جيوش الخلافة العباسية التي جاءت للقضاء على ثورتهم،وقد تمكّنت الجيوش العباسيّة من القضاء على هذه الثورة.

---

[1] مقاتل الطالبيين : ص ٦٤٥.

[2] أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور صاحب تاريخ بغداد. (انظر الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، د. شوقي ضيف، القاهرة ، دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ١١٠).

[3] كان نقيب الهاشميين وشاعرهم في الكوفة، (انظر : مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٥٠ وما بعدها)

[4] ديوان ابن الرّومي،شرح وتحقيق :عبد الأميرعلي مهنّا،بيروت:دار ومكتبة الهلال ،ط١ ،١٤١١هـ-١٩٩١م ،ج٢/ص٢٣.

[5] الطبري : ج ٨ / من ص ٥٥٨ إلى ص ٥٦٢ ، الكامل : ج ٥ / ص ١٩٠.

[6] الطبري : ج ٨/ ص ٥٦٠ .

ب- ثورة الحسين بن محمد الطالبي في الكوفة :[١]

قائد هذه الثورة هو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبدالله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب.[٢]

أعلن الحسين ثورته في سنة ٢٥١ هـ [٣]، أي بعد ثورة يحيى بن عمر الطالبي التي سبق ذكرها، وقد كان الحسين يعرف بـ" الحرون" [٤]، وكان يقيم بسواد الكوفة ومعه من أنصاره ستّ مئة رجل، فعزم على دخول الكوفة فقتل من رجال العامل عليها أحد عشر رجلاً ففرّ الأخير منها ودخلها الحسين [٥].

وفي سنة ٢٦٩ هـ عاد وحاول الخروج في سواد الكوفة فأفسد وخرّب فيها، لكن عساكر الخلافة تمكّنت من إلقاء القبض عليه، فأودع في السجن في واسط، فمكث فيه إلى أن توفي سنة ٢٧١هـ، فأمر الموفّق بدفنه و الصلاة عليه. [٦]

جـ- ثورة علي بن زيد الطالبيّ في الكوفة : [٧]

قامت هذه الثورة في سنة ٢٥٦ هـ، وكان قائدها علي بن زيد بن الحسين بن عيسى ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.[٨]

استولى علي في بداية ثورته على الكوفة، وطرد منها نائب الخليفة، واستقرّ فيها "وبايعه نفر من عوامها وأعرابها" [٩].

---

[١] الطبري : ج ٩ /ص ٣٢٨-٣٢٩ ، الكامل : ج ٥ / ص ٣٣٠ ، مقاتل الطالبيين : ص ٦٦٥.

[٢] المصادر السابقة. وثمة اختلاف في الاسم عند ابن الأثير إذ يقول : الحسين بن أحمد بن حمزة (انظر الكامل : ج٥/ ص ٣٣٠).

[٣] الطبري : ج ٩ / ص ٣٢٨ ، الكامل : ج ٥ / ص ٣٣٠.

[٤] مقاتل الطالبيين : ص ٦٦٥.

[٥] الطبري : ج ٩ / ص ٣٢٨.

[٦] مقاتل الطالبيين : ص ٦٦٥.

[٧] الطبري : ج ٩ /ص ٤٧٤ ، الكامل ج ٥ /ص ٣٦٠ ، مقاتل الطالبيين : ص ٦٧٥ – ٦٧٦.

[٨] مقاتل الطالبيين : ص ٧٥.

[٩] المصدر السابق.

لكنّ عليّاً هذا قُتِلَ سنة ٢٥٧ هـ.[1] وبمقتله انتهت ثورته، وتفرّق أنصاره، وبنهاية هذه الثورة تكون ثورات الطالبيين في العراق التي قامت خلال الفترة التي ندرسها، قد انتهت دون أن تحقق هدفها الذي سعت إليه جميعها، ألا وهو استرداد حقّ آل البيت في الخلافة، فكانت عبارة عن محاولات ثوريّة لم يكتب لها النجاح. بيد أن معاناة السلطة العبّاسية لم تقتصر على ثورات الطالبيين، لكنها كانت تواجه ثورات أخرى كالتي كان يقوم بها الخوارج كما سنرى.

ثانياً : ثورات الخوارج في الموصل وضواحي البصرة وسواد العراق:

أ- نشأة الخوارج:

يختلف الباحثون في تحديد الجذور الأولى لنشأة الخوارج، لكن الأمر الذي يتفق عليه القدماء و المحدثون أنّ الخوارج باعتبارهم فرقةً دينية وحزباً سياسياً قد ظهروا بشكل علني وفعلي في حادثة التحكيم.[2]

وكان أولَ من حكّم أخوان هما : جعد و معدان، إذ قالا : لا حكم إلاّ لله، ثمّ شدّا على أهل الشام فقاتلا حتى قُتلا .[3]

ويعتبر كثير من المؤرخين أن قسماً كبيراً – ممن صاروا خوارج فيما بعد – هم الذين حملوا عليّاً على قبول التحكيم، فالشهرستاني يذكر أن الخوارج حملوا عليّاً على التحكيم ،

---

[1] الكامل: ج٥/ص٣٦٠.

[2] لمزيد من المعلومات، انظر الكامل في اللغة و الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٩٩٧م ، ج٣ / ص ١٢٩ وما بعدها. والطبري : ج ٥ / ص ٦٤ ، الملل و النحل، الشهرستاني، تحقيق محمد سيّد الكيلاني، دار المعرفة: بيروت، ط٢، ١٩٧٥م، ج ١ / ص١١٥، ص ١٢١، الفرق بين الفرق، البغدادي ، بيروت: ط٥، ١٩٨٢، ص ٥٧ -٦١، خزانة الأدب، البغدادي ، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١/ ص ١٥٤، أدب الخوارج ، د. سهير القلماوي، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، ١٩٤٥، ص ٥، الخوارج في العصر الأموي، نايف محمود معروف، بيروت: دار الطليعة ، ط١، ١٩٧٧، ص ٥٥، التطور و التجديد في الشعر الأموي، د.شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط٦، ص ٨٧، الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن، ترجمة : عبد الرحمن بدوي، الكويت: وكالة المطبوعات، ط٣، ١٩٧٨م، ص ٣٦.

[3] الأخبار الطوال، الدينوري، بيروت : دار المسيرة، (د.ت)، ص ١٩٦.

فلمّا لم يرضَ بنتيجته خرجوا عليه وقالوا: لِمَ حكمت الرجال، لا حكم إلاّ لله ، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان.[1]

ومن الباحثين المحدثين من يؤيد الرأي السابق، فالدكتور حسين مروة يذكر أن الخوارج ألحوا على عليّ بقبول التحكيم ثمّ غضبوا عليه حين انتهى التحكيم بخذلانه فأعلنوا خروجهم عليه[2]. ويعتبر" فلهوزن " أن أهل الدين الموجودين في المقدمة، هم أول من خفض السلاح أمام القرآن، وحذا الآخرون حذوهم، وقد هددوا علياً إن لم يستجب لهم بأن يجعلوا مصيره كمصير عثمان، ولما أدركوا الخديعة، ندموا وطلبوا من عليٍّ الرجوع عن الخطوة التي أجبروه عليها، فرفض، فخرجوا وسمّوا بالحروريّة [3].

ويبدو أن علياً رضي الله عنه كان يعرف أن رفع المصاحف مكيدة وخدعة وهذه القضية أقرّها عدد كبير من الباحثين، فأحمد أمين يعتبر أنّ التحكيم خدعة لذلك رفضها قسم كبير – جلّهم من بني تميم – لأنّ في التحكيم شكّاً في أحقية عليّ بالخلافة[4]، ويرى أحمد الحوفي أنّ قضية التحكيم حيلة لجأ إليها عمرو بن العاص لكسب الوقت وتفرقة الصفوف [5].

والثابت تاريخياً أن رفع المصاحف قد تمّ من قبل جيش الشام، وما كان لرجلٍ عُرف بالتدين والصدق و الزهد كعليّ، إلاّ أن يستجيب لحكم القرآن، على الرغم من كونه يدرك أن هذه العملية ما هي إلا مكيدة، يضاف إلى ذلك أن قسماً من جيشه دعا إلى قبول التحكيم، ومن هذا القسم خرجت الخوارج معلنة أن لا حكم إلاّ لله، فنشأ بهم أول حزب سياسي في الإسلام.

---

[1] الملل والنحل: ج ١/ ص ١١٥.

[2] النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، حسين مروة ، بيروت: دار الفارابي ، ط٢، ١٩٧٩م، ج١ / ص ٤٤١.

[3] تاريخ الدولة العربية، يوليوس فلهوزن، ترجمة :أبو ريدة. القاهرة : لجنة التأليف والترجمة و النشر، ١٩٨٦م، ص ٥٦.

[4] فجر الإسلام، أحمد أمين، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٩٦٩م، ص ٢٥٦.

[5] أدب السياسة في العصر الأموي، د. أحمد الحوفي ، بيروت: دار القلم، (د.ت) ، ص ١٧.

ب – تسميات الخوارج:

عرفت الخوارج بألقاب عدّة قبل أن يحلّ الانقسام بها، منها ما أطلق من قبل أعدائهم، ومنها ما تمسك به الخوارج لأنه يرتبط بعقيدتهم وفكرهم، ومن الألقاب التي شـــهروا بهـــا نذكر:

١– الحروريّة:

ربما كان هذا الاسم من أقدم الأسماء التي عرف بها الخوارج، ويعود إلى معركة "صفين" وانفصال الخوارج عن جيش عليّ رضي الله عنه، ونزولهم بحرواء فنـــسبوا إليهـــا وسمّـــوا "الحروريّة"[١].

وواضح أن هذا الاسم لا يحمل في مضمونه أيّة أفكار أو عقائد يتميّز بها الخوارج، فهو لا يعدو نسبة قوم إلى مكان نزلوا به، وقد ورد هذا الاسم عند شعرائهم حيث قال أحدهم:

إِنَّ الحَرُورِيّـــةَ الحَـــرَّى إِذَا رَكِبُـــوا   لا يَستَطِيعُ لَهُم أَمثَالُـــكَ الطَّلَبَـــا[٢]

٢– الشراة :

وهو من الألقاب التي عرفوا بها في بداياتهم، فمفهوم الشراية والخروج كان من الأسس الرئيسة التي قام عليها هذا الحزب، لأنّ الخوارج تقول: " شرينا أنفـــسنا في طاعـــة الله"[٣]، لذلك كان هذا اللقب محبباً إلى نفوسهم لما يتضمنه من أسس عقيـــدتهم، وقـــد ورد عنـــد شعرائهم كقول أحدهم :

سَلامٌ عَلى مَـــنْ بَـــايَعَ اللهَ شَـــارِياً   وَلَيسَ عَلى الحِزْبِ المُقِيمِ سَـــلامُ[٤]

٣– الخوارج :

وهو من أشهر ألقابهم، وأكثرها شيوعاً لدى المؤرخين والدارسين وقـــد تمـــسّك بـــه الخوارج وأعداؤهم على حد سواء، لأن كُلاًّ منهما يريد به معنى مغايراً لما يريده الآخر.

---

[١] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد، القاهرة : مكتبـــة النهـــضة المصرية، ط١، ١٩٥٠، ج١ / ص ١٩١.

[٢] ديوان الخوارج ، نايف محمود معروف، بيروت: دار المسيرة ، ط١، ١٩٨٣م، ص٢١٦. والحرّى : الشديدة.

[٣] مقالات الاسلاميين، الأشعري : ج ١ / ص١٩١.

[٤] الكامل ، المبرد : ج ٣ / ص ١١٨.

أما الخوارج فكانوا يرون في هذه التسمية معنى يتوافق مع عقيدتهم وأفكارهم، مستشهدين بقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [1]. ويشبّهون خروجهم بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. ويذكر أحد شعرائهم هذا اللقب فيقول:

كَذَبْتُمْ لَيسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمتُمْ وَلَكِنّ الخَوَارِجَ مُؤمِنُونَا [2]

٤- المحكمة :

استمدّ هذا اللقب في الأساس من حادثة التحكيم، حيث رفع المعارضون لهذا التحكيم شعار " لا حكم إلاّ لله" وهذا يعني أنه من أقدم الألقاب التي أُطلقت على الخوارج، فعندما كان " الأشعث" يقرأ كتاب التحكيم في صفوف علي، قال عروة بن أديّة : " أتحكمون في دين الله الرجال، فأين قتلانا يا أشعث..." [3].

٥- المارقة : وهو اللقب الذي أطلقه أعداء الخوارج عليهم استناداً إلى حديث " ذي الخويصرة" فالشهرستاني يذكر أن هؤلاء هم الذين قال عنهم النبي ـصلّى الله عليه وسلّم-: " إنّ مِنْ ضِئضِيءِ هذَا قَوماً يقرؤونَ القرآنَ لايجاوزُ حناجرهم ...يَمْرُقُونَ مِنَ الإسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.." [4]

لكنّ الخوارج رفضوا هذا اللّقب، ودحضوه بشكل عملي بما عرف عنهم من العبادة والتقوى حتى شهروا بذلك.

ج- فرق الخوارج:

لا يكتمل الحديث عن الخوارج ما لم نتحدث عن فرقهم والعوامل التي أثرت في انقسامهم، لأن بعض الانقسامات التي حدثت في صفوفهم ترجع إلى اختلاف مواقفهم تجاه القضايا السائدة كالخلافة والتقية والقعود...

---

[1] سورة النساء : الآية ١٠٠.

[2] ديوان الخوارج : ص ١٥٦.

[3] الأخبار الطوال ، الدينوري : ص ١٩٧

[4] صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري،ضبطه وصححه:محمدسالم هاشم ،بيروت:دار الكتب العلمية،ط١، ١٩٩٤م ،ج٣/ص٥٦٢-٥٦٣-الملل والنحل ، الشهرستاني : ج١ /ص ١٥.

والملاحظ أن الخوارج قد بقوا كتلة واحدة منذ أن فارقوا علياً في صفين إلى سنة ٦٤هـ، وخلال هذه الفترة كانت تجمعهم أفكار و معتقدات سنعرضها فيما بعد، لكن الانشقاقات بدأت تظهر في صفوفهم تبعاً لاجتهادات زعمائهم، حتى أن المؤرخين ذكروا أن فرقهم قد تجاوزت العشرين فرقة[1]، لكن الفرق الأساسية – وهي التي تفرعت عنها باقي الفرق- أربع هي :

١- الأزارقة:

تنسب هذه الفرقة إلى قائدها الأول : "نافع بن الأزرق" وهي أكثر فرق الخوارج عدداً وأحدّها شوكة، يُضاف إلى ذلك أنّها أكثر تطرفاً و تشدداً في مبادئها، لكنّ هذه الفرقة لم تعمّر إلى العصر العباسي بل تمّ القضاء عليها في عصر بني أميّة.

٢-الصُفْرِيّة :

يختلف المؤرخون حول تسمية هذه الفرقة : فبعضهم ينسبها إلى " زياد بن الأصفر"[2]، وبعضهم ينسبها إلى " عبدالله الصفّار" وذهب المبرد إلى أن سبب تسميتهم بالصفرية لصفرة علت وجوههم بعد أن أنهكتهم العبادة[3]. وذكر الأشعري أن كل أصناف الخوارج سوى الأزارقة والنجدات والأباضية قد تفرغت من الصفرية[4].

٣- النّجدات:

وتُنسب إلى " نجدة بن عامر الحنفي" وقيل عاصم[5].

وبداية هذه الفرقة تعود إلى اختلاف نجدة مع نافع بن الأزرق بعد ما أحدث الأخير من البدع، وما أظهره من تطرف مما جعل نجدة ينفصل عنه ويُبايع من قبل أصحابه أميراً للمؤمنين في اليمامة و البحرين.

---

[1] الفرق بين الفرق ، البغدادي : ص ١٧.

[2] انظر : الفرق بين الفرق، البغدادي : ص ٧ ، ومقالات الإسلاميين : ج ١ / ص ١٦٩، والعقد الفريد، ابن عبد ربه، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٦٠م، ج١/ ص ٢٢٣.

[3] الكامل ، المبرد : ج ٣ / ص١٩٤.

[4] مقالات الإسلاميين ، الأشعري: ج ١ / ١٦٩.

[5] المصدر السابق : ج١/ ص ١٢٤.

والقضية التي انفردت بها النجدات، ليس عن فرق الخوارج فحسب، وإنما عن باقي الفرق الإسلامية هي أنها أجمعت على أنه " لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتمّ إلاّ بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز"[1].

٤- الإباضية:

وهم أصحاب عبدالله بن إباض[2].

وسبب افتراق عبدالله بن إباض عن نافع هو ما أحدثه الأخير من الأقوال والأفعال، مما لا يقبل به عبدالله فانفصل عنه مكوناً جماعة لها مبادئها وأفكارها التي تختلف إلى حد كبير مع أفكار الأزارقة، فعبدالله بن إباض يقول: " إنّ مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح و الكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السرّ غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة"[3].

د – آراء الخوارج السياسية والدينية:

لم يكن الخوارج في بدء أمرهم أصحاب نظرية متكاملة، بل كانوا يخضعون لاجتهادات زعمائهم، وربّما كان انغماسهم في الحروب قد حال بينهم وبين صياغة "إيديولوجية" متكاملة لأول حزب إسلامي تمخض عن الصراع الدائر حول الخلافة، و لم يستطع الخوارج أن يكوّنوا فكرهم الخاص إلا في مرحلة لاحقة حين كان الصراع الفكري – ذو اللبوس الديني- قد بدأ يظهر و ينتشر ضمن تيارات متنوعة، وخلف هذا الصراع كانت تكمن تناقضات اقتصادية واجتماعية ظهرت غالباً على شكل ثورات قامت بها الفرق المناوئة للحكم الأموي.

لقد سجّل المؤرخون للخوارج بعض المواقف التي تبلورت منذ قضية التحكيم، وتبعها مواقف أخرى فيما بعد، ويمكنني – بشكل إجمالي – أن أذكر موقفهم من بعض القضايا الملحة آنذاك على النحو التالي:

---

(١) المصدر السابق : ج ١ /ص ١٢٤.

(٢) الكامل ، المبرد : ج ٣ / ص ١٩٤.

(٣) الملل و النحل، الشهرستاني: ج ١/ ص ١٣٤.

١-**المسألة الأولى** التي نتجت عن قضية التحكيم هي تكفير الحكمين وكل من شايعهما، يذكر البغدادي أن الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبهم " إكفار علي وعثمان و الحكمين وأصحاب الجمل و كل من رضي بتحكيم الحكمين"[١].

٢- **المسألة الثانية** التي كان للخوارج موقف واضح منها هي الخلافة أو الإمامة، وهي المسألة التي كانت سبباً رئيساً في تفرّق المسلمين وتعدد أهوائهم، وهذا الصراع حول الخلافة كان رغم مظهره السياسي الديني صراعاً طبقياً بالدرجة الأولى و لم يكن خلافاً اجتهادياً حول قضية ظنّية[٢].

وقد مارس الخوارج هذا الموقف من الخلافة فيما بينهم، فعندما حاولوا إيجاد إمام لهم، عُرضت الخلافة على أربعة من أفرادهم، وكل منهم يعتذر لأن هناك من هو أفضل منه إلى أن قبلها " عبدالله بن وهب الراسبي" قائلاً : " هاتوها أما والله لا آخذها رغبةً في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت"[٣]، وكان عبدالله هذا ذا رأي وفهم ولسان وشجاعة كما يذكر المبرد[٤]، وقد قتل في موقعة النهروان.

٣-**المسألة الثالثة** في فكر الخوارج الديني هي الربط بين الإيمان والعمل، حيث رأى الخوارج أنّ الإيمان ليس كافياً كي يكون الفرد مسلماً،بل عليه أن يعمل بكتاب الله إلى جانب إيمانه،فإذا ترك فرضاً،أو أخلّ بقول من القرآن كان مرتدّاً،ووجب قتاله وقتله. وقد أطلق الدكتور حسين مروة على هذا الرأي اسم " العمل الخارجي العضوي"[٥].

٤-**المسألة الرابعة** هي موقفهم من مرتكب الكبيرة، فهم يخرجونه من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، ويعتبرونه مخلّداً في النّار. " إنّ كل ذنب صغيراً أوكبيراً، فهو مخرّج عن الإيمان فإن مات عليه فهو غير مسلم، وغير المسلم مخلّد في النار" .[٦]

---

[١] الفرق بين الفرق ، البغدادي: ص ٥٥ ، الملل والنحل ، الشهرستاني : ج ١ / ص ١٧.

[٢] الحركات السرية في الإسلام: محمود إسماعيل، بيروت : دار القلم ، ط١، ١٩٧٣م، ص ١٩٦.

[٣] الطبري : ج ٥/ ص ٧٥ ، فرقاً : خوفاً.

[٤] الكامل ، المبرد : ج ٣ / ص ١١٨.

[٥] النزعات المادية ، حسين مروة : ج ١ / ص ٥١٠.

[٦] الفصل في الملل والأهواء و النحل، ابن حزم، بيروت: دار المعرفة ، ١٩٨٣م، ج ٤ / ص ٤٥.

وهذا الموقف المتشدّد من مرتكب الكبيرة يتلاءم مع موقفهم من الإيمان، والربط بينه وبين العمل به، وهذان الموقفان أوجبا على الخوارج قتال كل من عليّ ومعاوية لكي يبرروا موقفهم الذي اندفعوا إليه بعد قضية التحكيم في صفّين [1].

هذه بإيجاز أهم القضايا التي كان للخوارج موقف منها، وتتميز هذه المواقف بالجدّة والجرأة بالقياس إلى مواقف الآخرين من القضايا نفسها.

بعد هذا العرض الموجز عن نشأة الخوارج وفرقهم ونظريتهم السياسية والدينية، يمكننا الحديث عن ثوراتهم التي قاموا بها ضد السلطة العباسية، فعلى الرغم من تشتّت قوتهم، والضعف الذي أصابهم في أواخر العصر الأموي، فقد حاربوا العباسيين ونظموا ثورات ضدهم في أماكن مختلفة من الدولة العباسية.

وفيما يلي سأعرض لثورات الخوارج في العراق، تلك التي قامت مناهضة لسلطة خلفاء بني العباس.

١- ثورة ملبّد بن حرملة الشيباني في الجزيرة والموصل:

أولاً : أسباب الثورة ودوافعها :

أعلن ملبّد ثورته بأرض الجزيرة [2] سنة ١٣٧ هـ [3]، ضد الحكم العباسي ويبدو أن السبب الذي دفعه إلى الثورة كان غريباً إلى حدٍّ ما، فقد نزل رجل من قوّاد أهل خراسان على ملبد بن حرملة بالجزيرة، وذلك سنة ١٣٧ هـ فرأى ابنته ويقال ابنة أخيه، فقال له: يا ملبد مرْ هذه الجارية أن تغسل رأسي، فقال ملبد: بل تغسل هذه الأمة رأسك، فقال: إنّكم تأتون خراسان فلا ترضون أن يغسل رؤوسكم إلاّ نساؤنا. فأمر ملبد تلك الجارية أن تغسل رأسه، وكان ذا شعر، فأومأ إليها أن ارفعي شعره عن قفاه ففعلتْ. وخرج إليه ملبد بسيف

---

[1] النزعات المادية ، حسين مروة : ج ١ / ص ٥١٨.

[2] أرض الجزيرة : وتشمل على ديار ربيعة و مضر ، وتسمى ديار بكر، وهي ما بين دجلة والفرات. (معجم البلدان : ج ٢ / ص ١٣٤).

[3] تاريخ ابن خياط: ص ٤١٧، أنساب الأشراف: ج ٣/ ص ٢٤٨، الطبري : ج ٧ / ص ٤٩٥، تاريخ الموصل : ج ٢/ ص١٦٦، الكامل : ج ٤/ ص ٣٥٧.

قاطع فضرب عنقه، وتتبّع جنده فقتلهم هو وابن عمّ له. وسمع الخوارج بذلك فأتاه عشرون منهم فبايعوه..[١]

وأرى أن هذا السبب لم يكن السبب الجوهري في إعلان الثورة، ويمكن جعله الشرارة التي أوقدت نارها، بيد أنّ السبب الرئيسي للثورة، الذي يبدو واضحاً هو مواقف الخوارج العدائية تجاه الحكم العبّاسي، فالعباسيون من وجهة نظرهم، كبني أميّة، كلّهم لا يصلح للخلافة، ويجب مناهضتهم ورفع علم الثورة ضدّهم، وعلى أساس هذه النظرة، نجد أن نار الثورة كانت كامنة في نفوسهم باستمرار يحرّكها ويدفعها إلى الظهور أبسط الأسباب.

ثانياً : أحداث الثورة وتطوراتها:

تُعدُّ ثورة ملبّد أول ثورة للخوارج ألحقت هزائم متعددة بالقوات العباسية، فقد قام ملبد بشنّ هجوم على حامية عسكرية عباسية، فقتل قائدها، واستولى على سلاحها[٢]، وتمكّن من إلحاق الهزيمة بروابط الموصل حين سارت إليه بألف فارس [٣]، وقد أعطاه هذا النصر المبكر و السريع اندفاعاً قوياً لأن يتجه إلى الموصل، ويلحق الهزيمة بالحاميات العباسية التي تحميها، ثمّ اتجه جنوباً فلقي أحد القواد العباسيين مع جنوده قرب تكريت[٤]، فدارت بين الطرفين معركة انتهت باندحار القائد العباسي و من معه[٥].

ونتيجة للانتصارات المتوالية لملبّد رأى الخليفة المنصور أنه من الضروري التصدي لهذه الثورة، ووقْف مدّها المتزايد، بعد أنْ أصبحت تشكل خطراً على كيان الدولة وأمنها، حيث لم تستطع الخلافة العباسية، رغم تصديها لها بحملاتها الحربية من القضاء عليها، أو حصرها في منطقة معيّنة، و لم تفلح القوات العباسية بإلحاق هزيمة واحدة به حتى نهاية سنة ١٣٧ هـ .

قرّر الخليفة المنصور اتّخاذ إجراءات شديدة للقضاء على هذه الثورة؛ ولذلك جهز حملة عسكرية قوية بلغ قوامها ثمانية آلاف مقاتل، وأسند أمرها إلى القائد الكبيرخازم بن خزيمة،

---

[١] أنساب الأشراف : ج ٣/ ص ٢٤٨.

[٢] أنساب الأشراف : ج ٣ / ص ٢٤٨.

[٣] الطبري : ج ٧ / ص ٤٩٥.

[٤] تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب. (معجم البلدان : ج٢ / ص ٣٨).

[٥] أنساب الأشراف : ج ٣ / ص ٢٤٨ .

الذي توجه بقوّاته إلى الموصل، فترلها، ثمّ لم يلبث أن تحـرّك منـها، وعـسكر بقوّاتـه في ضواحيها[1].

ثالثاً: المعركة الفاصلة و نهاية الثورة:

لمّا سمع ملبّد بتحرك القوات العبّاسية، وكان يومئذ ببَلَد [2]، عبر دجلة بقواتـه يريـد الموصل، ليشنّ هجوماً مفاجئاً كعادته على القوات العباسية، لكنّ خازم بن خزيمة فطن إلى هذه الناحية التي كانت السبب في انهزام أغلب القواد الذين سبقوه، فقرّر أن يأخـذ زمـام المبادرة بالهجوم. وفعلاً تم الهجوم على ملبّد، وبذلك تغير ميزان التصادم العسكري لـصالح خازم، وبدّلت خطّته هذه وضع جيشه، من الدفاع الموضعي إلى الهجوم العام على قـوات الخوارج، التي تراجعت لأول مرّة عن خطة هجومها المفاجىء إلى حالة دفاع مؤقت عـن نفسها، لحين إيجاد فرصتها في الانقضاض على القوات العباسيّة.

واشتبك الفريقان خلال اليومين الأوّلين بسلسلة من المناوشات الحربية، لم ترجّح فيهـا كفّة أي فريق منهما على الآخر، ولكن اليوم الثالث جاء حاسماً، ففيـه وقعـت المعركـة الفاصلة، ومع أن الخوارج كسبت الجولة الأولى من المعركة، لكنها لم تلبـث أن انهـارت مقاومتها العسكرية، أمام صمود القوات العباسية. وبخطّة عسكريّة محكمة وناجحة استطاع خازم أن يحسم المعركة لصالحه، فقد قُتل ملبّد أثناء المعركـة وقتـل معـه مـن أتباعـه ١٢٥٠رجلاً[3].

وبذلك فشلت ثورة ملبّد، رغم تخطيطه الجيد لها، ورغم الانتـصارات الأوليـة الـتي حققتها على الجيش العباسي، ومع هذا فإنّ هذه الثورة، تُعدّ أول ثورة خارجية يواجههـا المنصور في صدر حكمه، ورغم أنّه تمكن من إخمادها بعد جهد، إلاّ أنهـا لم تكـن الأولى والأخيرة، فقد فتحت الأبواب، ومهدّت الطريق، لإعلان ثورات خارجيّة جديـدة علـى الحكم العبّاسي.

---

[1] الكامل: ج٤/ص٣٥٨-٣٥٩.

[2] بَلَد : مدينة على دجلة فوق الموصل. (معجم البلدان : ج ١ / ص ٤٨١).

[3] المصدران السابقان : و عند مقتل ملبّد قال أحد الشعراء:

لم يُغنِ عن ملبّد تلبيده   إذ خازم في بأسه يكيده (أنساب الأشراف : ج ٣ / ص ٢٥٠).

٢- ثور عطيّة بن بعثر التغلبي في الموصل:

أعلن عطية ثورته في الموصل في مئة من الخوارج، وكان معهم ابن الوليد بن طريف الشاري، الذي سيمر ذكره فيما بعد. ولم تشر المصادر التاريخية إلى السنة التي أعلن فيها ثورته [١]، ويرجح أن تكون بعد ثورة الملبّد، هكذا يدل سير الأحداث إلاّ أنه يمكن أن نستنتج من المعلومات التي لدينا أن عطية انحدر جنوباً إلى النهروان[٢]، ثم اتجه إلى السوس[٣]؛ ليهاجم قافلة عباسية محمّلة بالأموال، و بعد تلك المعركة توجّه عطية و أتباعه إلى الموصل، فوصلت أخبار مسيره إلى الخليفة المنصور، فوجّه إليه أبا حميد المرورّوذي، فأعدّ الأخير لعطيّة كميناً في الطريق، وتمكن من قتله، وجميع من كان معه[٤]، فانتهت ثورته.

٣- ثورة حسان بن مجالد الهمداني الخارجي في الموصل:

كوّنَ حسّان فرقته الخارجية، وأعلن ثورته سنة ١٤٨ هـ في قرية بافَخَّارى[٥]، من قرى المنائح التابعة للموصل، فتولت روابط الموصل العسكرية مسؤولية التصدي لها، فالتقت به خارج مدينة الموصل، لكنها لم تتمكن من الثبات بوجه الثورة، التي اكتسحتها بهجوم عنيف وألحقت الهزيمة بها، وأجبرتها على التراجع إلى جسر الموصل، ودخلت قوات الخوارج بقيادة حسان، سوق الجسر، فأحرقته ونهبته.

وعلم عدد من قادة القوات العبّاسية بتوجّه حسان إلى الموصل، فقرروا الوقوف بوجهه، واشتبكوا معه بمعركة شديدة، انتهت بهزيمتهم وقتل أحدهم و أسر اثنين منهم، أحدهما همدانيّاً و الآخر قيسياً، فأبقى حسان الهمداني وقتل القيسي"[٦].

وقد أدّى عمل حسان هذا، إلى حدوث انشقاق في صفوف أصحابه، لأن العقيدة الخارجيّة ترفض القبلية، لذلك أنكر عليه جماعة من أتباعه قتله للقيسي و استبقائه للهمداني،

---

(١) أنساب الأشراف" ج ٣ / ص ٢٥٠- ٢٥١ ، العباسيون الأوائل، د. فاروق عمر، بيروت: دار الإرشاد، ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ج ١ / ص ٢٥٤- ٢٥٥.

(٢) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، وكان بها وقعة لأمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مع الخوارج مشهورة . (معجم البلدان: ج ٥/ ص ٣٢٥).

(٣) السوس : بلدة من بلاد خوزستان. (معجم البلدان : ج ٣ / ص ٢٨١).

(٤) أنساب الأشراف: ج ٣ / ص ٢٥٠-٢٥١ ، العباسيون الأوائل : ج ١/ ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٥) بافَخَّارى : قرية من أعمال نينوى في شرقي الموصل . (معجم البلدان : ج ١ / ص ٣٢٦).

(٦) تارخ الموصل:ج٢/ص٢٠٤،الكامل:ج٥/ص٢٥.

فاضطربوا عليه وانصرفوا عنه، واتهموه بالعصبية، ففارقوه[1]، وبذلك اضمحلّت ثورته، بعد أن تخلّى عنه أكثر أتباعه.

٤- ثورة عبد السلام بن هاشم اليشكري فيما بين حلب و الموصل:

أعلن عبد السلام ثورته فيما بين حلب والموصل سنة ١٦٠ هـ، وقد تمكّن من إلحاق الهزيمة بعدد من قادة الجيوش الذين أرسلهم الخليفة المهدي لقتاله، ولمّا يئس الخليفة من هزيمته حاوره و كاتبه رغبةً في جعله يعدل عن ثورته، لكنّ جهود المهديّ لم تُجدِ نفعاً، فندب إلى عبد السلام ألف فارس، وأعطى كلّ واحد منهم ألف درهم، ووضعهم تحت قيادة شبيب المروزي، قائد قوات السلطة العباسية في الجزيرة، فتمكّن شبيب بهؤلاء الفرسان من قتل عبد السلام و إنهاء ثورته، وذلك سنة ١٦٢ هـ[2].

٥- ثورة ياسين التميمي في الجزيرة و الموصل:

قام ياسين بثورته في أرض الجزيرة سنة ١٦٨هـ، وتصدّى لجيوش السلطة العباسية في الموصل و ما يليها، وتمكّن من فرض سيطرته على تلك المنطقة، لكنّ الخليفة المهدي وجّه إليه اثنين من أشهر قادة العباسيين و هما أبو هريرة محمد بن فروخ و هرثمة بن أعين، فتمكّنا من قتله مع بعض أصحابه، بينما انهزم الباقون[3].

٦- ثورة حمزة بن مالك الخزاعي في الموصل:

أعلن حمزة ثورته في الموصل سنة ١٦٩ هـ، وكان على خراج الجزيرة في هذه الفترة منصور بن زياد، فعمل الأخير على تجهيز جيش و سيره إلى حمزة، فالتقى الجيش العباسي مع حمزة وأتباعه في الموصل، وحدثت بينهما معركة، انتهت بانتصار حمزة وهزيمة الجيش العباسي، وبعد هذه المعركة قوي أمر حمزة، لكنّه اغتيل على أيدي رجلين من أصحابه، فانتهت ثورته[4].

---

[1] تاريخ ابن خلدون : ج ٣ / ص ١٦٨.

[2] الكامل : ج ٥ / ص ٦١- ٦٢ ، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، د. إبراهيم الخواجة، الكويت: منشورات شركة كاظمة، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢١٢.

[3] الكامل : ج ٥ / ص ٧٠ ، شعر الصراع السياسي : ص ٢١٢ .

[4] الكامل : ج ٥ / ص ٧٧ ، شعر الصراع السياسي : ص ٢١٣ .

٧- ثورة الصّحصح الخارجي في الجزيرة و الموصل:

قام الصحصح بثورته في الجزيرة سنة ١٧١هـ، فتصدى له عاملها أبو هريرة محمد بن فرّوخ ووجّه إليه جيشاً، لكن الصّحصح هزم الجيش العباسي، وسار إلى الموصل، وهناك التقى مع الجيش العباسي فيها، ودارت بينهما معركة، قتل فيها الصّحصح كثيراً من جنود هذا الجيش، ثمّ عاد إلى الجزيرة، وسيطر على ديار ربيعة، فوجّه إليه الخليفة الرشيد جيشاً ليقمع ثورته، فالتقى معه و دارت بينهما معركة انتهت بمقتل الصحصح، فانتهت ثورته[١].

٨- ثورة الفضل الخارجي في نواحي نصيبين و الموصل:

أعلن الفضل ثورته في نواحي نصيبين سنة ١٧٦هـ، وراح يجبي الأموال من أهلها، ثمّ مدّ نفوذه على بعض المناطق المجاورة، وفعل فيها ما فعله بنصيبين، إذ جمع من أهلها أموالاً، ثمّ عاد بعد ذلك إلى نصيبين، وقرّر أن يذهب إلى الموصل، فسار إليها، فخرج إليه جيشها، لكنّه تمكّن من إلحاق الهزيمة بهذا الجيش، ثمّ عاد الجنود العباسيون لقتاله، فتمكنوا من دحره و قتله مع أصحابه[٢].

٩- ثورة الوليد بن طريف الشّاري في الجزيرة و أرض السّواد:

لعلّ أخطر ثورات الخوارج التي قامت على العباسيين هي ثورة الوليد بن طريف، فقد أعلن ثورته في أرض الجزيرة سنة ١٧٨هـ[٣]،ثمّ ساربعد ذلك إلى أرمينية، وكان يقول: [٤]

أَنَا الوَلِيدُ بنُ طَرِيفِ الشَّارِي ... قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلَى بِنَارِي

جَورُكُمْ أَخْرَجَنِي مِنْ دَارِي

وفي سنة ١٧٩هـ، رجع الوليد إلى الجزيرة واشتدت فيها شوكته، وكثر أتباعه، فعاث فيها و خرّب، فأرسل إليه الخليفة الرشيد جيشاً و أسند قيادته إلى القائد النّاجح يزيد بن

---

[١] الكامل : ج ٥ / ص ٨٤ ، شعر الصراع السياسي : ص ٢١٣ .

[٢] الكامل : ج ٥ / ص ٩٤ ، شعر الصراع السياسي : ص ٢١٣ .

[٣] تاريخ الموصل : ج ٢ / ص ٢٨٠-٢٨١ ، الطبري : ج ٨ / ص ٢٥٦- ٢٦١ ، الكامل : ج ٥ / ص ٩٧-٩٩ ، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ / ص ٤١٠ ، النجوم الزاهرة : ج ٢ / ص ٩٢-٩٦ ، وفيات الأعيان : ج ٥ / ص ٣٧٠ ، العيون والحدائق : ج ٣/ ص ٢٩٦.

[٤] تاريخ الموصل : ج ٢/ ص ٢٨٠ ، الأغاني : ج ١٢ / ص ٨٧ ، وفيات الأعيان : ج ٥ / ص ٨٦ ، ضحى الإسلام : ج ٣ / ص ٣٤٠.

مزيد الشيباني، وقال: " ليس لها إلاّ الأعرابي يزيد بن مزيد الشيباني"، فقال الشاعر بكر بن النّطاح:

لا تَبعَثَنَّ إِلَى رَبِيعَةَ غَيرَهَا ... إِنَّ الحَدِيدَ بِغَيرِهِ لا يُفْلَحُ [1]

بدأ يزيد يستعدّ للقضاء على الوليد وثورته، فقال الوليد:

سَتَعلَمُ يَا يَزِيدُ إِذَا التَقَيْنَا ... بِشَطِّ الزَّابِ أَيَّ فَتىً يكونُ [2]

فردّ عليه يزيد، وقال: [3]

تَجَهَّزْ يَا وَلِيدُ فَقَدْ أَتِينَا ... سِرَاعَاً لِلقِتَالِ وَ لِلجِلادِ

فَلَسْتُ لمزَيَدِ إِنْ لَمْ تَرونَا ... نُجَالِدُكُمْ كَأَنَّا جِسْرُ وَادِ

التقى الطرفان، وبدأت الحرب بينهما، فنادى يزيد الوليد و طلب مبارزته،فتبارزا،ثم تمكّن يزيد من قتل الوليد.فقال أحد الشعراء في ذلك:

وَائِلٌ بَعضُهَا يُقَتِّلُ بَعْضَاً ... لا يَفِلُّ الحديدُ إلا الحديدَا [4]

ولّما قتل الوليد اضطرب أصحابه من بعده، فتولّت أخته الفارعة بنت طريف القيادة من بعده، لكّن مقاومتها لم تطل، إذ خرج إليها يزيد بن مزيد، فضرب بالرمح فرسها ثم قال لها:اغربي غرّب الله عينك، فقد فضحت العشيرة، فاستحيت و انصرفت وهي تقول ترثي أخاها الوليد:

بتَّلِ نُهَاكَى رَسمُ قَبرٍ كَأَنَّهُ ... على جَبَلٍ فَوقَ الجِبَالِ مُنِيفِ [5]

وكان يزيد عندما قتل الوليد، أرسل رأسه إلى الخليفة الرشيد، وأبلغه بانتصار القوات العباسيّة على ثورته، فقال الشاعر مسلم بن الوليد يشيد بهذا الانتصار:[6]

---

(1) وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٤٩م، ج ٥ / ص ٣٧٠.

(2) تاريخ الموصل : ج ٢ / ص ٢٨٢ ، الكامل : ج ٥ / ص ٩٧ .

(3) تاريخ الموصل:ج٢/ص٢٨٢.

(4) الكامل :ج٥/ص٩٨ ،ضحى الإسلام:ج٣/ص٣٣٩.

(5) الكامل:ج٥/ص٩٨ ،ونهاكى:اسم التّل الذي دفن فيه الوليد بن طريف.(انظر وفيات الأعيان:ج٥/ص٨٧).

(6) شرح ديوان صريع الغواني"مسلم بن الوليد"،تحقيق:د.سامي الدهان،القاهرة:دار المعارف،ط٢،(د.ت)،ص٦٢-٦٣.

لَــولا يَزيــدُ وأيّــامٌ لَــهُ سَــلَفَتْ عَاشَ الوليدُ معَ الغَــاوينَ أعوامَــا
سَلَّ الخليفةُ سيفاً مِــنْ بَنِــي مَطَــرٍ يمضِي فَيختَرِقُ الأجسَــادَ و الهَامَــا

وهكذا انتهت ثورة الوليد بن طريف، بعد أن كانت –كما ذكرنا-أقــوى ثــورات الخوارج وأخطرها على الدولة العباسيّة، ولكنها لم تكن الأخيرة كما سنرى.

١٠–ثورة خراشة بن شيبان في أرض الجزيرة:

قام خراشة بهذه الثورة على السلطة العباسيّة سنة ١٨٠هـــ، وكــان مــسرحها أرض الجزيرة، لكّن جيوش السلطة العباسيّة قابلته وحاربته، وكان على قيادتها مسلم بــن بكــار العقيليّ، فتمكّن من دحره وقتله، فانتهت ثورته.[١]

١١–ثورة مساور بن عبد الحميد الشّاري في الموصل:

أعلن مساور ثورته في الموصل سنة ٢٥٢هـــ، ويبدو أن السبب الذي دفعه إلى ذلــك، هو وضع ابنه حوثرة، فقد كان محبوساً عند صاحب شرطة الموصل، وكان الأخير يخرجه من الحبس ليلاً ويحضره عنده، ويردّه إلى الحبس نهاراً، فكتب حوثرة إلى أبيه يقول له:
أنا في النهار محبوس وفي الليل عروس، فغضب مساور لذلك وقرّر الثــورة علــى الــسلطة العباسيّة.[٢]

تمكّن مساور من إخراج ابنه من الحبس، وكثر أنصاره من الأكراد والأعراب، فسار إلى الموصل ونزل بجَانبها الشرقيّ، بينما كان أميرها عقبة بن محّمد الخزاعي في الجانب الغــربيّ منها، و لم يحدث صدام موسّع بين الطرفين، لكن الذي حصل هو أنّ رجلين من أهل الموصل تقاتلا مع جماعة مساور، فقتلا، وكان حوثرة بن مساور معهم فسمع يقول:
أَنَا الغُــلامُ البَجَلِيُّ الشَّــــــارِي أَخرَجَــنِي جَــورُكُــمْ مِنْ دَارِي[٣]

وفي السنة ٢٠٣هـــ حدثت معركة بين مساور وبندار الطبري المسؤول عن حماية طريق خراسان، وكان القتال فيها شديداً، بيد أنّ النصر كان لمساور وجماعته، فقال حوثرة ابن مساور في ذلك:[١]

---

(١) الطبري :ج٨/ص٢٦٦،.الكامل :ج٥/ص١٠٣،شعر الصراع السياسي:ص٢١٣.
(٢) الكامل:ج٥/ص٣٣٤،
(٣) المصدر السابق.

فَجَعـــتُ العِـــرَاقَ بِبَنـــدَارِهَا وَحُـــزْتُ الـــبِلادَ بِأَقطَارِهَـــا

وحلـــوانُ صَـــبَّحتُهَا غَـــارَةً فقبلـــتُ أغـــرارَ غُرَّارِهَـــا

وعقبـــةُ بالموصِـــلِ أحجَرْتُـــهُ وطوّقتُـــهُ الـــذُّلَ فِي كَارِهَـــا

وتوالت انتصارات مساور على جيوش السلطة العباسيّة، مما جعله يقوى ويزداد نفوذه، إذ استولى على أكثر أعمال الموصل، ودخلها وصلّى الجمعة في جامعها وخطب في أهلها[٢].

استمر مساور يقارع جيوش السلطة العباسيّة، فيهزمهما مرّة، ويهرب من وجوه قادهّا مرّات، إلى أن جاء أجله حيث توفي سنة(٢٦٣هـ) ،وبوفاته ضعف أتباعه،إذ انقسموا على أنفسهم وتحاربوا فيما بينهم،فلم يعد لهم تأثير ذوبال في الساحة السياسيّة.

وبانتهاء ثورة مساور تنتهي ثورات الخوارج التي قامت ضدّ سلطة بني العبّاس في الفترة التي ندرسها. فعلى الرغم من تعدّدها استطاعت السلطة العبّاسية القضاء عليهـا، والتوجـه لغيرها من الثورات التي كانت تقوم هنا أو هناك.

ثالثاً:ثورة يعقوب بن اللّيث الصّفّار حين دخل العراق:

بدأ يعقوب حياته عاملاً في مهنة"الصفر"في سجستان، وكان يشاركه في هـذا أخـوه عمرو، وكانا كلاهما يظهران الزّهد والتّقشف، وكان في أيامهما رجل من أهل سجـستان يظهر التطوّع بقتال الخوارج يقال له:صالح المطوّعي، فصحبه يعقوب وقاتل معه، وأصبح في عداد رجاله، فأعجب به صالح فجعله خليفته إذا غاب عن جماعته، لكّن صالحاً ما لبث أن مات.وعلى أعقاب ذلك تولّى يعقوب قيادة المتطوّعة بقتال الخوارج خلفاً لـصالح، وقـام بمحاربة الشّراة، فانتصر عليهم، فاشتدت شوكته، وقوي أمره، وسيطر على سجستان كلّها، وأظهر التمسك بطاعة الخليفة العباسّي، وراسله واستجاب لأمره.

وفي سنة٢٥٣هـ توجّه يعقوب من سجستان إلى منطقة هراة من خراسان، فهزم واليها وسيطر عليها، فأصبح أمير خراسان يحسب له ألف حساب[٣] .

---

(١) المصدر السابق :ج ٥/ ص ٣٣٦ .

(٢) المصدر السابق :ج ٥/ ص ٣٤٦.

(٣) الكامل:ج٥/ص٣٣٨.

وفي سنة٢٥٥هـ استولى يعقوب على كرمان، وانتصر على جيوش السلطة الحاكمة فيها، وضمّها إلى سجستان لتصبح تحت سيطرته. وفي سنة٢٥٧هـ، سار يعقوب إلى فارس، فبعث إليه الخليفة المعتمد ينكر عليه ذلك، وكتب إليه ولّي العهد أبو أحمد الموفّق بتوليته على بلخ و طخارستان[١]، وسجستان و بلاد السّند، فقبل يعقوب بذلك وعاد إلى سجستان[٢].

إعلان الثورة المباشرة ودخول العراق:

لّما أحسّ يعقوب بقّوته وكثرة أتباعه نازع السلطة العباسّية، وراح يطمع في المُلك، فنشب الصراع بينه وبين سلطة الخليفة، ولكّن هذا الصراع كان يشتّد حيناً ويفتر حيناً، تبعاً لسياسة السلطة العباسيّة معه، ففي سنة٢٦٢هـ ولّى الخليفة المعتمد يعقوب خراسان و طبرستان و جرجان والرّيّ وفارس والشرطة ببغداد[٣]، لكّن هذا لم يُرضِ يعقوب، إذكان يطمع في أكثر من الولاية على أجزاء محدّدة من الدولة، ونتيجة لذلك تحّرك نحو العراق في جيوش عظيمة[٤].

زحف يعقوب نحو عسكر السّلطان، فالتقى العسكران، واشتّد القتال، فهزم يعقوب واستبيح عسكره، وأخذ المعتمد من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدوابّ[٥]وهرب يعقوب إلى خوزستان[٦].

ويقال إنّ يعقوب قال في رحلته هذه أبياتاً ينكر فيها على المعتمد ومن معه إضاعتهم الدّين، وإهمالهم أمر صاحب الزّنج.يقول:[٧]

خُرَاسَانُ أَحوِيْهَا وَأَعمَالُ فَارِسِ ... وَمَا أَنَامِنْ مُلْكِ العِرَاقِ بِآيِسِ

---

[١] بلخ:مدينة مشهورة بخراسان.(معجم البلدان:ج١/ص٤٧٩)،طخارستان:ولاية كبيرة واسعة،وهي من نواحي خراسان.(معجم البلدان:ج٤/ص٢٣).

[٢] الطبري:ج٩/ص٤٧٦ ،الكامل:ج٥/ص٣٦٣

[٣] الطبري:ج٩/ص٥١٦،الكامل:ج٥/ص٧.

[٤] مروج الذهب:ج٤/ص٢٠٠.

[٥] الطبري:ج٩/ص٥١٧-٥١٨،مروج الذهب:ج٤/ص٢٠٠،الكامل:ج٦/ص٨.

[٦] الكامل:ج٦/ص٨.

[٧] مروج الذهب:ج٤/ص٢٠١-٢٠٢.

إِذَا مَا أُمُورُ الدِّينِ ضَاعَتْ وَأُهمِلَتْ وَرَثَّتْ فَصَارَتْ كَالرُّسُومِ الدَّوارِسِ
خَرَجتُ بِعَونِ اللهِ يُمناً وَنُصرةً وصَاحِبُ راياتِ الهُدَى غيرُ حارِسِ

استقرّ يعقوب بعد هزيمته في جند يسابور، وكانت له فيها بعض المعارك مع عساكرالسلطة العباسيّة، و لم يقتصر الأمر على ذلك بل امتدّ قتاله حتى وصل إلى الزّنج، فكانت بينه وبينهم معركة في الأهواز، لكّن يعقوب أمر أصحابه بالكفّ عن محاربة الزّنج، والاقتصار على المقام بالأهواز[1].

وفي سنة ٢٦٥هـ مرض يعقوب مرض الموت، وبينما هو على فراشه، جاءه رسول الخليفة المعتمد برسالة يستميله فيها و يترضّاه ويقلّده أعمال فارس، لكّن يعقوب ردّ على الرسول فقال"قل للخليفة إنني عليل، فإن متّ فقد استرحت منك واسترحت منّي وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلاّ هذا السيف حتى آخذ بثأري أوتكسرني..." [2]، و لم يلبث يعقوب أن مات، فتولّى أمر جماعته بعده أخوه عمرو بن الليث، فكتب إلى الخليفة بطاعته، فولاّه الموفّق خراسان، وفارس، وأصبهان، وسجستان، والسند، وكرمان، والشرطة ببغداد[3]، فانحصر نشاطه في تلك البلاد.

---

(١) الطبري: ج٩/ص٥٣١-٥٣٢،الكامل: ج٦/ص١٤.

(٢) الكامل: ج٦/ص٢١.

(٣) الكامل: ج٦/ص٢٢.

رابعاً:ثورة الزّطّ وموقفها من النّظام و السّلطة:

عرف العرب الزّطّ في فترة ما قبل الإسلام؛ لأنّ أعداداً كبيرة من هؤلاء استقرّت في الجهات الدنيا من بلاد الرافدين،وخدم بعضهم جنوداً في جيوش الدولة الساسانيّة،وشاركوا في التّصدّي للمسلمين في بداية الفتوح(1).كما أنّ أعداداً أخرى كبيرة استقّرت في بلاد البحرين، وشارك بعضهم-فيما يروى-في فتنة الردّة(2).

ويرد ذكر الزّطّ في بيت شعر للمتنخّل بن عويمر الهذلي، وهو شاعر جاهلي، حيث يقول(3):

كَأنَّ وغَى الخُمُوشِ بجانبيهِ   وَغَى رَكْبٍ أُمَيْمَ أُولي زِيَاطِ(4)

وإذا كان ذكر الزّطّ يرتبط بالموسيقى والغناء، فإنّ الأعشى الكبير -أعشى بكر-عُرف بصّناجة العرب؛ لأنه كان يتغنّى بشعره، وربما كان هو أول من ضمّن الصّنج بعض شعره(5)

وهذا يعني أنّ الصّنج عرفه العرب قبل الإسلام، والصّنج كلمة معربة(6)، وربّما كان استخدام العرب لهذه الآلة، واستخدام الأعشى لها في شعره، بسبب صلاقم بمن جاورهم من الزّطّ في بلاد البحرين، والمعروف أنّ بعضاً من بطون بكر التي ينتمي إليها الأعشى-وغيرها من بطون ربيعة-كانت تتّخذ هذه البلاد مترلاً لها.

---

(1) فتوح البلدان،البلاذري،تحقيق:د.صلاح الدين المنجد،القاهرة:مكتبة النهضة المصرية،(د.ت)،ج2/ص459وما بعدها.

(2)المصدر السابق:ج2/ص460-461.

(3)جمهرة أشعار العرب،القرشي،تحقيق:علي محمد البجاوي،القاهرة:دار نهضة مصر،(د.ت)،ص485.

(4) الوغى:الصّوت و الجلبة.(تاج العروس:ج20/ص3000) . الخموش:البعوض،في لغة هذيل.(تاج العروس:ج9/ص112). بجانبيه:أي بجانب الماء.(تاج العروس:ج10/ص272) . أميم:ترخيم أميمة صاحبة الشاعر. زياط:يريد الزّطّ.

(5) الشعر والشعراء،ابن قتيبة، تحقيق:أحمد محمد شاكر،القاهرة:دار إحياءالكتب العربية،1346هـ،ج1/ص214.

(6) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم،الجواليقي،تحقيق:أحمد شاكر،القاهرة:دار الكتب المصرية، 1361هـ،ص214،المخصّص،ابن سيدة،بيروت:دار الآفاق الجديدة،(د.ت)،السّفر:13/ص11،شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل،الخفاجي،تصحيح:نصر الهوريني،مصر:المطبعة الوهبية،1282هـ،ص7.

والجدير بالذكّر أنّ المصادر العربيّة تتحدّث عن الزّط على نحو واضح ابتداءً بفتنة الرّدة، وأنّ هذه المصادر، في حديثها عنهم، كانت تُردِفُهم في أحوال كثيرة، وفي سياق واحد بقوم يدعون السيابجة، وقوم آخرين يدعون الأساورة، ولدينا نصوص تجمع ثلاثتهم[١]، أو تجمع بين الزّطّ والسيابجة[٢]، أو بين الزّطّ و الأساورة[٣]، بل وبين السيابجة و الأساورة.[٤]

ويرد ذكر الأساورة و السيابجة في شعر يزيد بن مفّرغ الحميري، و هو شاعر إسلامي[٥]، إذ يتحدّث عن تجربته في السجن، ويصفهم بأنّهم كانوا سجّانين،يقول[٦]:

حيٍّ ذَا الزَّورِ و انْهَهُ أنْ يَعُودَا	إنَّ بالبابِ حَارِسِينِ قُعُودَا
مِنْ أسَاوِيرَ لا يُنُونَ قِيامَاً	وخَلاخِيلَ تُسهِرُ المولُودَا
وَطَمَاطِيمَ مِنْ سَبابِيجَ غُتْمٍ	يُلبِسُونِي مَعَ الصَّبَاحِ قُيُودَا[٧]

ويغلب لدينا أنّ السيابجة فريق من الزّطّ، تميّزوا عن سائرهم ببشرتهم السوداء، وأن الأساورة أقرباء للزّطّ، أو أنهم ينتمون مثلهم إلى بلاد السّند.

عندما نشبت الفتنة الأولى، فإنّ زطّ البصرة و سيابجتها، يقودهم أبو سالمة الزطي اتّخذوا جانب عليّ عليه السلام، فحاموا عن بيت المال باعتبارهم حفظته[٨]، وقاتلوا مع عثمان بن حنيف والي المدينة، إلى أن اقتحمها طلحة و الزبير والسّيدة عائشة رضوان الله عليهم[٩]، لكّنهم عاودوا قتال هؤلاء يوم الجمل، وكان يتزعمهم"علي دنور بن علي"[١]،

---

(١) فتوح البلدان: ج٢/ص٤٦٠.

(٢) فتوح البلدان: ج١/ص١٩٢، ج٢/ص٤٦١-٤٦٣ ،أنساب الأشراف،البلاذري،القسم الثاني من الجزء الرابع،تحقيق:ماكس شلو سنجر،القدس:الجامعة العبرية ،١٩٣٨م،ص ١٠٦، ١١٢،وانظر أيضاً:الطبري: ج٤/ص ٤٦٨، ٤٧٣.

(٣) فتوح البلدان: ج٢/ص٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦٤.

(٤) الطبري: ج٨/ص١١٦-١١٧

(٥) طبقات فحول الشعراء،ابن سلام الجمحي،تحقيق:محمود محمد شاكر،القاهرة:مطبعة المدني،١٩٧٤م، ج١/ص٣٦٢.

(٦) ديوان يزيد بن مفّرغ الحميري،تحقيق:عبد القدوس أبو صالح،بيروت:مؤسسة الرسالة،١٩٧٥م، ص١٠٠ .

(٧) أساوير:أي أساورة،وطماطيم أي الأعاجم في لسانهم طمطمة أي عجمة،غتم:أي لديهم عجمة في النطق.

(٨) المصدر السابق: ج٢/ص٤٦٢-٤٦٣ ،مروج الذهب: ج٢/ص٣٦٧.

(٩) فتوح البلدان: ج٢/ص٤٦٢-٤٦٣،الطبري: ج٤/ص٤٦٨،مروج الذهب: ج٢/ص٣٦٧.

علي"[1]، ويذكر الكشّي خبراً عن سبعين رجلاً من الزّطّ ادّعوا الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

بعد موت يزيد بن معاوية، اضطرب حبل بني أمّية في البصرة ولاذ إليها عبيد الله بن زياد ببلاد الشّام، وقد استخلف مسعود بن عمر الأزدي، ففزعت تميم-وهي المنافس الرئيسي للأزد-إلى الأحنف بن قيس سيّدها وسيد المضرّية، فأرسل الاساورة فقتلوا مسعوداً، ونشبت الحرب بين تميم و مواليها من الزّط و السيابجة و الأساورة وبين الأزد و ربيعة[3].

وفي ذلك يقول الشّاعر[4]:

ويُغنِي الزُّطُّ عبدَ القيسِ عنَّا وتكْفِينَا الأَسَاوِرَةُ المَزُونَا[5]

تجدّدت معارضة الزّطّ وحلفائهم لبني أميّة، وكان من أثر ذلك إجلاؤهم إلى سواحل الشام، والحقيقة أنّ معاوية بن أبي سفيان هو الذي بدأ هذه السياسة، فأرسل إلى السواحل قوماً من زطّ البصرة و السيابجة، وأنزل بعضهم أنطاكية، و أضحت لهم في هذه المدينة محلّة عرفت بالزّطّ[6].

عمل الزّطّ في العصر الأموي سجّانين، فهذا الفرزدق يخاطب هشام بن عبد الملك، ويشير إلى سجنه، فيقول[7]:

أبيتُ تطُوفُ الزُّطُّ حَولي بجُلجُلٍ عليّ رقيبٌ منهُمُ كالمحالِفِ

---

(1) الطبري: ج٤/ص٥٠٥.

(2) معرفة الناقلين عن الأئمة الصّادقين(رجال الكشي)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، كربلاء: مؤسسة الأعلمي، (د.ت)، ص١٠١.

(3) أنساب الأشراف، ج٤، ق٢، ص١٠٦، ١١٢- ١١٣.

(4) لسان العرب، ابن منظور، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م، ج٧/ص٣٠٨.

(5) يقصد بعبد القيس ربيعة من باب تغليب الجزء على الكّل ،ويقصد بمزون عمان كناية عن الأزد كبرى قبائلها.

(6) فتوح البلدان: ج١/ص١٩٢.

(7) ديوان الفرزدق، شرح: د.عمر فاروق الطّباع، بيروت: شركة دار الأرقم، ط١، ١٩٩٧م، ص٤٢١.

أحس الزّطّ بعد أن تكاثرت أعدادهم، و توافد إليهم إخوان لهم من بلادهم الأصلية أنّ الفرصة مهيّأة لإثارة متاعب ضّد الدّولة [1]، وكانت هذه بدورها تسارع دائماً للقضاء على هذه المتاعب.

١-بداية الثورة و أحداثها:

إبّان الفتنة التي نشبت بين الأمين والمأمون، كثر عيث الزّط في أنحاء البطيحة، و لم يلبث أن "ضوى إليهم قوم من أبّاق العبيد و موالي باهلة و خولة محمد بن سليمان بن علي و غيرهم فشجعوهم على قطع الطريق و مبارزة السلطان بالمعصية"[2].

عندما استقرّت الأمور في يدي الخليفة المأمون، عهد إلى عيسى بن يزيد الجُلوديّ حرب الزّطّ، وذلك في سنة (٢٠٥)هـ[3].لكّن المعلومات عن حرب عيسى معهم غير متوافرة، والذي نعلمه أنّه لدى عصيان نصر بن شبث-وهو من العرب-على المأمون في سنة٢٠٩هـ قال:ويلي عليه(يعني المأمون) لم يقوَ على أربع مئة ضفدع تحت جناحه(يعني الزّطّ)يقوى على حلبة العرب!!"[4].وهذا يعني أنّ جهود المأمون في حرب الزّطّ لم تصل إلى نتيجة حاسمة.

وعلى الرّغم من انشغاله كذلك بثورة بابك، إلا أنّ المعتصم لم يتوان في مواجهة الزّطّ، فقد أرسل إليهم عُقيب ولايته جيشاً بقيادة أحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي، لكنّ الزّطّ هزموه[5]، فأرسل جيشاً آخر في سنة (٢١٩هـ)يقوده عجيف بن عنبسة، وقد عني المعتصم بهذا الجيش على نحو فائق، و لم يمنع عُجيفاً شيئاً مما طلبه من مال و عتاد، ونظّم البريد، بحيث كانت الأخبار تأتي إليه يوميّة من ساحة المعركة[6].

---

(١) أخبار الراضي بالله و المتّلقي بالله من كتاب الأوراق، الصولي ،نشر:ج هيورث.دن، القاهرة: مطبعة الصاوي ١٩٣٥م ،ص٤٣.

(٢) فتوح البلدان: ج٢/ص٤٦٢.

(٣) الطبري: ج٨/ص٥٨٠ ،الكامل: ج٥/ص١٩٧.

(٤) الطبري :ج٨/ص٥٩٩ ،تجارب الأمم: ج٦/ص٤٥٥.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج٢/ص٤٧٢.

(٦) فتوح البلدان: ج٢/ص٤٦٢، الطبري: ج٩/ص٨.

و في الوقت نفسه نظّم الزّطّ أنفسهم وترأسهم رجل يدعى محمد بن عثمان، وكـــان صاحب حربه رجل يدعى سملق[1].

سار عجيف في عشرة آلاف من أصحابه، حتى وصل إلى واسط شماليّ البطيحة فـسدّ أنهارها(أي قنواتها)، حتى يحول بين الزّطّ و بين التّنقّل في أنحائها، ثم شرع في حربهم وقتـل ثلاث مئة منهم، وأسر خمس مئة فضرب أعناقهم، وأرسل بها إلى المعتصم وواصل تعقّبه لهم عدّة شهور[2].

وإلى هذه الواقعة ينوّه دعبل بن علي الخزاعي، وهو شاعر معاصر، فيقول[3]:

لَمْ أرَ صَـفاً مثـلَ صـفِّ الـزُّطِّ ... تسعينَ منـهُمْ صُـلِبُوا في خَـطِّ[4]

منْ كُـلِّ عـالٍ جَذعُـهُ بالـشَّطِّ ... كأنَّـهُ في جذعِـهِ الْمُـشتَطِّ[5]

أخُـو نُعـاسٍ جَـدَّ في التَّمطِّـي ... قَـدْ خَـامَرَ النّـومَ و لَمْ يَغُـطِّ[6]

والجدير بالذّكر أنّ عجيفاً استعان في حربه هذه ببعض الأقباط المصريين الذين سبق لهم أن عاشوا في بيئة مشابهة، فأفاد من خبرتهم على نحو فائق[7].

٢- نهاية الثورة واستسلام الزّطّ:

استمرت الحرب سجالاً حتى نهاية سنة٢١٩هـ، و لم يجد الزّطّ بّداً من طلب الأمـان، فأجابهم عجيف بشرط أن ينتقلوا من البطيحة إلى مناطق الثغور مع الرّوم[8].

---

(١) الطبري: ج٩/ص٩، تاريخ ابن خلدون: ج٣/ص٢٥٧.

(٢) الطبري: ج٩/ص٨-٩ ،تجارب الأمم: ج٦/ص٤٧١- ٤٧٢، المنتظم،ابن الجوزي: ج١١/ص٤٢.

(٣) ديوان دعبل الخزاعي،تحقيق:عبد الكريم الأشتر، دمشق:مجمع اللغة العربية بدمشق،ط ٢ ، ١٩٨٣م ، ص ٣٨.

(٤) الخطّ:الطريقة المستطيلة في الشيء. (القاموس المحيط: ج٢/ص٥٤٥).

(٥) المشتطّ:يريد بها الطويل. (الكامل، المبرد: ج٣/ص٣٨).

(٦) الغطيط:صوت تنفس النائم. (القاموس المحيط: ج٢/ص٥٧١).

(٧) تاريخ الزمان،ابن العبري، ترجمة الأب:إسحاق أرملة،بيروت:دار المشرق،١٩٨٦م،ص٢٩.

(٨) الطبري: ج٩/ص١٠- ١١ ،تجارب الأمم: ج٦/ص٤٧٢-٤٧٣.

كانت عّدة الزّطّ-كما تقرّر مصادرنا-سبعة وعشرين ألفاً، أمر المعتصم بنقلهم إلى الشمال[١]."وقد علّق أحد شعرائهم على هذه المأساة مذكّراً سلطة بغداد بلجوئها في حرب الزّطّ إلى قوّاد عبيد كشناس وأفشين وغيرهما، ودعا أهل بغداد إلى أن يندبوا ما ضاع من تمرهم خلال سطوات الزّطّ به" [٢]، فهو يقول في مطلع قصيدته[٣]:

يَا أهلَ بغدادَ مُوتُوا دَامَ غيظُكُمُ	شوقاً إلى تمرِ بَرنّيٍ و شُهريزِ[٤]
نحنُ الذينَ ضَربناكُمْ مجَاهَرَةً	قَسراً وسُقناكُمْ سَوقَ المَعَاجِيزِ

٣- أحوال الزّطّ بعد انتهاء ثورتهم:

انتهت ثورة الزّطّ بعد انتصار عجيف بن عنبسة عليهم، واستسلامهم، ونفيهم إلى مناطق متفرقة، لكن مصادرنا تختلف في تحديد الجهة التي استقرّ بها الزّطّ، فبينما يتّفق اليعقوبي[٥] والطبري[٦]على أنّهم ذهبوا إلى خانقين[٧]، ثمّ نُقلوا إلى عين زربة فإن البلاذري[٨] ينفرد-وحده-بأنّ بعضهم صار بخانقين و فُرّق سائرهم في عين زربة.

استقرّت الحال بالزّطّ في أطراف الدّولة عشرين سنة، إلى أن أغار الروم على عين زربة في سنة٢٤١هـ، فأسروا من كان بها من الزّطّ، مع نسائهم وذراريهم وجواميسهم وبقرهم[٩].

---

(١) الطبري: ج٩/ص١٠-١١.

(٢) المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط،إبراهيم حركات، بيروت:أفريقيا الشرق،١٩٩٨م،ص١٩١.

(٣) الطبري: ج٩/ص١٠-١١،الكامل: ج٥/ص٢٣٣-٢٣٤.

(٤) برني:نوع من التمر. (القاموس المحيط: ج٤/ص١٨٢)، شهريز:ضرب من التمر في نواحي البصرة(تاج العروس: ج٨/ص٨١).

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج٢/ص٤٧٢.

(٦) الطبري : ج٩/ ص١٠، وانظر أيضا: تجارب الأمم:ج٦/ص٤٧٢-٤٧٢ ،والمنتظم، ابن الجوزي: ج١١/ص٥٠-٥١.

(٧) خانقين:بلدة بالسّواد بين بغداد و همذان. (معجم البلدان: ج٢/ص٣٤٠- ٣٤١).

(٨) عين زربة:أو عين زربى،بلدة بالثغر من نواحي المصيصة. (معجم البلدان: ج٤/ص١٧٧- ١٧٨).

(٩) فتوح البلدان: ج٢ / ص٤٦٢.

ويعدّ عام ٢٤١هـ عاما فارقاً في تاريخ الزّطّ، ففيه بدأ اقتحامهم عالماً جديداً، يختلف عن عالمهم الذي عاشوا فيه سنوات طويلة، على أنّ ما حدث لهم من نفي في سنة٢٢٠هـ، ثم سبي في سنة٢٤١هـ، لم يكن نهاية للوجود الزّطّي في تاريخنا؛ لأن هؤلاء المنفيّين ثمّ المسبيّين كانوا فريقاً من الزّطّ، و لم يكونوا الزّطّ كافة، إذ نجد أنّ ثمّة تجمّعين زطّيين:الأوّل في بلاد الشّام، وهم ما يسّمون الآن بـ"النّور"، والثّاني ما تبقى منهم في بطائح العراق، وقد كان لهؤلاء الزّطّ بعض المشاركات في الأحداث السياسية، فقد شارك بعضهم في حركة القرامطة التي أتعبت الدولة العباسيّة مّدة طويلة[1].

خامساً: ثورة الزّنج و الدّعوة إلى تحرير الإنسان:

تتميّز ثورة الزّنج عن الثورات التي درسناها سابقاً، تميّزاً واضحاً، إذ إنّها درست دراسة تاريخيّة أكثر من مرّة، وقد اختلف أصحاب هذه الدراسات في تقييم هذه الثورة، فبينما رأى أكثرهم أنّها ثورة تحرّرية تدعو إلى تحرير الإنسان و القضاء على الرقّ و العبوديّة[2] رأى الطرف الآخر أنها فتنة سوداء، وحلقة من حلقات التآمر على الإسلام[3].

وكان العمل الرئيس الذي اُستُخدم فيه الزّنج هو إزالة الطبقة الملحيّة –السّباخ- التي تغطّي الأراضي، وإظهار التربة الخصبة الصالحة للزراعة، ونقل السّباخ وجعله في أكوام أو تلال للإفادة منه في الوقت نفسه.

وكانت النّظرة السائدة للزّنج نظرة الازدراء و الاحتقار، وقد عبر الجاحظ عن نظرة معاصريه إليهم بقوله: [4]"وقد علمنا أنّ الزّنج أقصر الناس مدة وروية، وأذهلهم عن معرفة العاقبة، فلو كان سخاؤهم إنما هو لكلال حدهم ونقص عقولهم وقلّة معرفتهم..." ومن

---

(١) كنز الدرر وجامع الغُرر ، ابن آيبك الدواداري،تحقيق:صلاح الدين المنجد،القاهرة:١٩٨١م ،ج٦/ ص٩٠.

(٢) يرى ذلك الباحثان:د.فيصل السامر في كتابه:ثورة الزنج ،بغداد، دار القارئ ،١٩٥٤م ،وأحمد علبي في كتابه:ثورة الزنج وقائدها علّي بن محمد،بيروت:دار الفارابي،١٩٩١م.

(٣) هذا ما يراه الباحث:محمد عثمان جمال في كتابه: الفتنة السوداء أو ثورة الزّنج، القاهرة:دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع،١٩٨٤م.

(٤)البخلاء ،الجاحظ ،دمشق،مطبعة ابن زيدون،١٣٥٧هـ-١٩٣٨م ،ص٢٥٣.

الأمثلة السائرة آنذاك:"إنّ العبد إذا جاع نام وإذا شبع زنى"[١]. وكان ثمن العبد في عمان كان يتراوح بين٣٠-٣٥دينارا[٢].

لذلك كلّه كان الزّنج مهيّئين للثورة، ينتظرون من يقدح زنادها ليمشوا وراءه ويضربون بسيفه، فلمّا جاء عليّ بن محمد سارعوا إلى الالتفاف حوله، وقاموا بثورتهم التي أقلقت الدولة العباسيّة ما يزيد عن أربعة عشر عاماً[٣].

١- قائد الثورة عليّ بن محمد:

ولد عليّ بن محمد في قرية "وَرزَنين[٤]"التي تقع على مقربة من طهران الحاليّة في إيران، و"ورزنين"هي "من أعيان قرى الرّي"[٥]، وقد أمضى عليّ بن محمد سنيّ نشأته فيها [٦].وأمّا نسبه فهو في عبد القيس، وأمه قرّة بنت علي بن رحيب بن محمد بن حكيم، من بني أسد بن خزيمة[٧].وهناك اضطراب بين المؤرخين في نسب عليّ بن محمد.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ عليّ بن محمد لم يتّصل بأحد من عبد القيس التي كانت تحلّ في هجر، كذلك فإن هذه القبيلة شاركت في محاربته والإيقاع به مرارا[٨]، مما دعاه إلى ذكرها في شعره، ونفسه تضطرم بالحقد عليها، وهذا ما يدعونا إلى التشكك في نسبه إلى عبد القيس، فهو يقول[٩]:

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، آدم متز،ترجمة د.عبد الهادي أبو ريدة، مصر،(د.ت)،ج١/ص٢٧٨.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي،جرجي زيدان،القاهرة(١٩٠٢-١٩٠٦م) ،ج٤/ص٤٨.

(٣) الطبري:ج٩/ص٦٦٣ ،مروج الذهب: ج٤/ص٢٠٧ ،تاريخ الأمم الإسلامية"الدولة العباسيّة"، الشيخ محمد الخضري ،تقديم و مراجعة:د.أحمد حطيط، بيروت دار الفكر اللبناني ،ط ١، ١٩٩٤م ، ص ١٩٧.

(٤) الطبري: ج٩/ص٤١٠ ،شرح نهج البلاغة ،ابن أبي الحديد، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،بيروت:دار الجيل،١٩٩٦م ،م٤-ج٨- ص١٢٧.

(٥) معجم البلدان: ج٥/ص٣٧١.

(٦) شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد:م٤-ج٨-ص١٢٧.

(٧) الطبري: ج٩/ص٤١٠.

(٨) المرجع السابق:ص٣٠.

(٩) التنبيه و الإشراف ،المسعودي:ص٣٥٦.

أتحسَبُ عبدُ القيسِ أنّي نَسيتُها   ولستُ بنَاسيهَا ولا تَارِكاً ثَارِي

رحل علي بن محمد من البادية إلى البصرة [1]، ولم يقم بها طويلاً، لكنّه كسب فيها بعض الأتباع، كان أهمهم عليّ بن أبّان المعروف بالمهلّبي، من ولد المهلّب بن أبي صفرة[2]، وعليّ هذا سيكون له دور بارز في ثورة الزّنج[3].وكانت البصرة المحطّة الأخيرة التي استقرّ بها عليّ بن محمد، وذلك بعد سماعه بإطلاق سراح جماعته المحبوسين فيها، وما إن وصل وأعوانه البصرة حتى شرعوا في دعوة الزّنج واستنفارهم إلى الثورة.

٢- أسباب الثورة ودوافعها:

لكّل ثورة في التاريخ أسباب ودوافع، وهذه تكون- غالباً - سياسيّة واجتماعية واقتصاديّة، فما أسباب ثورة الزّنج ودوافعها؟

إنّ هذه الثورة كانت نتيجة أوضاع قائمة، فجاءت تعبيراً"مسلّحاً"عن الرفض لهذه الأوضاع، وإنّني أجد أنّ الأسباب الاقتصاديّة والاجتماعية والسياسيّة متشابكة ومتداخلة، يختلط بعضها ببعض، وإنّ تقسيمنا إيّاها هو من مقتضيات البحث.

(أ) الأسباب السّياسيّة:

يعّد عهد الخليفة العباسّي هارون الرشيد العهد الذهبي في الخلافة العباسيّة[4]، فقد كان عهداً مزدهراً بالعلوم، ممتدّاً في الفتوحات، موطّداً في الأركان، بيد أنّ الخلفاء من بعده أصبحوا يعتمدون على غير العرب، كالفرس والأتراك، في توطيد حكمهم وحماية دولتهم، الأمر الذي أدّى إلى سيطرة هؤلاء العجم على أمور الخلافة.

---

(١) الطبري:ج٩/ص٤١١،شرح نهج البلاغة ،ابن أبي الحديد:م٤-ج٨- ص١٣٠.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) ثورة الزّنج وقائدها عليّ بن محمّد ،أحمد علبي:ص٣٣.

(٤) المرجع السابق:ص٧٥.

ففي عهد المعتصم، الذي كان"يتشبّه بملوك الأعاجم ويمشي مِشيَتهم"[1]، اشتدت سطوة الأتراك وقويت شوكتهم في البلاط العباسّي. وكان الخليفة المعتمد أول خليفة قُهِر و حُجِر عليه ووكّل به[2]، الأمر الذي دعاه أن يصف حاله التي وصل إليها، فهو يقول[3]:

أَلــيسَ مــنَ العَجَائــب أنّ مثلــي — يُــرَى مَــا قَــلَّ مُمتنعــاً عليــه؟

وتُؤخَــذُ باســمه الــدُّنيا جميعــاً — ومــا مــنْ ذاكَ شــيءٌ في يديــه

إليــه تُحمــلُ الأَمــوالُ طُــرّاً — و يُمنعُ بعــضُ مــا يُجْبى إليــه

في هذا العهد الذي أصبح فيه الخلفاء ألعوبة بأيدي الأتراك، كان الجّو ملائمــاً لقيــام حركات ثوريّة معارضة، يتطلع أصحابها نحو تسلّم السّلطة.بينما كانت الجيوش العبــاسيّة —على الرّغم من ضعف الخلفاء في هذه الفترة—مــشغولة في حــروب كــثيرة، ومتعــدّدة الجبهات:مع الروم على الحدود، ومع القبائل في الجزيرة العربية، ومع يعقــوب الــصّفّار في سجستان[4]، وغير ذلك من التراعات الداخلية.في هذه الظروف القاسية والأحوال السياسية المضطربة ظهرت ثورة الزّنج في العراق، وكان قائدها عليّ بن محمد يتطلّع نحو قصور الخلافة في بغداد، فيقول[5]:

لهــفَ نفــسي علــى قُــصُور ببَغــدا — دَ و ما قدْ حَوَتْهُ منْ كُــلِّ خَــاص

إنّه ينظر حوله فيتألّم، ويبصر حياة بعض الخلفاء والأمراء في قصور بغداد، والتي هــي حياة لهو وتمتّك وانحلال، فيمتلئ قلبه بالحقد ويقسم أنّه سيكون هادم سلطان الدولة الــتي وضعت مقدّراتها بيد"الخصيان"[6].

---

(1) تاريخ الخلفاء ،السيوطي،تحقيق:سعيد محمود عقيّل، بيروت :دار الجيل،ط ١ ، ١٤٢٤هـ—٢٠٠٣م ، ص٣١٦.

(2) تاريخ الخلفاء ،السيوطي:ص٣٤٣.

(3) تاريخ الخلفاء ،السيوطي:ص٣٤٣.

(4) أي ثورة يعقوب الصّفّار التي تحدثنا عنها سابقاً.

(5) ذيل زهر الآداب،الحصري، تصدير:الشيخ عبد العزيز البشري، المطبعة الرحمانية بمصر ،(د.ت)،ص١٥٧.

(6) ثورة الزّنج،فيصل السّامر :ص٤٦.

(ب)الأسباب الاقتصاديّة:

من الطبيعي أن يكون كلّ مجتمع مكوّناً من طبقات، وهذه الطبقات تخضع في تطوّرها وتحوّلها أو ربّما زوالها، للعوامل الاقتصادية التي تشكّل عاملاً مهمّاً في تقدّم المجتمع.فإذا أردنا التحدث عن الناحية الاقتصاديّة للدولة العباسيّة في النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري، فإننا سنجد"أنّ مالية الخلافة كانت في تأخّر ملحوظ"[1]، وسبب ذلك أنّ بعض الخلفـــاء و الأمراء قد أسرفوا في تبذير الأموال وصرفها في شؤونهم الخاصة، ولياليهم المترفة، وأهوائهم الشّخصية، فالمعتصم ألبس حرسه التركي"أنواع الديباج والمناطق المذهّبة"[2]، ثم أصبح هـــذا الحرس جيشاً نظاميّاً، فصرف عليه المعتصم الأموال الطائلـــة، فكـــان أن ازدادت نفقـــات الخلافة[3].

أمّا طبقات المجتمع العبّاسي، فقد توزّعت على ثلاث طبقات:أوّلها طبقة الإقطاعيين التي تملك الأراضي الواسعة، وثانيها طبقة التّجار الذين توافرت الأموال بين أيديهم، ووظّفـــوا أموالهم في الزراعة، وثالثها الطبقة العامّة التي تتألف من الكادحين والفلاحين البعيدين عـــن مراكز الحياة السياسية[4].

كانت الطبقة الإقطاعيّة تملك الأراضي، وتعتمد على الزراعة مصدراً لثرواتها[5]؛ ولذلك شهد القرن الثالث الهجري تطوّراً كبيراً في الزّراعة، إذ انتقلت هذه من ميدان ضيّق إلى آخر رحب واسع[6]، الأمر الذي أدّى إلى جلب أعداد جديدة من العبيد الذين شـــكّلوا تلـــك الطبقة الفقيرة الكادحة، فكانوا أدوات إنتاج رخيصة، جُلبت بأعداد هائلة، وحُـــشِدت في منطقة البصرة، حيث نشبت ثورتهم الكبرى[7].

---

(١) ثورة الزّنج وقائدها عليّ بن محمد،أحمدعلي:ص٨٩.

(٢) مروج الذهب:ج٤/ص٥٣.

(٣) الخراج في الدولة الإسلامية،محمد ضياء الدين الريّس، مكتبة نهضة مصر،١٩٥٧م، ص٤٦٤.

(٤)ثورة الزّنج وقائدها عليّ بن محمّد،أحمد علي:ص٩٤.

(٥) المرجع السابق.

(٦)ثورة الزّنج،فيصل السّامر:ص٢١.

(٧) ثورة الزّنج وقائدها عليّ بن محمّد، أحمد علي:ص٩٩.

(ج)الأسباب الاجتماعيّة:

كان الزّنج في عملهم معّرضين لرقابة صارمة وإهانات مستمّرة[1]، وكانوا يعملون على شكل جماعات كبيرة العدد، فقد بلغ عدد إحدى الجماعات خمسة عشر ألف غلام[2]، وهذا يدلّ على أنّ حالة الزّنج كانت سيئة إلى أقصى حّد، ومما زاد في سوء حالتهم الاجتماعية و النّفسيّة، أنّهم لم يكونوا على هيئة أسر مكوّنة من آباء وأمّهات وأبناء؛ لأنّهم أبعدوا عـــن أسرهم في وطنهم الأصلي وحرموا نعمة الاستقرار العائلي، ووضعوا في بيئة غريبة عنـــهم، دون أن تربطهم أيّة رابطة من التعاطف والتآلف والانسجام مع سادتهم[3].

ولعلّ أكبر برهان على سوء أحوال الزّنج الاجتماعيّة إقبالهم على أوّل من دعاهم إلى الثورة إقبالاً منقطع النّظير[4].

٣-أحداث الثّورة:

بدأت ثورة الزّنج سنة٢٥٥هـــ، في عهد الخليفة المهتدي بالله محمد بـــن الواثـــق[5]، وكانت بداية الثورة بخروج عليّ بن محمد في فرات البصرة، وكان أوّل ما فعله أنّه قـــبض على خمسين عبداً كانوا في طريقهم إلى عملهم في كسح السّباخ، ثّم أخذ خمس مئة غلام في موضع آخر، وبقي يتصيّد العبيد حتى اجتمع إليه بشر كثير منهم.وكان من بينهم جماعة من وجهاء الزّنج الذين أصبحوا فيما بعد قوّاداً ممتازين في جيش الثورة [6].وكان لابدّ لعليّ بن محمد أن يعمل على كسب ثقة هؤلاء العبيد فألقى فيهم خطبته الأولى التي وضّح فيها برنامجه الذي يتضمّن وعوداً منه بأن يملّكهم الأموال، وألاّ يغدر بهم، ولا يخذلهم، ولا يدع شيئاً من الإحسان إلاّ أتى به إليهم[7].

---

(١) المرجع السابق:ص٢٣.

(٢) الطبري: ج٩/ص٤١٤، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:م٤-ج٨- ص١٣٤.

(٣) ثورة الزّنج ،فيصل السامر:ص٢٥.

(٤) المرجع السابق:ص٢٧.

(٥) الفخري،ابن الطقطقي:ص٢٤٢.

(٦) شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد:م٤-ج٨- ص١٣٣.

(٧) الطبري: ج٩/ص٤١٤.

استطاع صاحب الزّنج أن يبرهن على عبقريته في القيادة، وبُعد نظره في رسم الخطط الحربية، فقد حشد كلّ مواهبه لكسب النصر في هذه الفترة المبكّرة، كيف لا وهو الذي يرى أن لا مثيل له، وأنه لا يشاركه أحد في اكتساب المعالي، إذ يقول[1]:

وَمَالي في الخلق منْ مُشبه ولا في اكتسَاب العُلا مَنْ شَريك

هاجم الزّنج، بعد أن اشتد ساعدهم، الأُبلّة، وهي الميناء التجاري العظيم الذي كان يقع على شاطئ شطّ العرب، وتمكّن الزّنج من دخول المدينة بعد معركة عنيفة قصيرة كسب عليّ بن محمد في نهايتها كمّيات هائلة من السّلاح، كما قام بتحرير العبيد الذين وجدهم في المدينة([2])،وبعد احتلال هذه المدينة زحف الزّنج إلى غيرها، وضمّوه إلى سيطرتهم، وبهذه الطريقة تمكّن صاحب الزّنج في أقل من سنة واحدة من أن يُخضع لسلطانه مدناً عظيمة الأهمّية، ويسيطر على مصب دجلة، الأمر الذي أثّر سلباً على بغداد التي اختلّت مواصلاتها فتعرضت تجارتها لأضرار بالغة[3].

عندما أصبح أبو أحمد الموفّق وليّ عهد لأخيه المعتمد، وذلك سنة ٢٥٦هـ[4]، أخذ على عاتقه محاربة الزّنج، فقد بدأ أعماله الحربيّة معهم سنة٢٥٧هـ، فأرسل جيشاً بقيادة أحد غلمانه، واستطاع هذا الجيش أن يكبّد الزّنج خسائر فادحة أول الأمر[5]، غير أنّ قائد الجيش العباسي أصيب بجراح خطيرة أرغمته على الانسحاب ليعيد تنظيم جيشه[6].وبعد ذلك دارت وقعات بين الزّنج وبين هذا الجيش، انتهت بهزيمة قائد الجيش العباسيّ[7].

٤-احتلال البصرة:

يبدو أنّ صاحب الزّنج كان يهدف من كلّ احتلالاته السابقة للقرى و المدن المحيطة بالبصرة، إلى احتلال البصرة نفسها، فقد وضع خطة محكمة لإتمام هذا الأمر، فقد حشد

---

(١) ذيل زهر الآداب:ص١٥٦.

(٢) المرجع السابق:ص٨٥.

(٣) المرجع السابق:ص٨٧.

(٤) الفخري ،ابن الطقطقي:ص٢٤٥.

(٥) ثورة الزّنج،فيصل السامر:ص٨٧.

(٦) الطبري:ج٩/ص٤٧٧.

(٧) المصدر السابق:ج٩/ص٤٧٨.

حيرة قوّاده لدخول البصرة، فأعطى القيادة العامّة إلى عليّ بن أبّان المهلّبي، ووزّع الآخرين على الفِرق التي قسّم جيشه إليها، ومن ثمّ أعطى أوامره بدخولها سنة ٢٥٧هـ، فدخلها الزّنج وراحوا ينتقمون من أهلها شرّ انتقام، إذ أعملوا سيوفهم في رقاب أهلها، كما أضرموا النيران فيها، فحلّ الخطب، وأيقن أهلهابالهلاك[١].

ومن الطبيعي أن يذكر الشعراء هذه الكارثة العظيمة في شعرهم، فهذا الشاعر يزيد بن محمد المهلّبي يصف صاحب الزّنج بأنّه خائن، و يبشّره بالدّمار لأنّه دمّر البصرة، فيقول[٢]:

أيّهَا الخَائنُ الذي دَمّرَ البَصْـ ـرَةَ أبشرْ منْ بعدهَا بدَمَار

ويقف ابن الرومي بقصيدة طويلة رائعة على هذه الكارثة، فيرثي أهل البصرة ويذكر ما حلّ فيهم على يد الزّنج من دمار و خراب وهلاك، فيقول في مطلعها[٣]:

ذادَ عَنْ مُقلَتـى لذيذَ المَنَام شُغلُهَا عنهُ بالدُّمُوع السِّجام

أيُّ نَوم منْ بعد مَا حَلّ بالبَصْـ ـرَة منْ تلْكُمُ الهَنَات العظَام؟

بدأت الخلافة العباسيّة تشعر بخطر الزّنج، وظهر أنّ الرجل الوحيد القادر على مواجهة الموقف هو وليّ العهد الموفّق، الذي شرع بتنظيم جيش ضخم "لم يُر أحسن منه عدّة، وأكمل سلاحاً وعتاداً، وأكثر عدداً وجمعاً"[٤].وقد أوقع هذا الجيش الضّخم الرّعب في قلوب الزّنج ،وكادت عزيمتهم أن تنهار،لكن زعيمهم أدرك الخطر فأرسل يستدعي قائده علي بن أبان المهلّبي من الأهواز[٥].

كان الموفّق رجلاً صاحب عزيمة ثابتة، وميل للغلبة والتنفّذ، وعلى يديه تمّت الأمور الهامّة في هذا العهد[٦]، ففي سنة٢٦٦هـ بدأت الأمور تتحوّل في حروبه مع الزّنج، إذ كان

---

(١) الطبري: ج٩/ص٤٨٥.

(٢) ذيل زهر الآداب:ص١٥٤.

(٣) ديوان ابن الرّومي :ج٦/ص١٣١.

(٤) الطبري: ج٩/ص٤٩٢.

(٥) المصدر السابق: ج٩/ص٤٩٤.

(٦) تاريخ الأمم الإسلامية، الخضري: ص١٩١.

لانتهاء ثورة يعقوب الصّفّار أثر واضح على الجيوش العباسية، تلك الـتي بـدأت قوّتها بالظهور؛ لالتئامها جميعاً في مواجهة الثورة السوداء.

تسلّم الموفّق قيادة الجيش العباسيّ بنفسه، وأصبح يدير دفّة القتال ضدّ الزّنج[1]، فتمكّن من احتلال بعض المدن التي كان الزّنج يسيطرون عليها، ولاحت بشائر النصر أمام جيشه، فازداد حماسة و شجاعة و إقداماً، بينما آلمت هذه الأحـداث صـاحب الـزّنج إيلامـاً شديداً[2].وإلى ذلك أشار الشاعر يحيى بن خالد بن مروان في قوله: [3]

صَـالَ الموفّـقُ بِـالعِرَاقِ فَأَفْزَعَـتْ مَنْ بِالمغَـارِبِ صَـولةُ الأبطَـالِ

٥-نهاية الثّورة:

توالى انتصار الموفّق على الزّنج، وكانت مدنهم و حصونهم تسقط في يده الواحدة تلـو الأخرى، والجدير بالذكر أنّ الموفّق أثناء هذه الانتصارات، قام بإرسال كتاب إلى صـاحب الزّنج يدعوه فيه إلى التوبة و الإنابة إلى الله عزّ وجلّ، مما ركب من سفك الدماء، وانتـهاك المحارم، وإخراب البلدان، واستحلال الفروج و الأموال،ووعده بالعفو عنه وإكرامه .غير أنّ الموفّق لم يستلم أيّ ردّ على كتابه هذا، الذي لابد وقد زاد من إصرار صاحب الزّنج علـى المضيّ في ثورته[4].ولايُستغرَب هذا الموقف من صاحب الزَّنج ؛لأنّه يقول: [5]

قتلـتُ النَّـاسَ إشْـفَاقاً علـى نفـسِيَ كَـيْ تَبْقَـى

وحُـزْتُ المَـالَ بالـسَّيْفِ لِكَـيْ أَنْعَـمَ لا أَشْـقَى

فمَـنْ أَبْـصَرَ مثـوايَ فـلا يظلِـمْ إذاً خَلْقَـا

فـوا ويْلِـي إِذَا مَـا مُـتُّ عِنْـدَ اللهِ مَـا أَلْقَـى

---

(١) ثورة الزّنج، فيصل السّامر: ص١١١.

(٢) الطبري: ج٩/ص٥٦٧-٥٦٩.

(٣) المصدر السابق : ج ٩/ ص ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٤ .

(٤) ثورة الزّنج، فيصل السامر:ص١١٤.

(٥) رسالة الغفران،لأبي العلاء المعري،تحقيق:د.عائشة عبد الرحمن"بنت الشاطئ"،دار المعـارف،ط٧،د.ت،ص٤٤٩- شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي و العباسي إلى عهد سيف الدولة، د. زكي محاسني، القـاهرة : دار المعارف بمصر، ١٩٦١م. ص ١٦٦.

أَخُلْـــــــدَاً في جِـــــــوارِ اللهِ　　　أَمْ في نَـــــــارِهِ أُلْقَـــــــى

اقتصر سلطان الزّنج بعد سقوط مدنهم و حصونهم في يد الموفّق، على"المختارة" التي هي عاصمة صاحبهم وأقوى حصونه وأمنعها، و ما جاورها من أرجاء نهر أبي الخصيب"وهو نهر عريض غزير الماء"[١]، وقبل أن يقوم الموفّق بهجومه الحاسم على"المختارة"، قرّر أن يضرب عليها حصاراً اقتصادياً، فيقطع عنها المؤن ويحوّلها إلى معسكره[٢].

استغرق حصار"المختارة"ثلاث سنوات، أي من سنة٢٦٧ إلى سنة ٢٧٠هـ، أي حتّى نهاية الثّورة[٣]، كان الموفّق خلالها يخطّط ويدبّر لاقتحام هذه المدينة المحصّنة، بينما كانت الجيوش العباسيّة تقوم بهجمات سريعة ومباغتة لمدينة صاحب الزّنج، وذلك لإلقاء الرعب في قلوب الزّنج المحاصرين الذين نال منهم الجوع و الإعياء إلى حدّ كبير.وفعلاً آتت هذه الخطّة أُكُلَها، حيث كثرت حالات طلب الأمان لدى الزّنج و قوّادهم[٤].

يبدو أنّ الموفّق أدرك أنّه كان يحارب خصماً قويّاً وعنيداً، فطلب نجدة من عاصمة الدولة، فوصلت إليه بقيادة صاعد بن مخلد، وكانت مكوّنة من عشرة آلاف محارب[٥]، كما أنّ لؤلؤاً وهو أحد قوّاد ابن طولون المنشقّ عليه قدم لنصرة الموفّق"في جيش عظيم من الفراغنة و الأتراك و الرّوم و البربر و السودان و غيرهم"[٦]. وحقيقة كان لهذه الفرقة التي أتى بها لؤلؤ أثر عظيم في انتصار العباسيين، حتّى إن بعضهم نسب إلى لؤلؤ قَتل صاحب الزّنج، وكسب النصر النهائي، وعبّر أحد الشعراء عن ذلك بقوله[٧]:

كَيْفَمَـــــا شِـــــئْتُمْ فَقُولُـــــوا　　　إِنَّمَـــــا النَّـــــصرُ لِلُولُـــــو

هاجمت هذه القّوات الضّخمة مدينة صاحب الزّنج"المختارة"، وبعد معارك عنيفة وضارية مع الزّنج، جاءت الأنباء بمصرع عليّ بن محمّد، وحمل أصحاب لؤلؤ رأسه، فسرت

---

(١) الطبري: ج٩/ص٥٩٦.

(٢) ثورة الزّنج، فيصل السّامر: ص١١٥.

(٣) المرجع السابق:ص١١٧.

(٤) المرجع السابق:ص١٢١، ص ١٢٣.

(٥) الطبري: ج٩/ص٦٤٩.

(٦) المصدر السابق: ج٩/ص٦٥٠.

(٧) ثورة الزّنج، فيصل السّامر:ص١٢٥.

الفرحة في المعسكر العباسيّ، إذ كان مقتل صاحب الزّنج حدثاً ضخماً اهتزّ له الموفّق فرحاً و سروراً، حتى أنّه خرّ ساجداً بمجرد أن أبصر رأسه يحمله غلام لؤلؤ، فسجد معه سائر قوّاده[1].

وأخيراً انتهت ثورة الزّنج بعد أن دوّخت الدولة العباسية ما يزيد عن أربعة عشر عاماً، وتمكّن ولي عهد الخلافة العباسية أبو أحمد الموفّق من القضاء على هذه الثورة، وبذلك تكون نيرانها قد انطفأت، بينما علت مشاعر الفرح والسرور وجوه أهالي المنطقة التي دارت فيها أحداث هذه الثورة، إذ عاد إليهم الأمان و الاستقرار.

وهكذا عاد الزّنج إلى ما كانوا عليه قبل ثورتهم، و أُسدل السّتار على آمالهم في الحرية، وامتلاك الأموال، أُسدل السّتار وقد أُبيد أكثرهم ،وعرفوا أنّ صاحبهم لم يكن يريد من ثورتهم تحريرهم ،وإنما أراد أن يصل إلى السلطة، فاستخدمهم وسيلة من أجل تحقيق هدفه.

---

(1) الطبري: ج٩/ص٦٦٠ ،المنتظم،ابن الجوزي: ج١٢/ص٢٢٨، الكامل: ج٦/ص٥٢.

الفصل الثاني

الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات

١ – الحض على الثورة :

- التحريض المباشر .
- التهديد والوعيد .
- إثارة الحماسة .

٢ – الحملة على الخصوم وتكفيرهم (الهجاء السياسي) .

٣ – رثاء القادة الشهداء (الرثاء السياسي) .

٤ – إبراز الجوانب الإنسانية والدينية في شخصيات القادة (المدح السياسي) :

- البطولة والقدرة على خوض المعارك .
- الكرم والصفات الإنسانية .
- الحكمة والحنكة في القيادة .

الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات

كان للصراع السياسي القائم في العصر العباسي أثر واضح في تحديد الموضوعات التي طرحها الشعراء ، فاتجهوا في أشعارهم إلى إثارة الحماسة ، إذ كانوا ، على اختلاف توجهاتهم ، يبثون الروح الحماسية في نفوس الناس ، ويجتهدون في لملمة صفوفهم إما مع الثورات أو ضدها . كذلك فقد اتجهوا إلى الخوض في الهجاء والرثاء السياسيين ، فضلاً عن الخوض في المدح السياسي . وقد ظهرت في أشعارهم إشارات ، عكست شيئاً من نظريات الثورات السياسية .

وكان الشعراء ، في كل ما طرحوه ، ينقلون لنا صورة حقيقية عن ذلك الصراع الذي كان يدور بين الثورات المناهضة وبين السلطة العباسية الحاكمة ، ويطلعوننا على تفاصيل المعركة السياسية القائمة في تلك المرحلة .

١ – الحضّ على الثورة :

المعارضة لسياسة الحكام لسبب أو لآخر جزء من طبيعة البشر في كل زمان ومكان ، ولذلك قامت الثورات التي تحدثنا عنها في الفصل السابق ، وحمل شعراؤها على عاتقهم الدفاع عنها والدعوة إليها ، متعللين بأسباب كانوا يرونها كافية للقيام بثورة ضد السلطة الحاكمة ، وقد كان لكل ثورة من هذه الثورات أسبابها الخاصة ، بيد أنها تجتمع على شيء واحد هو أن الحكام العباسيين قد ابتعدوا في حكمهم عن الدين والسنة ، ودب الفساد الديني والسياسي والاجتماعي في المجتمع ، وكان لا بد من محاولة التغيير والإصلاح .

– التحريض المباشر :

كان الشعراء المناصرون للثورات يقفون موقفاً مسانداً لها ، داعماً لتوجهاتها ، إذ كانوا يحرضون بشكل مباشر على القيام بها ، ومناصرتها ، وتقديم الدعم والمساعدة لها ، فإذا علمنا أن بعض هؤلاء الشعراء هم قادة لهذه الثورات ، أدركنا مدى اجتهادهم في الدعوة لها، ومطالبة الناس بتأييدها ومساندتها . هذا ما نراه عند قائد ثورة الطالبيين ، إبراهيم بن عبد الله ، حيث يشجع أنصاره على القيام بثورة ضد العباسيين ، هؤلاء الذين اتبعوا سياسة

خاطئة مع أهله الطالبيين ، فظلموهم وعذبــوهم ، بعد أن سلبوهم حقهـــم في الخلافــة . يقول : [1]

كيـــفَ اعتـــذارِي إلى الإلــــهِ ولم ... يُشْـــهَرْنَ فيـــكَ المـــأثورةُ القُضُـــبُ !
ولم أَقُـــــدْ غـــــارةً مُلَمْلَمَـــــةً ... فيهـــا بنــاتُ الصَّـــريحِ تَنْتَحِـــبُ

وينكر إبراهيم على العباسيين ظلمهم لأهله ، فيعلن ثورته عليهم ، محرضاً أتباعه على حمــل السيوف في وجه هذه السلطة الظالمة المستبدة ، فقد تمثل قول الشاعر : [2]

مَهـــلاً بـــني عمِّنـــا ظُلامَتَنَـــا ... إنَّ بِنَـــا سَـــوْرةً مِـــنَ الغَلَـــقِ [3]
لمـــثلِكُمْ تُحمَـــلُ السُّـــيوفُ ولا ... تُغْمَـــزُ أَحْسَـــابُنَا مِـــنَ الرَّقَـــقِ [4]

وعندما ورد إلى إبراهيم خبر مقتل أخيه " النفس الزكية " ، وكان ذلك قبل عيـــد الفطـــر بثلاثة أيام [5]، صلى العيد ، وخطب في الناس ، وأخبرهم بمقتل أخيه ، ثم رثـــاه بأبيـــات اشتمل بعضها على التحريض على الثورة ، إذ بين عدم خوفه من مواجهة العباسيين ، وأكد أنه يفضل الاستمرار في الثورة ضدهم ، وشجع أنصاره على مواصلة الكفاح ضد السلطة ، فإما الفوز وتحقيق الهدف المنشود ، وإما الموت بشرف وكرامة . يقول : [6]

اللهُ يَعلَـــمُ أَنّي لَـــوْ خَشِـــيْتُهُمُ ... وأَوْجَسَ القَلْبُ مِنْ خوفٍ لهـــمْ فَزِعَـــا
لمْ يقتلُـــوهُ ولمْ أُسْـــلِمْ أَخِـــي لَهُـــمُ ... حتّى نمـــوتَ جميعـــاً أو نعـــيشَ معـــا

---

[1] الطبري : ج ٧/ ص ٥٤٥ — ٥٤٦ ، مقاتل الطالبيين : ص ٢٢٩

[2] مقاتل الطالبيين : ص ٣٧٣ .

[3] الغلق : الضجر والحدة وضيق الصدر ، وقلة الصبر . (تاج العروس : ج١٣ / ص٣٨٤)

[4] الرقق : الضعف في العظام . (تاج العروس : ج١٣ / ص ١٧٢) .

[5] الكامل : ج٥ / ص ١٧ .

[6] مقاتل الطالبيين : ص ٣٤٢ .

أما الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، فيحرض الطالبيين من أنصار ثورة إبراهيم على حمل السيف ومواجهة السلطة ، ويدعوهم إلى مواصلة الثورة بعد مقتل قائدهم ، يقول : [١]

بالسَّــيفِ يَفْـــرِي مُصْـــلَتاً هامَــاتِهِمْ بأشَـــدِّ سَـــاعِدْ

ويحث الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي أنصار أبي السرايا على القتال ومواصلة الثـورة ، ويشجعهم على تنظيم جيش ضخم يواجهون به سلطة بني العباس الظالمة ، كي يصـلوا إلى هدفهم الذي يسعون إليه ، يقول : [٢]

أَحْـــوهُمْ يَقْتَـــدِي صُـــفُوفَهُمْ زَحْفَــاً إِلــيهمْ ومَــا بِهَــا خَلَــلُ
في فَيلَـــقٍ يَمْـــلأُ الفضــاءَ بــِهِ كأَنَّمَـــا فيـــهِ عَـــارِضٌ وَبـــلُ
بِالخيـــلِ تَـــرْدَىْ وَهْـــيَ سَــاهمةٌ تحـــتَ رجـــالٍ كأنَّهـــا الإبـــلُ

ونجد الشعراء المناصرين للسلطة العباسية ، يحرضون الناس على مقاومـة الثـورات ، وأفكارها المنحرفة ، ويدعوهم إلى التكاتف والتعاون على تثبيت دعائم الدولة العباسية ، التي ترعاهم ، وتحفظ أمنهم واستقرارهم ، مؤكدين على أن هذه المقاومة تعد ثأراً مـن أعـداء الدولة .

مثل هذا نجده عند الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي ، حيث يقول : [٣]

تَفَـــرَّدَ إِذْ لَمْ يَنْصُـــرِ اللهَ نَاصِـــرٌ بتَجْديدِ دِيْـنٍ كَـانَ أَصْـبَحَ بَالِيَـا
وَتَشْدِيدِ مُلْكٍ قَدْ وَهَـىْ بَعْـدَ عِـزِّهِ وإِدراكِ ثَـــاراتٍ تُـــبيْرُ الأَعَادِيَـــا
ويُتلَى كتــابُ اللهِ في كــلِّ مَسْــجِدٍ وُيلْقَـــىْ دُعَـــاءُ الطّـــالبِينَ خَاسِـــيَا

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٨٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٥٥٦ – ٥٥٧ .

(٣) الطبري : ج٩ / ص ٦٦٣ – ٦٦٤ ، الكامل : ج٦ / ص ٥٣-٥٤ .

وكذلك نجد أن ابن الرومي ، عندما شاهد ما فعله الزنج بالبصرة ، وما أحدثوه فيها من دمار وخراب وقتل ونهب ، سارع إلى دعوة الناس إلى مواجهة هذه الكارثة المحزنة ، وحثهم على التصدي لهؤلاء العبيد الظلام ، ومقاتلتهم بكل قوة ، وبيّن أن قتالهم هو ثأر للمسلمين من أهل البصرة ، أولئك الذين ظُلموا وقُتلوا وخُرّبت بيوتهم على أيدي الزنج المجرمين ، فهو يقول : [1]

انفُروا أيُّها الكِرامُ خِفافاً	وثِقالاً إلى العَبيدِ الطَّغامِ
أَبْرَمُوا أمْرَهُمْ وَأَنْتُمْ نِيامٌ	سَوءةً سَوءةً لِنَومِ النِّيامِ
صَدِّقوا ظَنَّ إخْوَةٍ أمَّلوكُمْ	ورَجوكُمْ لنَبْوَةِ الأيّامِ
أَدْرِكوا ثَأْرَهُمْ فَذاكَ لَدَيْهِمْ	مِثْلُ الأَرْوَاحِ في الأَجْسَامِ

– التهديد والوعيد :

مثلما حضّ الشعراء على الثورة ، وكما حرض بعضهم على مقاومة الخارجين على القانون ، المناهضين للسلطة الحاكمة ، فكذلك اتجه بعض الشعراء إلى التهديد والوعيد ، إذ كانوا يوجهون تهديدهم إلى السلطة العباسية تارةً ، ويتوعدون أنصار الثورات ، ويحذرونهم من بطش قادة الجيوش العباسية تارة أخرى .

فهذا الشاعر ابن الرومي ، عندما كان يناصر ثورة يحيى بن عمر الطالبي ، نجده يوجه التهديد للسلطة العباسية ، ويحذرها من إمكانية أن يعود الملك إلى الطالبيين ، فينتقمون منهم ، ويردون إليهم سوء معاملتهم ، بل يذهب إلى أكثر من ذلك ، إذ يرى بأن العباسيين سيفقدون آنذاك الأعذار والحجج التي يمكن أن تخفف عنهم ، أو تساعدهم على الخلاص . يقول : [2]

نَظَارِ لَكُمْ أَنْ يرجِعَ الحقُّ رَاجِعٌ	إلى أَهْلِهِ يَوْماً ، فَتَشْجَوا كَمَا شَجَوا
عَلَى حِينِ لا عُذْرَىٰ لمُعْتَذِرِيكُمُ	ولا لِكُمْ مِنْ حِجَّةِ اللهِ مَخْرَجُ

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٦ / ص ١٣٥.

[2] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص٢٦ .

ويحذر ابن الرومي العباسيين من مغبة الفتن والثورات التي تثور عليهم ، وما هذه الفتن إلا نتيجة طبيعية لظلمهم وتعسفهم في حكمهم ، الذي ظهر للناس فجعلهم يثورون عليهم ، ويرفضون سياستهم الجائرة . يقول : [1]

فَلَنْ تَعْدَمُوا مــا حَنَّتِ النِّيبُ فِتْنَةً ... تُحَشُّ كَمَا حُشَّ الحَرِيقُ المُؤَجَّجُ [2]

وَقَدْ بَدَأَتْ لَوْ تَزْجَرُونَ برِيحِهَا ... بَوَائِحُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ تَبَوَّجُ [3]

ومن الطبيعي أن يورث الظلم والجور حقداً في قلوب الناس ، يجعلهم مستعدين للقيام مع أية ثورة مناهضة للسلطة ، وهذا ما يهدد ابن الرومي به العباسيين ، فيقول : [4]

نَظَارِ فَإِنَّ اللهَ طَالِبُ وِتْرِهِ ... بني مُصْعَبٍ ، لَنْ يَسْبِقَ اللهَ مُدْلِجُ [5]

لَعَلَّ قُلُوباً قَدْ أَطَلْتُم غَلِيلَهَا ... سَتَظْفَرُ مِنْكُمْ بالشِّفَاءِ ، فَتَثْلَجُ

ويتخذ التهديد شكل النصح عند ابن الرومي ، فيبين للعباسيين أنه ينصحهم بالابتعاد عن الظلم والقسوة ، واتّباع أسلوب لطيف في التعامل مع الرعية ، وأغلب الظن أن ابن الرومي يريد من العباسيين أن يحسنوا علاقتهم مع الطالبيين ، فيسلك في سبيل ذلك كل مسلك ، مهدداً مرة ، وناصحاً مرة أخرى ، يقول : [6]

هُنَالِكُم يَشْفَى تَبَيُّغُ جَهْلِكُمْ ... إِذَا ظَلَّتِ الأَعْنَاقُ بِالسَّيْفِ تُوْدَجُ

مَحَضْتُكُمْ نُصْحِي ، وإِنِّيَ بَعْدَهَا ... لأُعنِقُ فيمَا سَاءَكُمْ ، وأُهَمْلِجُ

مَهٍ ، لا تَعَادُوا غِرَّةَ البَغْيِ بَيْنَكُمْ ... كَمَا يَتَعَادَى شُعْلَةَ النَّارِ عَرْفَجُ [7]

---

[1] المصدر السابق : ج٢ / ص ٢٩ .

[2] النيب : إبل مشهورة بحنينها ، تحش : تهيج . (المصدر السابق : ج٢ / ص ٢٩) .

[3] بوائحها : جمع بائحة، وهي الداهية . الأوب : الناحية . تبوج : تنكشف وتظهر . (الديوان : ج٢ / ص٢٩) .

[4] المصدر السابق : ج٢ / ص ٣٠ .

[5] المدلج : الذي يسير في آخر الليل .

[6] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ٢٨ .

[7] تبيغ : الثورة والانتشار ، أعنق : أسير سيراً واسعاً فسيحاً ، أهملج : أمشي مشية سهلة في سرعة .

عندما هجم الزنج على البصرة ، خربوها وقتلوا معظم أهلها ، وارتكبوا فيها أبشع الجرائم ، مما جعل الشعراء يصورون هذه الكارثة العظيمة ، ويبيّنون حجم المصيبة التي حلت بالمسلمين . ومن هؤلاء الشعراء الشاعر ابن الرومي فقد تأثر بهذه الحادثة تأثراً كبيراً ، وهذا ما دفعه إلى توجيه التهديد إلى المسلمين ، كي يقوموا بمواجهة الزنج المخربين ، فإن تقاعسوا عن ذلك ، فسيكون عقابهم عند الله شديداً ، وسيحاسبهم حساباً عسيراً على تخاذلهم . يقول : [١]

أَخَذَلْتُمْ إِخْوَانَكُمْ وَقَعَدْتُمْ ... عَنْهُمُ - وَيحكَمْ - قُعُودَ اللِّئَامِ ؟

كيفَ لَمْ تَعْطِفُوا عَلَى أَخَواتٍ ... في حِبَالِ العَبِيْدِ مِنْ آلِ حَامِ ؟

لَمْ تَغَارُوا لغَيْرَتِي فَتَرَكْتُمْ ... حُرُمَاتِي لِمَنْ أَحَلَّ حَرَامِي

إِنَّ مَنْ لَمْ يَغَرْ عَلَى حُرُمَاتِي ... غَيرُ كُفءٍ لِقَاصِرَاتِ الخِيَامِ

ومثلما هدد ابن الرومي السلطة العباسية ، فكذلك عمل على تهديد قادة الثورات وأنصارها بخطر قادة الجيوش العباسية ، وبعض الوزراء ، فقد كان يرى أن صاعد بن مخلد وزير قويّ ، يتمتع بحنكة سياسية عجيبة ، لذلك قام الشاعر بتهديد المعارضين للسلطة بهذا الرجل الذي لا يفتر يواجه كل ثورة مناهضة لسلطة بني العباس ، فيضربها بيد من حديد ، ويتعامل معها بكل شدة وحزم . يقول : [٢]

لَهُ سَوْرَةٌ مُكْتَنَّةٌ في سَكِيْنَةٍ ... كَمَا اكْتَنَّ في الغِمْدِ الجُرَازُ المُهَنَّدُ

إِذَا شَامَهَا قَرَّتْ قُلُوبٌ مَقَرَّهَا ... وإِنْ سُلَّ مِنْها فَالفَرائِصُ تُرْعَدُ

كَفَى الوَعْدَ والإِيْعَادَ بِالقَوْلِ نَفْسَهِ ... بِأَفْعَالِهِ والفِعْلُ لِلْفِعْلِ أَشْهَدُ

وكان صاعد بن مخلد قد اشترك مع الموفق في حروبه مع الزنج ، وساهم مساهمة فعالة في صنع النصر ، لذلك نجد ابن الرومي يوجه التهديد إلى صاحب الزنج ، خلال حديثه

---

(١) ديوان ابن الرومي : ج٦ /ص ١٢٥ .

(٢) المصدر السابق : ج٢ / ص ١١٦ .

عن صاعد وأفعاله ، ويحذره من سوء عاقبته ، إذ يرى أن جهنم ستكون مترله في نهاية المطاف ، ولن يحظى بما سعى إليه في الدنيا . يقول : [1]

تَرَاهُ عُيُونُ النَّاظِرِيْنَ ، ودُوْنَهُ حِجَابٌ وَبَابٌ مِنْ جَهَنَّمَ مُؤْصَدُ

أما الشاعر مسلم بن الوليد ، فإنه يحذر الثائرين من بطش القائد الكبير يزيد بن مزيد الشيباني ، هذا الذي حقق الانتصارات الرائعة في كل الحروب وكان أهمها انتصاره على ثورة الوليد بن طريف الشاري ، إذ كانت أخطر ثورات الخوارج على السلطة العباسية ، ويستغل مسلم هذه الانتصارات ليضفي على يزيد كل صفات القوة والبطولة والحنكة وحسن التدبير ، ولهذا فإنه يهدد المعارضين بأن هذا الرجل لن يتهاون معهم ، بل سيكون حازماً وشديداً . يقول : [2]

حَذَارِ مِنْ أَسَدٍ ضرغَامَةٍ بَطَلٍ لا يُولِغُ السَّيْفَ إِلاَّ مُهْجَةَ البَطَلِ [3]

ونجد عند بعض الشعراء المناصرين للثورات ، تهديدات مباشرة للسلطة العباسية ، فهذا شاعر الزط ، عندما انتصر عليهم عجيف بن عنبسة ، ونفاهم إلى مناطق الثغور مع الروم [4]، وجه تهديده إلى العباسيين ، وتوعدهم بالانتقام الشديد الذي يشفي صدور الزط ، هؤلاء الذين عانوا الأمرين من سلطة العباسيين ، فحقدوا عليهم . يقول : [5]

مَتَى تَرُومُوا لَنَا في غَمْرِ لُجَّتِنَا حِذْرَاً نَصِيْدُكُمْ صَيْدَ المَعَافِيْز [6]
أَوِ اخْتِطَافاً وإِزْهَاقاً كَمَا اخْتُطِفَتْ طَيْرُ الدِّحال حَثَاثَاً بالمَنَاقِيْزِ [7]

---

[1] المصدر السابق : ج٢ / ص١٢٢ .

[2] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦.

[3] يولغ : أي يُلعقه الدم .

[4] الطبري : ج٩ / ص ١٠ – ١١ ، تجارب الأمم : ج٦ / ص ٤٧٢-٤٧٣ .

[5] الطبري : ج ٩ / ص ١١ .

[6] المعافيز : العفز : هو الجوز المأكول ، والعفز : إناخة البعير . (تاج العروس : ج٨ / ص ١٠٨) .

[7] الدحال : مسيل المياه العذبة . (تاج العروس : ج١٤ / ص ٢٢٩) ، حثاثاً : نوماً (تاج العروس : ج٣ / ص ١٨٨) ، المناقيز : النقاز : طائر أسود الرأس والعنق . (تاج العروس : ج٨ / ص ١٦٢) .

لَنَسْفَعَنَّكُمْ سَفْعَاً يَذِلُّ بِهِ   رَبُّ السَّرِيرِ ويُشْجِي صَاحِبَ التِّيزِ [1]

أما صاحب الزنج فيوجه تهديده إلى العباسيين ، من خلال افتخاره بنفسه ، إذ يبين صفاته وصفات أتباعه من الزنج ، محذراً السلطة العباسية من ثورتهم ، التي تسعى إلى هدم سلطان هذه الدولة ، مبيناً أن الزنج قادرون على إذلال أية قوة تواجههم . يقول : [2]

نَسُوقُ السُّيُوفَ بِدَفْعِ الحُتُوف   وُنْنكِي الجِرَاحَ بِكَفِّ الجِرَاحْ

وقَرْمٍ صَبَحْنَاهُ فِي دَارِهِ   بِكُلِّ أَقَبٍّ ونَهْدٍ وَقَاحْ

فَغُودِرَ بَعْدَ عِنَاقِ المِلاح   ضَجِيْعَ النَّجِيْعِ مَرْحَ الجِرَاحْ

كَلِيْلَ الأَنِيْنِ مُذَالَ الجَبِيْن   مَهِيْنَ السِّلاحِ مَهِيْضَ الجَنَاحْ

ويبين صاحب الزنج للعباسيين قدراته القتالية ، وقوة ثورته وأتباعه ، فيهددهم بذلك، ويطلب منهم أن يتقوه ويتحاشوا الصدام معه ؛ لأنه يستطيع أن يهزمهم كما هزم غيرهم من الجيوش العظيمة ، وبعض المدن والقبائل التي عارضت ثورته ولم تقدم له العون والمساعدة ، إذ دخلها وخربها وقتل أهلها وسلب خيراتها ، إنه يلوح بتهديده للعباسيين ، فيقول : [3]

لَيسَ تُبْتَنَى العُلا بِذاكَ وهَذا   لَكِنِ الضَّرْبُ عِنْدَ أَزْمِ الضُّرُوسِ

رُبَّ سَيِّدٍ يَحْمِي الخَمِيْسَ بَعَضْبٍ   ويُجَلِّي ظَلامَ لَيْلِ الخَمِيسِ

عَمَّمْتُهُ يُمْنَى يَدَيَّ بِعَضْبٍ   تَرَكَتْ جَنْبَهُ كَجَنْبِ العَرُوسِ

تُخْبِرْنَكَ الكُمَاةُ عَنْ غَدَواتِي   فِي غَدَاةِ الوَغَى أَبَا قَابوسِ

فَسَلُوا عَامِراً وعَارِضَ لَمَّا   أَنْ لُقُوا بِالفُجُورِ والتَّدْلِيسِ

---

[1] التيز : تيز : بلد على ساحل بحر الهند . (تاج العروس : ج٨ / ص ٢٢) .

[2] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ .

[3] المصدر السابق : ص ١٥٦ .

وصاحب الزنج نفسه هو الذي يُقسم للعباسيين أنه سيكون هادم سلطانهم ، وأنه يحرم على نفسه ملذات الحياة ، إلى أن يظفر بالنصر على العباسيين ، ويقوض دولتهم . يقول : (١)

فأقسمُ لا ذُقتُ القَرَاحَ وإنْ أذُقْ ... فبُلغةُ عَيْشٍ أوْ يُبَارَ عَميدُهَا

وهكذا ، كان التهديد والوعيد موضوعاً بارزاً من موضوعات شعر الثورات ، وجه من خلاله الشعراء تهديدهم لخصومهم السياسيين ، لكن هذا الشعر انطوى أيضاً على بث روح الحماسة في نفوس الناس .

– **إثارة الحماسة :**

اتجه شعراء الثورات في أشعارهم إلى إثارة الحماسة في نفوس من يناصرونهم ، فهم إن كانوا مع الثورات يثيرون الحماسة في نفوس أنصارها ، وإن كانوا مع السلطة العباسية ، فإنهم يثيرون الحماسة في نفوس الجند والناس كي يقاموا هذه الثورات .

أبدأ بالشعراء الذين كانوا يناصرون الثورات ، فقد كانوا يحاولون بث روح الحماسة في نفوس أنصارها ، ويزينون لهم عملهم الذي يقومون به ضد السلطة ، ويستنهضون هممهم ، ويشجعونهم على مواصلة الثورة ، لأن النصر لا يمكن أن يأتي إلا عن طريق القتال وحمل السيوف . ومن هؤلاء الشعراء الفارعة بنت طريف الشيبانية ، إذ تثير الحماسة في نفوس قومها من بني وائل ، كي يثأروا لأخيها الوليد بن طريف ، ذلك الذي قتله يزيد بن مزيد الشيباني ، قائد الجيش العباسي ، فتقول : (٢)

يَا بَنِيْ وَائِلٍ لَقَدْ فَجَعَتْكُمْ ... مِنْ يَزِيْدَ سُيُوفُهُ بِالوَلِيْدِ
لَوْ سُيُوفٌ سِوَىْ سُيُوفِ يَزِيْدٍ ... قَاتَلَتْهُ لَاقَتْ خِلَافَ السُّعُودِ
وَائِلٌ بَعْضُهَا يَقْتُلُ بَعْضَاً ... لا يَفُلُّ الحديدَ غيرُ الحديدِ

---

(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٧.

(٢) وفيات الأعيان : ج٥/ ص٣٧٢ .

أما شاعر الزط، فإنه يثير حماسة الثائرين منهم ، فيصف لهم هيبة قواتهم، وكثرة عددهم، ويبين أنهم قادرون على تحقيق النصر،إذا ما ثبتوا في قتالهم مع العباسيين، يقول : [١]

فَوَارِسٌ خَيْلُهَا دُهْمٌ مُوَدَّعَةٌ عَلَى الخَرَاطِيمِ مِنْهَا والفَرَارِيزِ [٢]
مُسَخَّرَاتٌ لَهَا في المَاءِ أَجْنِحَةٌ كَالآبنُوسِ إِذَا اسْتُحْضِرْنَ والشِّيزِ [٣]

وعندما نصل إلى الشعراء الذين تغنوا بانتصارات السلطة العباسية على الثورات ، نجد أنهم عملوا على إثارة الحماسة في نفوس الجند والناس ، كي يقاموا هذه الثورات ، ويساعدوا السلطة على تثبيت حكمها ، لتتمكن بعد ذلك من تحقيق الأمن والاستقرار لهم .

وأول ما يطالعنا الشاعر مسلم بن الوليد ، إذ يبين أن القضاء على ثورة الوليد بن طريف ، قد تم على يد قائد متحمس ، حازم في مواجهة المناهضين الخارجين على القانون والنظام ، هذا القائد يتمتع بصفات تجعل أتباعه يتحمسون للقتال تحت قيادته ، فشجاعته وإقدامه يبعثان في نفوس جنوده روح التضحية والفداء ، وحزمه وبطولته يجعلان جنده يقاتلون ببسالة ، يقول : [٤]

أَرْدَى الوليدَ هُمَامٌ مِنْ بَنِي مَطَرٍ يزِيْدُهُ الرَّوْعُ يَوْمَ الرَّوْعِ إِقْدَاما
صَمْصَامَةٌ ذَكَرٌ يَعْدُو بِهِ ذَكَرٌ في كَفِّهِ ذَكَرٌ ، يَفْرِي بِهِ الهَامَا
تَمْضِي المَنَايَا كَمَا تَمْضِي أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ في سَرْجِهِ بَدْرَاً وضِرْغَامَا

ويثير الشاعر يحي بن محمد الأسلمي الحماسة في نفوس الناس ، عندما يبين لهم أن انتصار الموفق على ثورة الزنج يعد نصراً عظيماً للمسلمين ، لأن الزنج ارتكبوا الجرائم في حقّهم ، فعصوا بذلك ربهم ، وخالفوا ولي أمرهم ، فاستحقوا القتل والتنكيل بهم ، فهم

---

[١] الطبري : ج٩ / ص ١٠ – ١١ .

[٢] الخراطيم : خراطيم القوم سادتهم ومقدموهم في الأمور (تاج العروس : ج١٦ / ص ٢٠٥) ، الفراريز : العبيد السود . (تاج العروس : ج٨ / ص١٢١) .

[٣] الشيز : خشب أسود للقصاع . (تاج العروس : ج٨ / ص ٨٢) .

[٤] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦١ – ٦٨ .

مفسدون عاصون ظالمون ، وبانتهاء ثورتهم عاد الأمن والاستقرار إلى نفوس الناس جميعاً ، يقول : [1]

أَقُولُ وَقَدْ جَاءَ البَشِيرُ بِوَقْعَةٍ ... أَعَزَّتْ مِنَ الإِسْلامِ مَا كَانَ وَاهِيَا
جَزَىٰ اللهُ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ بَعْدَمَا ... أُبِيحَ حِمَاهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا

أما الشاعر يحيى بن خالد بن مروان ، فرأى أن الانتصار على الزنج ، قد جعل الحياة تعود إلى جمالها ، فقد عم الأمن وساد الاستقرار بين الناس ، بينما قضي على الكفر والفساد والتخريب . يقول : [2]

فَقَدْ طَابَتِ الدُّنْيا وأَيْنَعَ نَبْتُهَا ... بِيُمْنِ وَلِيِّ العَهْدِ وانْقَلَبَ الأَمْرُ
وَعَادَ إِلَىٰ الأَوْطَانِ مَنْ كَانَ هَارِبَاً ... ولَمْ يَبْقَ لِلْمَلْعُونِ فِي مَوْضِعٍ إِثْرُ
بِسَيْفِ وَلِيِّ العَهْدِ طَالَتْ يَدُ الهُدَىٰ ... وأَشْرَقَ وَجْهُ الدِّيْنِ واصْطُلِمَ الكُفْرُ

ويثير ابن الرومي الحماسة في نفوس آل مذحج ، وهم قبيلة الوزير صاعد بن مخلد ، إذ يبين حسن موقفهم مع العباسيين ضد المناهضين لهم ، ويبشرهم بشكر الله لهم ، لأنهم نصروا الدّين ، وساعدوا على نشر الأمن والاستقرار في ربوع الدولة ، حيث نعم الناس واستراحوا من سطوات الثائرين وتخريبهم . ويرد ابن الرومي موقف المذحجيين إلى موقف الأنصار مع النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، ويجد أن نسبهم يلتقي مع الأنصار في أصل قحطاني واحد . يقول : [3]

أَمَذْحِجُ أَحْسَنْتِ النِّضَالَ فَأَبْشِرِي ... بِشُكْرِكِ عِنْدَ اللهِ ، والقَرْضُ يُشْكَدُ[4]
لَئِنْ نَصَرَ الأَنْصَارُ بَدْءَاً نَبِيَّهُمْ ... لَقَدْ عُدْتُمُ بِالنَّصْرِ ، والعَوْدُ أَحْمَدُ
وَأَنْتُمْ وهُمْ فَرْعَانِ صِنْوَانِ تَلْتَقِي ... مَنَاسِبُكُمْ في مَنْصِبٍ لَا يُزَهَّدُ

---

[1] الطبري : ج٩ / ص ٦٦٣ ، الكامل : ج٦ / ص ٥٣ .
[2] الطبري : ج٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل : ج٦ / ص ٥٤ .
[3] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ١١٩ .
[4] يشكد : يشكر . (المصدر السابق : ج٢ / ص ١١٩) .

وعندما انتصر الموفق العباسي على ثورة الزنج ، فرح النـــاس ، إذ تخلصـــوا مـــن هجمات الزنج عليهم ، الأمر الذي دعا ابن الرومي ليثير الحماسة في نفس الموفـــق ، فقـــد وصف نصره بأنه نصر للدين سيرضىٰ عنه الرسول الكريم ﷺ ، إذ أعاد الأمن للمســـلمين وحقن دماءهم ، وخلص البلاد والعباد من ظلم الزنج وتعسفهم . يقول : [1]

أَبَـا أَحْمَـدٍ : أَبْلَيْـتَ أُمَّـةَ أَحْمَـدٍ ... بَلاَءً سَيَرْضَـاهُ ابْـنُ عَمِّـكَ أَحْمَـدُ

حَقَنْتَ دِمَاءَ الْعُقْـرِ ، والعُقْـرَ بَعْـدَمَا ... هُرِيْقَـتْ حَرَامَـاً ، والخَلِيُّـونَ رُقَّـدُ

وَأَمَّنْـتَ لَيْـلَ الخَـائِفِيْنَ : فَهَاجِـدٌ ... وشَـاكِرُ نُعْمَـىٰ قَـائِمٌ يَتَهَجَّـدُ

بِكَ ارتَجَـعَ الإِسْـلامُ بَعْـدَ ذَهَابِـهِ ... وَعَادَ مَنَـارُ الـدِّيْنِ ، وَهْـوَ مُشَـيَّدُ

ويرى ابن الرومي ما فعله الزنج بالبصرة ، عندما دخلوها ، وأفسدوا فيها فيعمـــل على إثارة الحماسة عند المسلمين كي يقاوموا الزنج ويثأروا لإخوانهم أهل البصرة ، الـــذين دمر الزنج منازلهم ، وأخرجوهم منها بين قتيل وشريد . إنه يطالب المسلمين بمحاربة الزنج وطردهم من هذه المدينة ، ويحمسهم فيبين لهم أن الجنة ستكون مأواهم إن هـــم نصـــروا إخوانهم المسلمين ، وخلصوهم من محنتهم . يقول : [2]

بَـادِرُوْهُ قَبْـلَ الرَّوِيَّـةِ بِـالعَزْ ... مِ وقَبْـلَ الإِسْـرَاجِ بِالإِلْجَـامِ

لا تُطِيلُوا المُقَـامَ عَـنْ جَنَّـةِ الخُلْـ ... ـدِ فَـأَنْتُم في غَـيرِ دَارِ مُقَـامِ

فاشْـتَرُوا البَاقِيَـاتِ بِـالعَرَضِ الأَدْ ... نَىٰ وبِيْعُـوا انْقِطَاعَـهُ بِالـدَّوَامِ

وبهذا يكون ابن الرومي وغيره من شعراء الثورات ، قد اتجهوا في أشعارهم إلى حض الناس على الثورة ورفض الظلم والذل والهوان ، فيكونون قد شاركوا في أنشـــطة الحيـــاة السياسية في تلك المراحل من ذلك العصر .

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص١٢٠ .

[2] المصدر السابق : ج٦ / ص ١٣٦ .

٢ – الحملة على الخصوم وتكفيرهم (الهجاء السياسي) :

ليس من شك في أن صراع الثورات مع العباسيين لم يكن بالسيوف فقط ، وإنما كان صراعاً بالأقلام والألسنة أيضاً ، فقد اعتمد كل طرف على شعرائه في الدعاية لآرائه والحملة على خصومه . ظهر ذلك في أشعار الشعراء المناصرين للثورات ، كما ظهر أيضاً في أشعار الشعراء المناصرين للسلطة العباسية ، الذين كانوا يدافعون عن سياساتها ، ويتغنون بانتصاراتها على هذه الثورات المناهضة لها .

ومن الطبيعي أن يحمل كل طرف على الآخر ، فيبين عيوبه ، ويكشف أخطاءه ليثبت أنه على حق في مواجهته ونضاله ، وليعطي كل طرف لنفسه الصفة الشرعية في الدفاع عن الدين والحق والعدل .

فإذا استعرضنا ما قاله شعراء الثورات المناصرون لها ، نجد أنهم قد حملوا على السلطة العباسية ، فكشفوا أخطاءها ، وفضحوا عيوبها ، وبينوا ما هي عليه من فساد سياسي وإداري ، فهذا إبراهيم بن عبد الله يتهم العباسيين بالخيانة ؛ لأنهم خانوا الطالبيين وانفردوا بالخلافة وحدهم ، بعد أن كانوا شركاءهم في ثورتهم ضد الحكم الأموي ، كما يتهمهم بالكذب والنفاق ؛ لأنهم يحكمون باسم الدين ، بينما يتسابقون على حب الدنيا وشهواتها وملذاتها . يقول : [1]

بُؤْسَاً لَهُمْ مَا جَنَتْ أَكُفُّهُمُ ... وَأَيُّ حَبْلٍ فِي أُمَّةٍ قَضَبُوا !

وأَيُّ حَبْلٍ خَانُوا المليكَ بِهِ ... شُدَّ بِمِيثَاقٍ عَقْدُهُ الكَذِبُ

أما الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، فإنه يطعن في عقيدة العباسيين الدينية ، فيرى أن الطالبيين يدعون إلى دين الله ، وهم يقاتلون العباسيين من أجل إقامة دولة الدين ، في حين أن العباسيين يكذبون في ادعاءاتهم ، وكأنهم يعتنقون دين الدجال ، لا دين محمد ﷺ ، يقول : [2]

---

[1] الطبري : ج٨ / ص ٥٤٦ ، مقاتل الطالبيين : ص ٢٢٩ .

[2] مقاتل الطالبيين : ص ٣٨٤ .

وَقَتِيـــلُ بَـــاخَمْرَى الـــذِي ... نَـــادَى فَـــأَسْمَعَ كُـــلَّ شَـــاهِدْ
فَـــدَعَا لِـــدِيْنِ مُحَمَّـــدٍ ... ودَعَـــوا إلى دِيْنِ ابنِ صَـــايِـــدْ[1]

ويحمل الشاعر على العباسيين مستغرباً من طريقة تعاملهم مع إبراهيم بن عبد الله وأخيه " النفس الزكية " فقد قتل العباسيون هذين الإمامين ؛ لأنهما أرادا الحكم بشرع الله سبحانه ؛ ولأنهما رفضا مبايعة العباسيين على الخلافة . يقول : [2]

حَاكَمُوهُـــمْ لَمَّا تَوَلَّـــوا إلى اللَّـــ ... ـــهِ لمِصْقُـــولَةِ الشِّفَارِ الذُّكُـــورِ[3]

ويهجم الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي على العباسيين هجمة قوية ، إذ يصفهم بأنهم أعداء ؛ لأنهم حاربوا الطالبيين وحرموهم من مشاركتهم في السلطة ، وهم بذلك يكونون قد خانوهم وسلبوهم حقهم الذي كان من المفروض أن يؤول إليهم ، وهو يرى أن العباسيين قد ظلموا الطالبيين وأساؤوا معاملتهم ، فحل الحقد محل المحبة ، وسادت العداوة على القرابة . يقول :[4]

يَـــا عَسْـــكَراً مَـــا أَقَـــلَّ نَاصِـــرَهُ ... لَمْ تُشْـــفِهِ مِـــنْ عَـــدُوِّهِ الـــدُّوَلُ
فَـــبَكِّهِمْ بِالـــدِّمَاءِ إنْ نَفَـــدَ الدَّمْـــ ... ـــعُ فَقَـــدْ خَـــانَ فِـــيْهِمُ الأَمَـــلُ
لا تَبْـــكِ مِـــنْ بَعْـــدِهِمْ عَلَـــى أَحَـــدٍ ... فَكُـــلُّ خَطْـــبٍ سِـــوَاهُمُ جَلَـــلُ

---

(1) ابن الصائد : الذي كان يظن أنه الدجال .

(2) مقاتل الطالبيين : ص ٣٨٥ .

(3) مصقولة الشفار الذكور : يعني بها السيف المذكر . وهو السيف القاطع الحادّ .

(4) مقاتل الطالبيين، ص ٥٥٧ .

وينتقد الشاعر أحمد بن طاهر العباسيين ، لأنهم تعاملوا مع الطالبيين بلؤم وقسوة ، إذ غدروهم وراحوا يقتلونهم ويبددون شملهم ، والشاعر يكثر من لومه على آل طاهر الذين كانوا يحكمون بغداد [1] ، حيث كان لهم الدور الأكبر في تعقب الطالبيين والقضاء على ثوراتهم . يقول : [2]

وَقُتِّلَ آلُ المُصْطَفَىٰ في خِلَالِهَا ... وَبُدِّدَ شَمْلٌ مِنْهُمُ لَيْسَ يُجْمَعُ
أَلَمْ تَرَ آلَ المصْطَفَىٰ كَيْفَ تَصْطَفِيْ ... نُفُوسَهُمُ أُمُّ المَنُونِ فَتَتْبَعُ
بَنِي طَاهِرٍ واللُّؤْمُ مِنْكُمْ سَجِيَّةٌ ... والغَدْرُ مِنْكُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

وتحمل الفارعة بنت طريف على العباسيين ، لأنهم قتلوا أخاها الوليد وترى بأن رجاله كانوا مستعدين لفدائه بألف رجل منهم ، لأنه كان غصة في حلق أعدائه العباسيين ، وخير معين للضعفاء من أتباعه وأنصاره . تقول [3]:

فَقَدْنَاكَ فُقْدَانَ الشَّبَابِ ولَيْتَنَا ... فَدَيْنَاكَ مِنْ فِتْيَانِنَا بِأُلُوفِ
ومَازَالَ حَتَّىٰ أَزْهَقَ المَوتُ نَفْسَهُ ... شَجًى لِعَدُوٍّ أو نَجًا لِضَعِيفِ

أما شاعر الزط فينتقد العباسيين في صراعهم مع الزط ، ويعيب عليهم ميلهم إلى الدعة ، وحب الطعام والشراب ، ويبين أن الزط هم الذين اجتهدوا في حربهم مع العباسيين، لأنهم قلة وواجهوا هذه الجيوش الضخمة القوية . يقول [4]:

---

[1] الطبري : ج٩ / ص ٢٦٧ ، مقاتل الطالبيين : ص ٦٤١ .

[2] مروج الذهب : ج٤ ، ص ١٤٨-١٤٩ .

[3] وفيات الأعيان : ج٥/ ص ٨٥-٨٦ ، الكامل : ج٥/ص٩٨-٩٩ ، الأغاني :ج١٢/ص٨٥-٨٦ .

[4] الطبري : ج ٩ / ص ١٠-١١ .

لَيسَ الجِلادُ جِـلادَ الـزُّطِّ فَـاعْتَرِفُوا	أَكْلَ الثَّرِيْـدِ ولا شُـرْبَ القَـوَاقِيزِ[1]
نَحنُ الـذِيْنَ سَـقَيْنا الحَـرْبَ دُرَّتَهـا	وَنَقْنَقَنْـا مُقَاسَـاةَ الكَـوَاليزِ[2]

وهذا صاحب الزنج يحمل على العباسيين فيتهمهم بـالكفر ، ويطعـن في دينـهم وعقيدتهم ، وما هذا إلا مبرر منه لمناهضتهم والثورة عليهم ، إذ كان يدعي بأن ثورته تريد أن تُحكّم الدين ، وتزيل الظلم ، وتحرر العبيد ، يقول : [3]

أَتَـكْرُونِي أُقِـرُّ بِـالنَّومِ غَمْضَـاً	يَـا عَبِيْـدَ الصَّـلِيْبِ والنَّـاقُوسِ

ومن الواضح أن حملة الشعراء المناصرين للثورات على العباسيين واتهامهم بالكذب والخيانة ، ونعتهم بأنهم أعداء ، ما هي إلا مبررات وضعها هؤلاء الشعراء للثورات التي يناصرونها ، تجعل الأعمال التي يقوم بها المناهضون للسلطة ، مقبولة عند عامة الناس الذين يتأثرون بمثل هذه الحملات الدعائية المضللة .

وإذا ما اتجهنا نحو الشعراء المناصرين للسلطة العباسية ، نجدهم قد حملوا على الثورات المناهضة لها ، وكشفوا أخطاءها ، وأبرزوا عيوبها ، وبينوا أثرها السلبي على حياة الناس ، والملاحظ أن هؤلاء الشعراء كانوا عنيفين في حملتهم على الثورات وأنصارها ، وذلك لأنهم يؤيدون القوة والسلطة ، ولا يخافون عقاباً أو انتقاماً ، بينما كان الشعراء المناصرون للثورات يخافون هذه الأشياء ، فيوارون سخطهم وبغضهم بالكثير من الأسماء والأشياء .

فهذا الشاعر مسلم بن الوليد يصف الوليـد بن طريف بأنه مارق خارج على القانون ، أحب محاربة السلطة العباسية ، فجردت له سيفاً من سيوفها ، هو القائد الكبير يزيد بن مزيد الشيباني ، فقاتله وانتصر عليه وأنهى ثورته . يقول : [4]

---

[1] القواقيز : هي الجماجم الصغار من قوارير (تاج العروس : ج٨/ص١٢٧) وهي نوع من المشروبات الغازية

[2] الكواليز : كلز : جمع ، وتكوز القوم ، اجتمعوا . (المعجم الوسيط، إخراج : إبـراهيم مصـطفى وآخـرين ، استانبول ، المكتبة الإسلامية ، د . ت ، ص ٧٩٥ – ص ٨٠٤) .

[3] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ .

[4] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٨ – ١٩ .

والمارقَ ابنَ طريفٍ قَـدْ دَلَفْـتَ لَـهُ ... بِعَسْكَرٍ للمَنَايَا مُسْبِلٍ هَطِلِ
مَـاتُوا وأَنْـتَ غَليـلٌ في صُـدُورِهمُ ... وكَانَ سَيْفُكَ يُستَشْفَىٰ مِـنَ الغُلَـلِ

بينما نجد الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي ، يحمل على الصفّار ، فيرى أن إبليس قد عمل على إغوائه ، فغرر به ، وجعله يخرج عن طاعة السلطة العباسية ، فكان ما كان منه ، إذ هجم على العراق ، يريد تقويض ملك بني العباس . يقول : [1]

أَغْـوَاهُ إِبليسُ اللَّعينُ بِكَيْـدِهِ ... واغْتَـرَّهُ مِنْهُ بِوَعْـدٍ كَـاذِبِ

ويحمل الشاعر نفسه على الصفّار أيضاً ، فيصفه بالغدر ، لأنه اقتحم العراق على الرغم من إعلانه الطاعة للسلطة العباسية ، كما يصفه بالخيانة ، لأنه خان العهود التي قطعها على نفسه ، ويرى بأنه غاصب ، لأنه حاول اغتصاب السلطة من بني العباس ، يقول : [2]

مِنْ فَادِحِ الزَّمَـنِ العَضُوضِ ومِنْ لُقَا ... جَيشٍ لذِي غَـدْرٍ خَؤُونٍ غَـاصِبِ

أما الشاعر يحيى بن خالد بن مروان ، فيصف صاحب الزنج بأنه رجس لعين ، فقد ادعى انتسابه إلى الطالبيين ، وهو ليس منهم ، وأحل لنفسه ما حرمه على غيره ، إذ استعبد الأحرار ، بعد أن دعا إلى تحرير العبيد ، فساء عمله وبغى في سلوكه ، فكان مستحقاً لما وصل إليه من نهاية سيئة . يقول : [3]

لما طَغَـىٰ الـرِّجْسُ اللَّعِـينُ قَصَـدْتَهُ ... بالمَشْـرِفيِّ وبالقَنَـا الجَـوَّالِ
هذا بِمَا كَسَـبَتْ يَـدَاهُ ومَـا جَـنَىٰ ... وبِمَـا أَتَـىٰ مِـنْ سَـيِّئِ الأَعْمَـالِ

ونجد الشاعر ابن الرومي يحمل حملة كبيرة على صاحب الزنج ، فيصفه بأنه خائن ملعون ، لأنه اقتحم بأتباعه البصرة ، ودمرها وخرب منازلها ومساجدها ، وقتل أهلها ،

---

(1) الطبري : ج٩ / ص ٥١٩ .
(2) الطبري : ج٩ / ص ٥٢٠ .
(3) الطبري : ج٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل : ج٦ / ص ٥٤ .

ويستغرب الشاعر من تصرفه هذا ، فيرى أن صاحب الزنج قد سمى نفسه إماماً بغير حق ، وهل يحل الإمام لنفسه أن يقوم بمثل هذا العمل القبيح ؟! يقول : [1]

أَقْدَمَ الخَائِنُ اللَّعِينُ عَلَيْهَا وعَلَى اللهِ أَيَّمَا إِقْدَامِ
وتَسَمَّى بغَيْرِ حَقٍّ إِمَامَاً لا هَدَى اللهُ سَعْيَهُ مِنْ إِمَامِ

ويبلغ الحزن عند الشاعر مداه ، عندما يشاهد ما فعله الزنج في البصرة ، فيبين أن هؤلاء العبيد كانوا يعيشون تحت ظل أسيادهم من أهل البصرة ، لكنهم انقلبوا عليهم ، فأصبحوا أعداء لهم ، وهجموا عليهم في مدينتهم هجوماً عنيفاً ، خرب البلاد وأهلك العباد، وروع الآمنين ، فتركهم مشردين منهوبين ، يعيث بهم عبيدهم فساداً وقتلاً وتدميراً . يقول : [2]

بَيْنَمَا أَهْلُهَا بِأَحْسَنِ حَالِ إِذْ رَمَاهُمْ عَبِيدُهُمْ بِاصْطِلَامِ
دَخَلُوهَا كَأَنَّهُم قِطَعُ اللَّيْلِ إِذا رَاحَ مُدْلَهِمُّ الظَّلَامِ
طَلَعُوا بِالمهَنَّدَاتِ جَهْرَاً فَأَلْقَتْ حَمْلَهَا الحَامِلاتُ قَبْلَ التَّمَامِ
وَحَقِيقٌ بِأَنْ يُرَاعَ أُنَاسٌ غُومِضُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ بِاقْتِحَامِ

ويزداد حقد الشاعر على الزنج كلما تذكر هذه الحادثة الأليمة ، التي أقضت مضاجع المسلمين ، وجعلتهم يشعرون بعظم المصيبة التي أحدثها الزنج الطغاة ، فمشاعر الحزن استحالت عند الشاعر حقداً على الزنج وصاحبهم ، هؤلاء الذين دمروا وخربوا ، ولم يثنهم خوف من الله ولا احترام لشرعه ودينه . يقول : [3]

مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إِلاّ أَضْرَمَ القَلْبُ أَيَّمَا إِضْرَامِ
مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إِلاّ أَوْجَعَتْنِي مَرَارَةُ الإِرْغَامِ

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٦ / ص١٣١-١٣٢ .

[2] المصدر السابق : ج٦ / ص ١٣٢ .

[3] ديوان ابن الرومي : ج٦ / ص ١٣٣ .

ولا ينفك ابن الرومي يحمل على صاحب الزنج ، فهو في معرض مدحه لصاعد بن مخلد ، يذكر صاحب الزنج بأسوأ الصفات فيقول إنه طاغية وقاتل ، إذ قتل الناس بغير ذنب ، وأحرق دورهم وخربها ، وسلب أموالهم ، وشردهم ، فكان بذلك يتمادى في طغيانه ، ويتجبر في ظلمه . يقول : [1]

وَطَاغٍ عَهِدْنَا أَمْرَهُ وهُوَ حَادِثٌ ... جَليلٌ فَأَمسَىٰ أَمْرُهُ وهْوَ مُعْهَدُ
تَمَادَتْ بِهِ الطَّغْوَىٰ ولَمْ يَدْرِ أَنَّهُ ... يُسَوَّغُ أَكَّالاً لَهُ ، ثُمَّ يَزْرَدُ
فَصَادَفَ قَتَّالَ الطُّغَاةِ بِمَرْصَدٍ ... قَريبٍ وهَلْ يَخْلُو مِنَ اللهِ مَرْصَدُ ؟

ويشعر ابن الرمي بالمرارة والحزن عندما يتذكر أن صاحب الزنج قد قتل علماء الإسلام قهراً ، وهم في مساجدهم بين ركع وسجد ، لقد بغى وطغى ففعل كل ما يثير الحزن ويفتت القلب ، إلا أن الله قد نصر الموفّق عليه ، حيث حاصره وقتله ، وخلص العباد من شره . يقول : [2]

وَقَتَّلَ أَجْدَالَ العِبَادَةِ عنْوَةً ... وهُمْ رُكَّعٌ بينَ السَّوارِي وسُجَّدُ
ولكنْ بَغَىٰ حَتَّىٰ نُصِرْتَ فَلَمْ تَكُنْ ... تُنَقِّصُهُ إلاّ وأَنْتَ تَزَيَّدُ

ويفرح ابن الرومي كثيراً عند انتصار الموفق على صاحب الزنج ، إذ كان من نتيجة ذلك قتل صاحب الزنج وابنه ، وبعض أعوانهم الذين كانوا يساعدونهم في طغيانهم وعصيانهم ، وظلمهم للعباد ، وتخريبهم للبلاد ، كذلك فإن أنصارهم قد تشردوا فأصبحوا فلولاً ضعيفة سرعان ما استسلمت وأعلنت ولاءها للسلطة العباسية ، يقول : [3]

وَمِنْ يُمْنِهِ أَنْ دَمَّرَ العَبْدَ وابْنَهُ ... ومَلّاحَ قُنٍّ ، فَالثلاثَةُ هُمَّدُ
وأَتْبَعَ أَهْلَ الفِسْقِ مِنْ أوليائِهِ ... فوافَاهُ ، والبَاقُونَ فَلٌّ مُشَرَّدُ

---

(1) المصدر السابق : ج٢ / ص ١١٨ .

(2) المصدر السابق : ج٢ / ص ١٢١ .

(3) ديوان ابن الرومي : ج٢/ص١٢٣ .

أما الشاعر ابن المعتز فيحمل حملة كبيرة على صاحب الزنج ، وذلك في أرجوزته التي قالها في الخليفة العباسي " المتعضد بالله " فقد وصفه بالخيانة والتخريب ، إذ باع الأحرار ، وضم إليه السراق والفجار ، وقتل الشيوخ والنساء والأطفال ، ونهب الأموال ، ودمر المدن الجميلة العامرة . فكيف سيكون موقف الناس منه ؟ إنهم بلاشك يحقدون عليه ، ويتمنون له الهلاك والبوار . يقول : [1]

فَلَمْ يَزَلْ بِالعَلَوِيِّ الخَائِنِ المُهلِكِ المُخَرِّبِ لِلْمَدَائِنِ

والبَائِعِ الأَحْرَارِ في الأَسْوَاقِ وصَاحِبِ الفُجَّارِ والسُّرَّاقِ

وَقاتِلِ الشُّيوخِ والأَطفَالِ ومُنْتَهِبِ الأَرْواحِ والأَمْوَالِ

ومُهْلِكِ القُصُورِ والمَسَاجِدِ وَرَأْسِ كُلِّ بِدْعَةٍ وقَائِدِ

ويلعن ابن المعتز صاحب الزنج مباشرة ، لأنه قد كفّر الناس ، وسب أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، وحوى بين أتباعه كل ضال وصاحب بدعة ، وهو أيضاً ضلل أتباعه من العبيد ، حيث وعدهم ومناهم بتحريرهم وتمليكهم المنازل والأموال ، لكنه كان يكذب عليهم ، فهو لم يتخذهم إلا وسيلة لتحقيق هدفه ، وهو الملك . يقول : [2]

شَيْخُ ضَلالٍ شَرٌّ مِنْ فِرعَونِ لحيَتُهُ كَذَنَبِ البِرْذَوْنِ

إِمَامُ كُلِّ رافِضِيٍّ كَافِرِ مِنْ مُظْهِرٍ مَقَالَةً وسَاتِرِ

يَلْعَنُ أَصحَابَ النَّبِيِّ المهْتَدِيْ إِلاَّ قَلِيلاً عُصْبَة لم تَزْدَدِ

فكَفَّرَ النَّاسَ سِوَاهُمْ عِنْدَهُ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَحْدَهُ

مَا زَالَ حَيْناً يَخْدَعُ السُّودَانَا ويَدَّعِي الباطِلَ والبُهْتَانَا

وَقَالَ سَوفَ أَفْتَحُ السَّوَادَا وأُمْلِكُ العِبَادَ والبِلادَا

---

[1] ديوان ابن المعتز : شرح مجيد طراد ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ج١/ص٤٠٢-٤٠٥

[2] المصدر السابق .

وهكذا ، فإننا نجد أن شعراء الثورات قد حملوا علـــى خصـــومهم السياســـيين ، فوصفوهم بأسوأ الصفات ، وحملوهم وزر الفساد الذي حل بالعباد ، وراحوا يكيلون التهم لكل من يعارضهم أو يقف في مواجهتهم . وهم في ذلك يثبتون أن الشعر لا يمكن له إلاّ أن ينقل صورة الواقع الذي يعيشه الشعراء ، فيضيء جوانب مهمة في حياة المجتمع ، ويعطـــي إشارات عن حركية الإنسان أينما كان .

٣- رثاء القادة الشهداء (الرثاء السياسي) :

اتخذ الصراع بين السلطة العباسية والثورات شكل القتال الدامي ، إذ سالت الدماء ، وكثر القتلى ، وفاض عدد الجرحى ، وكانت كل ثورة تنتهي عندما يقتل قائدها ، وحينئذ تفيض مشاعر الحزن والأسى ، ويعتصر الألم قلوب أتباع ذلك القائد الشهيد ، من وجهـــة نظرهم ، فينبري الشعراء ممن يناصرون تلك الثورات لرثاء قادتها ، " فيذكرون مـــا كـــان الفقيد يمتاز به من صفات البطولة ، وما قام به من أعمال الشهامة والمروءة " [١].

وأكثر الشعراء من رثاء قادة الثورات ، إذ كانوا يؤبنون كل قائد منهم تأبيناً رائعاً ، وكانوا يصورون في القواد بطولتهم ، ومحنة الأمة في وفاتهم ، وكيف ملأ مـــوتهم القلـــوب حسرة وفزعاً ، وحقيقة كان " رثاؤهم لهم يفيض بالحزن واللوعة ، ولكنه مع ذلك يكـــتظ بالحماسة والقوة وتمجيد بطولتهم تمجيداً يضرم الحمية في نفوس الشباب للدفاع عن العرين حتى الموت ، دفاعاً يقوم على البأس والبسالة والاستطالة " [٢]

وكان الشعراء ينظمون هذه المراثي الحماسية التي تؤجج لهيب الحفيظة في القلوب وتدفع إلى الاستشهاد تحت ظلال الرماح ذَبّاً عن الحرمات ، ودفاعاً عن المعتقدات . فهـــذا إبراهيم بن عبد الله يرثي أهله الطالبيين الذين أخرجهم الخليفة المنصور مقيدين بالسلاســـل والأغلال من المدينة إلى بغـــداد ، فيظهر استعداده لفدائهم بنفسه ، إذ هم من سادة بـــني هاشم ، والمكلفين بالدفاع عن حقهم المغتصب الذي سلبه العباسيون منهم . يقول : [٣]

---

[١] شعر الحرب في العصر الجاهلي ، د. علي الجندي ، بيروت : دار الجامعة العربية ، ط٣ ، ١٩٦٦م ، ص ٢٩١ .

[٢] العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف ، ط١٢ ، د.ت ، ص ١٧٠-١٧١ .

[٣] الطبري : ج٧/ص٥٤٥-٥٤٦ ، مقاتل الطالبيين : ص ٢٢٩ .

نَفْسِي فَـدَتْ شَيْبَةً هُنَـاكَ وظُنْـ ـبوبَـاً بِـهِ مِـنْ قُيُـودِهِ نَـدَبُ [1]
والسَّـادَةَ الغُـرَّ مِـنْ بنيـهِ فَمَـا رُوقِـبَ فيـهِ الإلـهُ والنَّسَـبُ

أما الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، فيظهر حزنه على مقتل إبراهيم بن عبد الله ، ويتحسر تحسراً شديداً على أنصاره الذين تشتت شملهم ، وتفرقوا بعد موت قائدهم ، لكنه يعزي نفسه بأن مصير كل إنسان سيكون إلى الموت ، ولن يخلد مخلوق على وجه الأرض . يقول : [2]

فَـأُتِيحَ سَـهْمٌ قَاصِـدٌ لِفُـؤادِهِ بِـيَمينِ جَاحِـدْ
فَهَـوَى صَـرِيْعاً لِلْجَبِيـ ـنِ ولَـيسَ مَخْلُـوقٌ بِخَالِـدْ
وتَبَـدَّدَتْ أَنْصَـارُهُ وثَـوَى بِـأَكْرَمِ دَارِ وَاحِـدْ

ويبين الشاعر أنه قد دعا الله سبحانه كي يطيل في عمر إبراهيم وعمر أخيه " النفس الزكية " بيد أنه رآهم وهم يقتلون بسيوف السلطة العباسية التي حزت رؤوسهم ، لتكون دلالة على نصرها عليهم . يقول : [3]

قَـدْ تَلَبَّثْـتُ بِالمقَـادِيرِ عَنْـهُم مَلْبَثَ الـرَّائِحِيْنَ عَـنْ ذِي البُكُـورِ [4]
إِذْ هُـمْ يَعْثُـرُونَ ، فِي حَلَـقِ الأَوْ دَاجِ حَـوْلِي فِي قَسْـطَلٍ مُسْـتَدِيرِ [5]

---

[1] الظنبوب : حرف الساق من قدم ، أو عظمه .

[2] مقاتل الطالبيين : ص٣٨٤-٣٨٥ .

[3] المصدر السابق : ص ٣٨٦ .

[4] ذو البكور : من يأتي باكراً . (تاجر العروس : ج/٦ ص ١٠٨-١٠٩) .

[5] الأوداج : ما أحاط بالحلقوم من العروق . (تاج العروس : ج٣/ص٥٠٧) .

ويصور الشاعر القاسم بن إبراهيم حزنه وألمه على موت أخيه ، " ابن طبا طبا " ، إذ يرى أن أخاه قد نزح من الدنيا إلى بطن الأرض ، حيث أصبح ترابها ثوباً له ، بينما ترك أنصاره يحترقون من الحزن والألم عليه ، إذ أصبح فرداً بعد أن كان عزيزاً بينهم ، يجلونه ويصدرون عن أوامره . يقول : [1]

بَلْ يَا أَيُّها النَّازِحُ المرْمُوسُ يَصْحَبُهُ ... وَجْدٌ ويَصْحَبُهُ التَّرجِيعُ والحُرَقُ
يُهْدَىٰ لِدَارِ البِلَىٰ مِنْ غَيرِ مُقْلِيَةٍ ... قَدْ خُطَّ فِي عَرْصَةٍ مِنْها لَهُ نَفَقُ
وَبَاتَ فَرْداً وَبَطْنُ الأَرْضِ مَضْجَعُهُ ... ومِنْ ثَرَاهَا لَهُ ثَوبٌ ومُرْ تَفَقُ

ويقول أيضاً : [2]

بَيْنَا أُرَجِّيكَ تَأْمِيلاً وأُشْفِقُ أَنْ ... يَغْبَرَّ مِنْكَ جَبِينٌ واضِحٌ يَقَقُ
أَصْبَحْتَ يُحْثَىٰ عَليكَ التُّربُ فِي جَدَثٍ ... حَتَّىٰ عَليكَ بِمَا يُحْثَىٰ بِهِ طَبَقُ

وكان الشعراء يصورون الفقيد بصورة الرجل الكامل ، صاحب الشجاعة والبطولة ، والمروءة والشهامة ، وبنسبون له صفات البطولة ، كالجرأة ، والإقدام ، والخبرة بالحروب ، ومجابهة الأبطال ، ومنازلة الصناديد ، والثبات في وقت الشدة ، والصمود في موضع الخطر . فكان حديثهم في ذلك على العموم ، بمثابة سجل لأعمال الفقيد ، وتخليد لمآثره وأمجاده ، مثل هذا نجده عند الهيثم بن عبد الله الخثعمي أثناء رثائه لقائد إحدى ثورات الطالبيين ، إذ يقول : [3]

فِي صَدْرِهِ كالوِجَارِ مِنْ يَدِهِ ... يَغِيبُ فِيهَا السِّنَانُ والفَتَلُ [4]
يَمِيلُ مِنْهَا والمَوتُ يَحْفِزُهُ ... كَمَا يَمِيلُ المُرَنَّحُ الثَّمِلُ

---

[1] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٣- ٥٥٥ .

[2] المصدر السابق : ص ٥٥٥ .

[3] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٧-٥٥٨ .

[4] الوجار : الجرف الذي حفره السيل (تاج العروس : ج٧/ص٥٨٥) الفَتَل : اندماج في مرفق الناقة (تاج العروس : ج١٥/ص٥٦٥) .

فِي كَفِّــــهِ عَضْــــبَةٌ مَضَـــارِبُهَا وَذَابِــــلٌ كَالرِّشَـــاءِ مُعْتَـــدِلُ
لِخِلْــتَ أَنَّ القَضَــاءَ مِـــنْ يَــدِهِ وَلِلْمَنَايَــا مِـــنْ كَفِّـــهِ رُسُـــلُ
فِي مَــوْطِنٍ لا يُقَــالُ عَــاثِرُهُ يَغُــصُّ فيـــهِ بِرِيْقِـــهِ البَطَـــلُ

وظل الشعراء يقيمون المآتم على قتلى الشيعة في هذا العصر ، كما كانوا يفعلون في العصور السابقة منذ قتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، " فهم ينوحون عليهم نواحاً حاراً ، ودموعهم لا ترقأ ولا تجف " (١) وهذا ما صوره أحد الشعراء عندما كان يرثي يحيى بن عمر الطالبي ، حيث يقول : (٢)

وَبَنَـــاتُ الـــنَّبِيِّ يَنْـــدُبْنَ شَـــجْوَاً مُوْجَعَـــاتٍ ، دُمُـــوعُهُنَّ تَسِـــيْلُ
وَيُـــؤَبِّنَّ لِلرَّزِيـــَّةِ بَـــدْرَاً فَقْـــدُهُ مُفْظِـــعٌ عَزِيـــزٌ جَليـــلُ
قَطَعَــتْ وَجْهَــهُ سُــيُوفُ الأَعَــادِي بِـــأَبِي وَجْهُـــهُ الوَسِــيْمُ الجَمِيْـــلُ
ولِـــيَحْيَىَ الفَـــتَى بِقَلْـــبِي غَلِيْـــلٌ كيفَ يُــؤْذِي بِالجِسْــمِ ذَاكَ الغَلِيْـــلُ

كما يصور الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي ، حزن أتباع يحيى عليه ، وألمهم على فراقه ، لأنه من بقايا السلف الصالح ، الذين حملوا لواء الدين ، ودافعوا عنه بأنفسهم وأموالهم . يقول : (٣)

يَـــا بَقَايَـــا السَّـــلَفِ الصَّـــا لِحِ وَالتَّجْـــــــرِ الـــــــتَّرْبِيْحِ
نَحْـــنُ لِلأَيَّـــامِ مِـــنْ بَيْـــ ـــــنِ قَتِيـــلٍ وجَـــرِيْحِ
خَـــابَ وَجْـــهُ الأَرْضِ كَـــمْ غَيَّـــبَ مِـــنْ وَجْـــهٍ صَـــبِيْحِ
آهِ مِـــنْ يَوْمِـــكَ مَـــا أَوْ دَاهُ لِلْقَلْـــــبِ القَـــــرِيْحِ

(١) العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف : ص ١٧٤ .
(٢) مروج الذهب : ج٤/ص١٤٩ .
(٣) المصدر السابق : ج٤/ص١٥٠ .

وكان بعض الشعـــراء يشاهدون إخوهم وهم يموتون تحت أعينـــهم ، فتـــدورهم الأرض ، ويبكون بدموع غزار ، وينفسون عن أنفسهم بأبيات تصور الحـــزن المقـــيم في قلوبهم ، والأسى الذي يحرق صدورهم ، من مثل الفارعة بنت طريف ، حينما رثت أخاها الوليد ، الذي قتل على أيدي السلطة العباسية ، إثر قيامه بثورة ضدها . فالشاعرة تعاتـــب الشجر لأنه لم يظهر حزنه على قتل أخيها ، على الرغم من وجـــوده في أرض المعركـــة ، ومشاهدته لمواقف أخيها البطولية ، تقول : [1]

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْـــهَدْ هُنَـــاكَ ، وَلَمْ تَقُـــمْ ... مُقَامًا عَلَـــى الأَعْـــداءِ غـــيرَ خَفيـــفِ
ولمْ تَسْـــتَلِمْ يومًـــا لِـــوِرْدِ كَرِيْهَـــةٍ ... مِنَ السَّـــرْدِ في خَضْـــرَاءَ ذاتِ رَفيـــفِ
ولمْ تَسْعَ يومَ الحرْبِ ، والحرْبُ لاقِـــحٌ ... وسُمْـــرُ القَنَـــا يَنْكُزْنَهَـــا بِـــأُنُوفِ
فَـــإنْ يَـــكُ أَرْدَاهُ يَزيـــدُ بـــنُ مَزْيَـــدٍ ... فَـــرُبَّ زُحُـــوفٍ لَفَّهَـــا بِزُحُـــوفِ

ونجد أن من الشعراء من رثى نفسه ، وذلك لأنه تحقق أن قتله لا بد منـــه ، وأنـــه سيفارق هذه الدنيا بكل زخرفها وملذاتها . ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا النوع من الرثاء ، من الحزن العميق ، والأسى الموجع ، وهذا ما نجده عند صاحب الزنج ، إذ قال في اليـــوم الذي قتل فيه ، بعد أن خرج من قصره : [2]

عَليْـــكَ سَـــلامُ اللهِ يَـــا خَـــيْرَ مَـــنْزِلٍ ... خَرَجْنَـــا وخَلَّفْنَـــاهُ غَـــيْرَ ذَمِـــيمِ
فَـــإنْ تَكُـــنِ الأَيَّـــامُ أَحْـــدَثْنَ فُرْقَـــةً ... فَمَنْ ذَا الـّـذي مِـــنْ رَيْبِـــهِنَّ سَـــلِيْمُ

وكان الشعراء يصفون فجيعتهم في مصابهم بالهول ، ويصورونها بأنها جناية عظمى ، ومصيبة وخيمة العاقبة ، وأن وقعها عنيف على الشاعر وغيره من أنصار المقتـــول ، فمـــن الشعراء مثلاً من يدعي أنه من هول المصاب كان يخيّل إليه أن الأرض قـــد مـــادت ، وأن السماء قد وقعت على من تحتها ، ومنهم من يتحدث عن أثر الفجيعة الشديدة بأن الخبر قد شج قلبه ، وجعل عينيه تنهمر بالدموع ولا تجف ، وأن الهم قد ملك عليه أمره ، حتى إنـــه

---

[1] وفيات الأعيان : ج٥/ص٨٥-٨٦ ، الكامل : ج٥/ص٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج١٢/ص٨٥-٨٦ .

[2] شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : م٤-ج٨-ص١٢٧ .

لينبو جنبه عن الفراش ، ولا يغمض عينيه ، ولا يسيغ شرابه ، وصدره يتأجج غيظاً ، وأصبح لا رجاء عنده ، ولا أمل له في الحياة . مثل هذا نجده عند ابن الرومي في رثائه ليحيى ابن عمر الطالبي ، إذ يرى أن على السماء أن تطفئ نجومها حزناً على يحيى ، وأن على أنصاره أن يبكوا على خسارتهم لهذا القائد الجليل ، يقول : [1]

أَكُلَّ أَوَانٍ للنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... قَتِيلٌ زَكِيٌّ بِالدِّمَاءِ مُضَرَّجُ ؟
أَبَعْدَ المُكَنَّى بِالحُسَيْنِ شَهِيدُكُمْ ... تُضِيءُ مَصَابِيحُ السَّمَاءِ فَتُسْرَجُ ؟
لَنَا وَعَلَيْنَا ، ولا عَلَيْهِ ، ولا لَهُ ... تَسَحْسَحُ أَسْرَابُ الدُّمُوعِ ، وَتَنْشَجُ

ويصور الشاعر حزنه وألمه على هذا الشهيد ، فيبين أنه كان مستعداً لفدائه بنفسه ، لما لَهُ من مترلة سامية وقدر عال في نفوس أنصاره ، ويحاول الشاعر أن يشرك الدنيا كلها معه في حزنه وألمه . فيقول : [2]

أَبِيتُ إِذَا نَامَ الخَلِيُّ كَأَنَّمَا ... تَبَطَّنَ أَجْفَانِي سَيَالٌ وعَوْسَجُ [3]
أَيَحْيَى العُلَا لَهْفِي لِذِكْرَاكَ لَهْفَةً ... يُبَاشِرُ مَكْوَاهَا الفُؤَادُ فَيَنْضَجُ
أَحِينَ تَرَاءَتْكَ العُيُونُ جَلاءَهَا ... وإِقْذَاءَهَا أَضْحَتْ مَرَاثِيكَ تُنْسَجُ ؟
بِنَفْسِي وَإِنْ فَاتَ الفِدَاءُ بِكَ الرَّدَى ... مَحَاسِنُكَ اللَّائِي تُمَحُّ فَتَنْهَجُ
لِمَنْ تَسْتَجِدُّ الأَرْضُ بَعْدَكَ زِينَةً ... فَتُصْبِحُ فِي أَثْوَابِهَا تَتَبَرَّجُ

ويعيب الشاعر على عينه بكاءها على يحيى ، لأن دموعها تتساقط على نار حزنه فتخمدها ، وهو لا يريد ذلك ، بل يتمنى لو أن عينيه تتوقفان عن البكاء ، كي تبقى حرقة الحزن تختلج في قلبه وتؤلمه . يقول : [4]

---

(1) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣ .
(2) المصدر السابق : ج٢/ص ٢٤ .
(3) السيال : نبات شوكي ، العوسج : شجر كثير الشوك .
(4) المصدر السابق : ج٢ / ص ٢٥ .

أَذُمُّ إليكَ العَيْنَ ، إنَّ دُمُوعَهَا — تَدَاعَى بِنَارِ الحُزْنِ حِينَ تَوَهَّجُ
وأَحْمَدُهَا لو كَفْكَفَتْ مِنْ غُرُوبِهَا — عَليكَ وخَلَّتْ لاعِجَ الحُزْنِ يَلْعَجُ
أَتَمْنَعُنِي عَيني عَليكَ بِدَمْعَةٍ — وَأَنْتَ لِأَذْيَالِ الرَّوامِسِ مُدْرَجُ [1]
فَإِنِّي إلى أَنْ يَدْفُنَ القَلْبُ دَاءَهُ — لِيَقْتُلَنِي الدَّاءُ الدَّفِينُ لَأَحْوَجُ

ويتحول ابن الرومي في رثائه ، فيتجه اتجاهاً جديداً ، إذ يرثي المدن التي نزلت بها كوارث النهب والحرق والقتل ، فعندما هجم الزنج على البصرة خربوها وأحرقوا قصورها ومساجدها ، وقتلوا أهلها كبيرهم وصغيرهم ، وأفسدوا فيها أيّما إفساد ، الأمر الذي دفع ابن الرومي إلى رثاء هذه المدينة ، وتصوير ما أحدثه الزنج فيها من دمار وخراب ، وقد غمره الحزن والأسى عليها . يقول : [2]

لَهْفَ نَفْسِي عَليكِ أَيَّتُهَا البَصْـ — ـرَةُ لَهْفاً كَمِثْلِ لَهْبِ الضِّرَامِ
لَهْفَ نَفْسِي عَليكِ يَا مَعْدِنَ الخَيْـ — ـرَاتِ لَهْفاً يَعُضُّنِي إِبْهَامِي
لَهْفَ نَفْسِي يَا قُبَّةَ الإِسْـ — ـلامِ لَهْفاً يَطُولُ مِنْهُ غَرَامِي

وعندما يصور ما فعله الزنج بأهلها من قتل ومن تعذيب ، يقول : [3]

كَمْ أَغَصُّوا مِنْ شَارِبٍ بِشَرَابٍ — كَمْ أَغَصُّوا مِنْ طَاعِمٍ بِطَعَامِ ؟
كَمْ ضَنِيْنٍ بِنَفْسِهِ رَامَ مَنْجَى — فَتَلَقَّوا جَبِينَهُ بالحُسَامِ ؟
كَمْ مُفَدّىً في أَهْلِهِ أَسْلَمُوهُ — حِينَ لَمْ يَحْمِهِ هُنَالِكَ حَامِي ؟
كَمْ فَتَاةٍ مَصُونَةٍ قَدْ سَبَوهَا — بَارِزاً وَجْهُهَا بِغَيرِ لِثَامِ ؟
أَلْفُ أَلْفٍ في سَاعَةٍ قَتَلُوهُمْ — ثُمَّ سَاقُوا السِّبَاءَ كالأَغْنَامِ

---

(1) الروامس : الرياح التي تغطي الآثار بالتراب .

(2) ديوان ابن الرومي : ج٦ / ص١٣٢ .

(3) المصدر السابق : ج٦/ص١٣٢-١٣٣ .

لقد دمر الزنج قصور هذه المدينة ، وأحرقوا أسواقها ومساجدها ، فجعلوها ركاماً لا يرى وسطه إلا أشلاء الأجساد والرؤوس المهشمة . وهذا ما يشير إليه الشاعر حين يقول : [1]

بُدِّلَتْ تِلْكُمُ القُصُورُ تِلالاً ... مِنْ رَمَادٍ وَمِنْ تُرَابٍ رُكَامِ

سُلِّطَ البَثْقُ والحَرِيقُ عليهَا ... فتَدَاعَتْ أَرْكَانُهَا بِانْهِدَامِ

وَخَلَتْ مِنْ حُلُولِهَا فَهْيَ قَفْرٌ ... لا تَرَى العِيْنَ بَيْنَ تِلْكَ الأَكَامِ [2]

غَيْرَ أَيْدٍ وأَرْجُلٍ بائِنَاتٍ ... نُبِذَتْ بينَهُنَّ أَفْلاقُ هَامِ

وهكذا نجد أن شعراء الثورات في رثائهم لشهدائها كانوا يصدرون عن عاطفة حزينة ، أبرزت شدة وقع المصيبة على نفوسهم ونفوس أنصار هذه الثورات التي كانت تنتهي عند مقتل قوادها ، فيتشتت أنصارها ويتفرقون ، فيترك ذلك في نفوسهم حرقة وألماً فهم ينظرون إلى ما حققوه من نضالهم وتضحيتهم فلا يجدون غير مرارة الهزيمة وذل الانكسار .

٤- إبراز الجوانب الإنسانية والدينية في شخصيات القادة . (المدح السياسي) :

كان شعراء الثورات يثنون على ممدوحيهم من القادة ، فيصفونهم بالشجاعة والقوة ، والخبرة الحربية ، والمروءة : من الإقدام وصدق العزيمة ، والدفاع عن الشرف ، والحكمة وبعد النظر في الأقوال والأفعال ، والحيطة والحذر ، والوفاء ، والعفة والوقار والاتزان ، وشدة البأس ، وقوة الشكيمة ، وغير ذلك من الصفات التي تصور البطل الحقيقي .

وعندما استعرضت الأشعار التي اتجهت نحو هذا الموضوع ، وجدت أنها تكاد تتوزع على ثلاثة محاور وهي :

أ – البطولة والقدرة على خوض المعارك .

ب – الكرم والصفات الإنسانية .

---

[1] المصدر السابق : ج٦/ ص ١٣٤ .

[2] العِيْن : بقر الوحش . وربّما أراد النساء اللواتي عظم سواد أعينهن في سعة (ديوان ابن الرومي، طبعة بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨م، ط١، شرح: أسامة حيدر، وآخرين، ج ٦ / ص ٢٣١) .

ج – الحكمة والحنكة في القيادة .

وفيما يلي سأتناول هذه المحاور الواحد تلو الآخر ، فأعرض ما قاله شعراء الثورات حول كل منها :

أ– البطولة والقدرة على خوض المعارك :

مدح شعراء الثورات القادة بالبطولة والشجاعة ، ووصفوهم بأنهم قادرون على خوض المعارك العنيفة ، وصوروا بلاءهم في تلك المعارك ، إذ كانوا يقتحمون الصفوف بكل جرأة وإقدام وشجاعة ، ويقتلون أعداءهم ويحملون عليهم كما يحمل الأسد الضاري على فريسته ، وهذا ما نجده عند الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، عندما يمدح قائد ثورة الطالبيين إبراهيم بن عبد الله ، إذ يصفه بأنه أسد غاضب ، قاد جنوده المدججين بالسلاح ، وراح يقاتل أعداءه ببسالة وقوة . يقول : [1]

قَادَ الجُنُودَ إلى الجُنُو ... دِ تَزَحُّفَ الأُسْدِ الحَوَارِدْ [2]

بالمُرْهَفَاتِ وبالقَنَا ... والمبرقَاتِ وبالرَّوَاعِدْ

فَرَمَاهُمْ بِلَبَانِ أَبْـ ... ـلَقَ سَابِقٍ لِلخَيْلِ سَائِدْ

أما الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي ، فيصور بلاء القائد أبي السرايا في المعركة ، حيث كان يرتدي سلاحه ويصارع أعداءه بكل قوة وشجاعة ، بينما كانت المعركة حامية الوطيس ، قد كثر فيها القتلى ، وتعاظم عدد الجرحى ، إذ كانت الرماح والسهام ، لكثرتها ، تقع على أكثر الجند وقادتهم المحاربين معهم ، لكن هذا كله ، لم يخف أبا السرايا ، بل ظل مقداماً جسوراً ، إلى أن حقق الشهادة . يقول : [3]

---

[1] مقاتل الطالبيين : ص ٣٨٤-٣٨٥ .

[2] الحوارد : الغواضب .

[3] مقاتل الطالبيين : ص٥٥٧-٥٥٨ .

مَا فَعلَ الفَارسُ المحَامي إذا مَـا الـــ ـــحَرْبُ بـَدَتْ أنيابهُـا العُصُـلُ [1]

أأنـتَ أبْصَـرْتَهُ علـى شَـرَفٍ للهِ عَيْنـَـاكَ أيهَا الرَّجُـلُ

مِـنْ فَـوْقِ جِـذْعٍ أنَـافَ شَـائِلَةٍ تُرْمَـى إليهـا بلَحْظِهَـا المقَـلُ

إنْ كُنْـتَ أبْصَـرْتَهُ كَـذاكَ فمَـا أسْـلَمَهُ ضَـعْفُهُ ولا الفَشَـلُ

ولـو تـَرَاهُ عليـهِ شِـكَّتُهُ [2] والمـوتُ دَانٍ والحـربُ تَشْـتَعِلُ

في مَـوْطِنٍ والحتُـوفُ مُشْـرَعَةٌ فيهَـا قِسِـيُّ المنُـونِ تنتَضِـلُ [3]

ويذهب الشاعر في تعظيم بطولة هذا القائد إلى حد بعيد ، إذ يطلب من المـوت أن يتقيه ، ومن المنايا أن تخشاه ، ومن الأجل أن يرهبه ويخافه ، كيف لا ؟ ! وأبو السرايا هـو قائد بطل يدب الرعب في نفوس وقلـوب أعدائه ، ويزرع الاحترام والتقـدير في قلـوب أنصاره ! يقول : [4]

مَنْ كَـانَ يُغْضِـي عَليـكَ مُصْـطَبِراً فَـإنَّ صَـبْري عَليـكَ مُخْتَـزَلُ

هَـلاَّ وَقَـاكَ الـرَّدَى الجَبَـانُ إذَا ضَـاقَتْ عَليـهِ بِنَفْسِـهِ الحِيَـلُ

أمْ كَيْـفَ لمْ تَخْشَـكَ المنُـونُ ولمْ يَرْهَبْـكَ إذْ حَـانَ يَومُـكَ الأجَـلُ

ويضفي ابن الرومي على قائد إحدى ثورات الطالبيين ، يحيى بن عمر ، صـفات البطولة والإقدام والشجاعة ، ويشبهه بالليث الذي يحمي عرينه بكل بأس وقوة ؛ لأنـه لا يخشى هول المعارك ، بل يخوضها بكل حزم وقوة ، غير آبه ولا متخاذل . يقول : [5]

فلَـوْ شَـهِدَ الهيجَـا بِقَلْـبِ أبِـيْكُمْ غَداةَ التقَى الجَمْعَـانِ والخَيْـلُ تمْعَـجُ

لأعْطَى يَـدَ العَـاني أو ارمَـدَّ هَارِبـاً كمَا ارمَـدّ بِالقَـاعِ الظَّلِـيْمُ المهَـيَّجُ

ولكنّـهُ مَـازالَ يَغْشَـى بنَحْـرِهِ شَبَا الحربِ حتّى قَالَ ذو الجَهْلِ أهْـوَجُ

---

[1] العصل : الاعوجاج في صلابة (تاج العروس : ج١٥/ ص٤٩٣) .

[2] شكته : الشكة بالكسر : السلاح ، (القاموس المحيط : ج٣/ص٤٢١) .

[3] تنتضل : انتضل منه نضلة أي اختار . (تاج العروس : ج١٥/ص ٧٤٠) .

[4] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٨ – ٥٥٩ .

[5] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص ٢٥-٢٦ .

وحَاشَا لَـهُ مِـنْ تِلْكُـمُ غَـيْرَ أنَّـهُ أَبَىٰ خُطَّـةَ الأَمْـرِ الـتي هِـيَ أَسْمَـجُ
وأينَ بـهِ عـنْ ذَاكَ ؟ لا أيْـنَ ، إنَّـهُ إليـهِ بعِرْقَيْـهِ الـزَّكِيَّيْنِ مُحْـرَجُ
كَـأنِّي بـهِ كالليْـثِ يَحمِـي عَرِينَـهُ وأَشْـبالَهُ لا يَزْدَهِيْـهِ المهَجْهَـجُ [1]
يَكِـرُّ علـىٰ أعدائِـهِ كَـرَّ ثَـائِرٍ ويَطْعَنُـهُمْ سُـلكَىٰ ، ولا يَـتَخَلَّجُ

أما الشاعر مسلم بن الوليد فيرى أن يزيد بن مزيد الشيباني هو سيف سله الخليفة ليقوّم به اعوجاج المناهضين والمعارضين لسلطته . وفي هذا إشارة إلى مدح بطولة هذا القائد المظفر . يقول : [2]

سَلَّ الخليفةُ سَيْفاً مِـنْ بَني مَطَـرٍ أَقَـامَ قَائِمُهُ مَـنْ كَانَ ذا مَيَـلِ

كما يرى أن هذا القائد بشجاعته وبطولته استطاع أن يرد كيد الكائدين ، وأن يستأصل خطر الثائرين ، وأن يرد الظلم عن الدين . يقول [3]

رَدَدْتَ فِيهَا إِلى الإِسْـلامِ مَظْلَمَـةً سَوَّىٰ الإِلهُ بِهَا "فِهْراً" و "هَمَّامَـا"

وعند الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي نجد مدحاً للموفق العباسي ، إثر انتصاره على ثورة يعقوب بن الليث الصفّار ، فالشاعر يرى أن الموفق قائد عظيم ، قويُّ الشكيمة ، ماضي العزيمة ، يثبت أمام أعدائه في ساحات القتال ، فيكون النصر حليفه . يقول : [4]

وَبَـدا الإِمَـامُ برايَـةٍ مَنْصُـورَةٍ لمحمَّـدٍ سَـيْفِ الإِلٰـهِ القَاضِـبِ
لمَّـا التقَـوا بالمَشْـرِفيَّةِ و القَنَـا ضَـرْباً وطَعْـنَ مُحَـارِبٍ لمُحَـارِبِ
ثَـارَ العَجَـاجُ وفَـوْقَ ذَاكَ غَمَامَـةٌ غَرَّاءُ تَسْكُبُ وَبْـلَ صَـوْبٍ صَـائِبِ
للهِ درُّ موفَّـقٍ ذي بَهجَـةٍ ثَبْتِ المقَـامِ لـدَىٰ الهِيَـاجِ مُوَاثِـبِ

---

[1] المهجهج : شدة الصياح .
[2] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص١-٥ .
[3] المصدر السابق : ص ٦١-٦٨ .
[4] الطبري : ج٩ / ص ٥١٩-٥٢٠ .

ويرى الشاعر يحيى بن خالد بن مروان أن الموفق قد تمكن ، بعزيمته وقوته ، أن يعيد للدين هيبته وعظمته ، وذلك بعد أن قضى على ثورة الزنج وقائدها ، الذي قتل الأطفال فضلاً عن الشيوخ والنساء ، وبهذا الانتصار يكون الموفق قد شفى صدور المؤمنين وأقر عيونهم . يقول : [1]

أَقْرَرْتَ عَيْنَ الدِّيْنِ مِمَّنْ قَادَهُ ... وأَدَلْتَهُ مِمَّنْ قَاتِلُ الأَطْفَالِ

صَالَ الموفَّقُ بِالعراقِ فأفْزَعَتْ ... مَنْ بالمغَارِبِ صَوْلَةُ الأَبْطَالِ

وعندما يمدح ابن الرومي الوزير صاعد بن مخلد ، يصفه بأنه بطل يصول على الأعداء ، فتضيق بهم الدنيا ، ولا يهدأ لهم بال ، كما أنه يوظف كل ما في يديه من أجل القتال ضد المتمردين والمناهضين ، فيحقق النصر . يقول : [2]

يَصُولُ عَلَى أَعْدَائِهِ كُلَّ صَوْلَةٍ ... يَضِيْقُ لَهَا مِنْهُمْ مُقَامٌ وَمَقْعَدُ

إِذا مَا اجْتَبَى مَالاً فمَالاً أَحالَهُ ... قِتَالاً وزِلْزَالاً لِمَنْ يَتَمَرَّدُ

وبهذا يكون الشعراء قد مدحوا القادة بصفات البطولة والإقدام على خوض المعارك ، فصوروا حسن بلائهم في معاركهم ، وقدرتهم الفائقة على كسب المعارك التي كانوا يخوضونها .

ب- الكرم والصفات الإنسانية :

عندما يكون القائد كبيراً في عيون أتباعه ، فإنهم يعظمونه ، ويقدرون صفاته الإنسانية التي يتفرد بها عن غيره ، ولا شك في أن الشعراء هم أسرع الناس إلى رصد هذه الصفات وإبرازها ، وذلك عندما يمدحون أمثال هذا القائد ، فهم – أي الشعراء – قادرون بموهبتهم وحسهم المرهف أن يوظفوا هذه الصفات الجليلة لتزيين صورة ممدوحهم في عيون الناس ، وهذا ما فعله شعراء الثورات عندما طرقوا هذا الجانب في مدائحهم .

---

[1] المصدر السابق : ج٩/ص٦٦٥ ، الكامل : ج٦/ص٥٤ .

[2] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص١١٨ .

ومن هؤلاء الشاعر إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فقد ذكر صفات أهله الطالبيين ، وما امتازوا به من كريم النسب الذي يجمعهم مع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، فهو يمدحهم بهذه الصفات وبهذا النسب ، فيقول : [1]

يَا خَلَقَ القَيْدِ مَا تَضَمَّنَ مِنْ   حِلْمٍ وبِرٍّ يَشُوبُهُ حَسَبُ

وأُمَّهَاتٌ مِنَ العواتِكِ أَخْـ   ـلَصْنَكَ بِيْضٌ عَقَائِلٌ عُرُبُ

أما الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي ، فإنه عندما يمدح القائد يحيى بن عمر الطالبي ، يذكر صفاته الطيبة التي تدل على أنه من أصل طيب ، فهو عظيم في عيون أتباعه ، إنهم يرونه كالبدر الذي يضيء لهم عتمة حياتهم . يقول : [2]

قَدْ كَانَ حِينَ بَدا الشَّبَابُ بِهِ   يَقَقَ السَّوَالِفِ حَالِكَ الشَّعرِ

وكَأَنَّهُ قَمَرٌ تمنطَقَ في   أُفْقِ السَّماءِ بِدَارَةِ البَدْرِ

ويرى الشاعر أيضاً ، أن يحيى يتمتع بصفات تسر القاصي والداني ، وتجعل الدنيا كلها تبتهج له ، بينما يسر الإسلام ، لأن من أتباعه رجل مثل يحيى ، عظيم في أخلاقه ، كريم في طباعه ، أصيل في نسبه . يقول : [3]

فَتى غُرَّةٌ لليَوم وَهْوَ بَهِيْمُ   ووَجهٌ لوَجْهِ الجَمْعِ وَهْوَ عَظِيْمُ

لَقَدْ بَيَّضَتْ وَجْهُ الزمانِ بوجهِهِ   وسُرَّتْ بِهِ الإِسلامُ وَهْوَ كَظِيْمُ

وتقف الفارعة بنت طريف ، لتمدح في أخيها صفات الكرم ومساعدة المحتاجين ، وتبين ما أصاب قومه بعد موته من هم وغم وحزن أليم ، لأنه كان لهم كالشمس أو كالبدر ، يمنحهم عطاءه ، ويعينهم على العيش الكريم . تقول : [4]

---

(1) الطبري : ج٨/ص٥٤٥-٥٤٦ ، مقاتل الطالبيين ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(2) مروج الذهب : ج٤/ص١٥٢ ، ويقق : شديد البياض (القاموس المحيط " ج٣/ص٣٩٥) .

(3) مقاتل الطالبيين : ص ٦٦٣ .

(4) وفيات الأعيان : ج٥/ص٨٥-٨٦ ، الكامل : ج٥/ص٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج١٢/ص٨٥-٨٦ .

أَلَا يَا لِقَومي لِلحِمَامِ ولِلْبِلَى ولِلأَرْضِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِرُجُوفِ
ولِلْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ الكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى ولِلشَّمْسِ لَمَّا أَزْمَعَتْ بِكُسُوفِ
ولِلَّيْثِ كُلِّ اللَّيْثِ إِذْ يَحْمِلُونَهُ إلى حُفْرَةٍ مَلحُودَةٍ وسَقِيفِ
أَلا قاتَلَ اللهُ الحَشَى حَيثُ أَضْمَرَتْ فَتَىً كَانَ لِلمَعْرُوفِ غَيرَ عَيُوفِ

بينما يبين مسلم بن الوليد أن القائد يزيد بن مزيد الشيباني ، قد طبع على الكرم والعطاء ، كما أنه مطبوع على القتال والظفر بالأعداء . يقول : [١]

لا يَسْتَطِيعُ يَزِيدُ مِنْ طَبِيعَتِهِ عَنِ المنيةِ والمَعْرُوفِ إِحْجَامَا

ويتحدث ابن الرومي عن صفات الوزير صاعد بن مخلد ، فيبين أنه رجل كريم يشرك الناس في أمواله ، كما أنه رجل رقيق الطبع ، ولكنه يجمع بين الحزم واللين ، فهو أيضاً ماضي العزيمة كحد السيف ، يأبى الذل والمهانة ، ولا يقبل إلا الحق . يقول : [٢]

هُوَ الرَّجُلُ المشْرُوكُ في جُلِّ مَالِهِ ولكنَّهُ بِالخَيرِ والحَمْدِ مُفْرَدُ
يُقَرِّض إلاّ أَنَّ مَا قِيلَ دُونَهُ ويُوصَفُ إلاّ أَنَّهُ لا يُحَدَّدُ
أَرَقُّ مِنَ المَاءِ الَّذي في حُسَامِهِ طِبَاعاً ، وأَمْضَى مِنْ شَبَاهُ وأَنْجَدُ
وأَجْدَى وأَنْدَى بَطْنِ كَفٍّ مِنَ الحَيَا وآبَى إِبَاءً مِنْ صَفَاةٍ وأَجْمَدُ

ويؤكد ابن الرومي صفة الكرم عند صاعد ، تلك التي جعلته يرتقي إلى المجد والعلياء ، فكان اسماً على مسمى . يقول : [٣]

تَجَاوَزَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ المجدَ بالنَّدَى وفي كُلِّ مَا اسْتَرْفَدْتَهُ فَهْوَ أَجْوَدُ
وَمَنْ لمْ يَزِدْ في مَجْدِهِ بَذْلُ مَالِهِ وجَادَ بِهِ فَهْوَ الجَوَادُ المقَلَّدُ
تَرَى نَائِلاً مِنْ نَائِلٍ ثُمَّ ينتَهِي إلى صَاعِدٍ إسْنَادُهُ حِينَ يُسْنَدُ
كَأَنَّ أَبَاهُ يَومَ سَمَّاهُ صَاعِداً رَأَى كيفَ يَرقَى في المَعَالِي ، ويَصْعَدُ

---

[١] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦١-٦٨ .

[٢] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص ١١٥ .

[٣] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص١١٦-١١٧ .

ثم يبين الشاعر أن صاعداً لا ينتظر سؤال الناس له ، بل يبادرهم فيعطيهم ، ويكـــرر عطاءه لهم ، وهو المأمول عند الناس ، يرتجون منه الخير ، فإذا وعدهم صدق وأنجز ما وعد به . يقول : [1]

فَــتىً يبــدأُ العــافِينَ بالبَــذْلِ مُعْفِيَــاً   فَإنْ عَادَ عَافٍ فَهْــوَ بالبَــذْلِ أَعْــوَدُ

رجــاء مرجيــه لديــه كوعــده   وموعــده إيــاه عهــد مؤكــد

أما ابن المعتز فيصف الموفق بأنه سريع في وصوله إلى أعدائه ، إذ يقتحم الأهوال ، لأنه يتمتع بجرأة كبيرة ، ويحمل قلباً ثابتاً قوياً ، إضافة إلى ما يتمتع به من بهاء وحسن منظر . يقول : [2]

سَرِيْعٌ إلى الأَعْــدَاءِ أَمَّــا جَنَانُــهُ   فَمَاضٍ وأَمَّــا وَجْهُــهُ فَجَمِيْــلُ

وهكذا يكون الشعراء قد مدحوا القادة فأبرزوا صفاتهم الإنسانيّة من كرم وعطــاء وسماحة ، وتغنّوا بهذه الصّفات لتكون قلائد يضعونها في أعناق ممدوحيهم .

ج- الحكمة والحنكة في القيادة :

تميز بعض القادة بالحكمة والحنكة في سياسة الأمور ومعالجتــها ، فكانــت هــذه الصفات محط أنظار الشعراء ، إذ ذكروها في أشعارهم ، وتغنوا بها مادحين أصحابها ، وبيّنوا أنها ساعدتهم على تثبيت حكم السلطة العباسية ، والقضاء على كل المناهضين والأعداء .

ومن الشعراء الذين مدحوا القادة بهذه الصفات ابن الرومي ، فقد ذكر أن قائد ثورة الطالبيين يحيى بن عمر كان يحض على خطة محكمة ، إذ لو تم تطبيقها لنجحــت ثورتــه ، ولاستطاع أن يحقق هدفه في القضاء على الدولة العباسية . يقول : [3]

---

[1] المصدر السابق : ج٢ / ١٢٥ .

[2] ديوان ابن المعتز : ج١ / ص٣٧٠ .

[3] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص ٢٨ .

وَقَدْ كَانَ فِي يَحْيَىٰ مُذَمَّــرُ خُطَّـــةٍ   وَنَاتِجُهَا ، لَوكَـــانَ لِلأَمْـرِ مُنْتَـجُ

وكذلك فقد رأى الشاعر في الوزير صاعد بن مخلد الرجل الذي استطاع بحكمتـه وحنكته أن يقود الدنيا بإصبعه ، وهذا ما جعله تاجاً وإكليلاً على رأس الدولـة ، وسـيفاً مسلولاً من سيوفها ، فقد حماها في السلم وفي الحرب ، وكان خيراً لأصحابه ، شراً علـى أعدائه . يقول : [1]

فَتَىٰ الدِّينِ والدُّنْيا الـّذِي أَذْعَنَـا لَـهُ   فَفِي خِنْصِـرٍ مِنْـهُ لصَـعْبَيْنِ مِقْـوَدُ
هُوَ التَّاجُ والإِكْلِيـلُ في كُـلِّ مَحْفَـلٍ   بَلِ السَّـيفُ سَـيفُ الدَّولَـةِ المتقلَّـدُ
يزين ويحمي ، وهو في السـلم زينـة   لمن يرتديه ، وهـو في الحـرب مـزود

أما مسلم بن الوليد فكان يرى أن ملك بني العباس كان زائلاً لولا حكمة وحنكـة القائد الكبير يزيد بن مزيد الشيباني ، إذ هو الذي دفع بأس الروم وردهم عن ثغور الدولـة العباسية ، وهو أيضاً من صارع الثورات المناهضة وقضى عليها ، ولهذا وذاك حـق لـه أن يفخر بنسبه الشيباني . يقول : [2]

لَولا يزيدُ لأَضْـحَىٰ الملْـكُ مُطَّرَحَـاً   أَوْ مَائِلَ السَّمْكِ أَوْ مُسْـتَرخِيَ الطِّـوَلِ
لَوْلَا دِفَاعُكَ بَـأْسَ الـرُّومِ إِذْ بَكَـرَتْ   عَنْ عِتْرَةِ الدِّينِ لمْ تَـأْمَنْ مِـنَ الثَّكَـلِ
لَـوْ أَنَّ غَـيْرَ شُـرَيْكِيٍّ أَطَـافَ بِـهِ   فَازَ الوليدُ بِقِـدْحِ النَّاضِـلِ الخَصِـلِ
فَافْخَرْ فَمَالَكَ في شَـيْبَانَ مِـنْ مَثَـلٍ   كَذَاكَ مَـا لِـبَنِي شَـيْبَانَ مِـنْ مَثَـلِ

كذلك فإن الشاعر يؤكد ما قاله في يزيد ، ويبين أنه بحكمته وحسن قيادته استطاع أن يحمي الخلافة والإسلام ، كما أنه في صراعه مع ثورة الوليد بن طريف الشاري الشيباني ، قطع القرابة وانتصر للإسلام وتجاهل كل ما يربطه مع الوليد من قرابة . يقول : [3]

---

[1] المصدر السابق : ج٢/ص١٢٤ .
[2] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١-٢٣ . وشُرَيكِيّ : أحد بني شُرَيك ، والممدوح منهم .
[3] المصدر السابق : ص٦١-٦٨ .

حمَـــىٰ الخِلافَـــةَ والإِســـلامَ فامتنعَـــا كالليْثِ يَحْمِي مَـعَ الأَشْـبَالِ آجَامَـا
قَطَعْـتَ في اللهِ أَرْحَـامَ القَرِيـبِ كَمَـا وَصَـلْتَ في اللهِ أَرْحَامَـاً وأَرْحَامَـا
لو لمْ تَكُونُوا بَنِي شَـيْبَانَ مِـنْ بَشَـرٍ كُنْـتُمْ رَواسِـيَ أَطْـوَادٍ وأَعْلاَمَـا

ويبين الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي أن الموفق العباسي كان يتمتع بحنكة سياسية عالية ، إذ كان مسيطراً على أمور الدولة كلها ، وعلى يديه تمت الأمور الهامة في هذا العهد [1] ، ولذلك تمكن من الارتقاء بالخلافة العباسية بعد أن كانت ألعوبة بيد الأتراك يقول : [2]

لِـوَلِيِّ عَهْـدِ المُسْـلِمِينَ مَنَاسِـبُ شَـرُفَتْ وأَشْـرَقَ نُورُهَـا بِمَنَاصِـبِ
ومَرَاتِـبُ في ذِرْوَةٍ لا تُرتَقَـىٰ أَكْـرِمْ بِهَـا مِـنْ ذِرْوَةٍ ومَرَاتِـبِ

ويرى الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي أن الموفق أعرض عن كل ملذات الدنيا وشهواتها ، واتجه نحو تقوية سلطان الدولة العباسية ، وذلك بالقضاء على كل الحركات المناهضة ، وبغزو الأعداء الذين يتربصون بها . يقول : [3]

فأَعْرَضَ عَنْ أَحْبَـابِـهِ ونَعِيْمِـهِ وَعَنْ لَـذَّةِ الدُّنيا وأَقْبلَ غَـازِيَـا

وكذلك فإن الشاعر يحيى بن خالد بن مروان يرى بأن الموفق استطاع بسياسته الحكيمة وحسن تدبيره أن يعيد للخلافة وجهها المشرق ، كما تمكن من إنقاذ الأسرى الذين كانوا عند أعداء الدولة وكذلك فقد تمكن برأيه الحازم أن يرهب كل المناوئين والأعداء . يقول : [4]

---

(1) تاريخ الأمم الإسلامية ، محمد الخضري : ص ١٩١ .
(2) الطبري : ج٩/ص٥١٩-٥٢٠ .
(3) الطبري : ج٩/ ص٦٦٤ ، الكامل : ج٦/ص٥٤ .
(4) الطبري : ج٩/ص٦٦٤-٦٦٥ ، الكامل : ج٦/ص٥٤ .

مَلِكٌ أعَادَ الدِّينَ بَعْدَ دُرُوسِهِ واسْتَنْقَذَ الأَسْرَىٰ مِنَ الأَغْلالِ
أَمْطَرَهُمْ عَزَمَاتِ رَأْيٍ حَازِمٍ مَلأَتْ قُلُوبَهُمُ مِنَ الأَهْوَالِ

أما الشاعر ابن المعتز فيرى أن الموفق قد أحسن في سياسته التي تعامل بها مع ثورة الزنج ، فقد كان يدير بنفسه دفة القتال معهم [(١)] وكان من حسن سياسته أن قبل المستأمنين منهم ، وأكرمهم ، وضمهم إلى جيشه [(٢)]، كما عمل على حصار مدينتهم وعاصمة ثورتهم " المختارة " فتمكن بحنكته من القضاء على هذه الثورة التي أقضت مضاجع العباسيين ما يزيد عن أربعة عشر عاماً ، وكان انتصاره على الزنج فتحاً مبيناً ، فرح الناس له ، وتغنى به الشعراء ومن ذلك قول ابن المعتز : [(٣)]

أَغْرَىٰ بِهِ اللهُ هِزَبْراً ضَيْغَمَا إِذَا رَأَىٰ أَقْرانَهُ تَقَدَّمَا
قَدْ جَرَّبَ الحُرُوبَ حَتَّىٰ شَابَا فَإِنْ دَعَاهُ حَادِثٌ أَجَابَا
لا عَاجِزُ الرَّأْيِ ولا بَلِيدَا لَكِنْ شُجَاعَاً يخضِبُ الحَدِيدَا
يَحْبُو المطِيعَ وَيُبِيدُ العَاصِيَا ويَخضِبُ السُّيُوفَ والعَوالِيَا
ويَقْبَلُ المُسْتَأْمِنَ المنِيبَا ويَغْفِرُ الزَّلاَّتِ والذُّنُوبَا
ولا تَرَاهُ نَاقِضَاً لِعَهْدِهِ ولا يَشُوبُ بَاطِلاً بِجِدِّهِ
حَتَّىٰ قَضَىٰ اللهُ لَهُ بِالفَتْحِ مِنْ بَعْدِ طُولِ تَعَبٍ وَكَدْحِ

وهكذا نجد أن الشعراء قد مدحوا القواد إما حبّاً وإعجاباً بهم ، أو طمعاً في جوائزهم السنية ، ولعل من الحق أن نقول : إن من مدح قواد الثورات من الشعراء كان صادقاً في مشاعره نحوهم ، إذ كان يدفعه إلى ذلك حبه لهم ، وإعجابه بهم ، أما الشعراء الذين مدحوا القادة العباسيين ، فأغلبهم كان طامعاً في جوائز هؤلاء القادة ، الذين كانت غيوث كرمهم لا تزال تنهلّ على الشعراء ، مما جعل ألسنتهم تلهج بمديحهم .

---

(١) ثورة الزنج : فيصل السامر : ص١١١ .

(٢) المرجع السابق : ص١٢١

(٣) ديوان ابن المعتز : ج١/ ص ٤٠٢ – ٤٠٥ .

وبهذا نكون قد سلطنا الضوء على الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات ، تلك الـتي طبعت معظم أشعار الثورات بطابعها ، وألقت عليها بظلالها ، فعكست صورة عن واقـع الصراع السياسي في ذلك العصر ، إذ كان الشعراء مجبرين لا مخيرين ، على الخوض في هذه الموضوعات ، فهم مجبرون إما على الحض على الثورة ، أو إثارة حماسة الناس لمقاومتـها ، كما أنهم لا يجدون مناصاً من مدح القادة أو هجاء خصومهم ، لكنهم يجتمعون جميعاً على رثاء قادتهم المقتولين في المعارك .

إضافة إلى ذلك فقد حمل شعر الثورات دلالات متنوعة ، عكست أبعـاد الواقـع السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل القـادم إن شاء الله .

الفصل الثالث

دلالات شعر الثورات

١- الدلالات السياسية :

- العلاقة بين السلطة الحاكمة والثورات المعارضة .
- الواقع السياسي للسلطة العباسية .
- الدعاية السياسية .
- السياسة الصدامية للسلطة العباسية .

٢- الدلالات الفكرية :

- تصوير الواقع الفكري الداخلي .
- ذكر الوقائع التاريخية البارزة .
- مفهوم الموت والموقف من الدهر .
- قضية التّديّن .
- الحوار السياسي والمناظرة الفكرية .

٣- الدلالات الاقتصادية :

- الواقع الاقتصادي للسلطة العباسية .
- الواقع الاقتصادي للثورات .
- الثراء الفاحش لطبقة القواد .
- الفقر والحرمان عند بعض طبقات المجتمع .
- الواقع الاقتصادي لمدينة البصرة كجزء من المجتمع العباسي .

٤- الدلالات الاجتماعية :

- واقع الطالبيين الاجتماعي .
- واقع البصرة الاجتماعي .
- ظواهر اجتماعية سلبية .
- ظواهر اجتماعية إيجابية .

دلالات شعر الثورات

شهد العصر العباسي كثيراً من وجوه التغيير والتطوير على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، انعكست جميعها بشكل ملحوظ وظاهر في الطراز الحضاري لحياة المجتمع . وفي نتاجه الفكري والروحي على حد سواء . [١]

وبما أن " الشعر نتاج فكري ظهر من أرض الواقع " [٢] فمن الطبيعي أن يعكس أبعاد هذا الواقع ودلالاته السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، وأن يعبر عنها أصدق تعبير ؛ لأن الشعر فن دلالي قديم ، ارتبط إيقاعه بالحركة الإنسانية الأولى ، وهو أيضاً من الأنشطة الاجتماعية التي شدت الإنسان نحو مجتمعه وجعلته يتمثل أحداث المجتمع بأساليب متنوعة [٣].

وإذا كان الشعر وثيق الصلة بالانفعال ، فإن الدلالة صورة ما لفعل أو معنى أو موضوعة إشارية ذات جاذبية فكرية مقترنة بالوعي المتبادل بين المتلقي والمبدع . وإن اكتشاف الدلالة ، ومعرفة المدلول عليه ، في نص ما فعل واع مبعثه وعي القارئ والمؤلف ، لأن " الوعي نفسه هو الفعل والدلالة والمدلول عنه معاً " [٤].

ولعل البحث في علم الدلالة من أفضل الطرق التي توصل القارئ إلى تفسير النص وتأويله بشكل صحيح ، وإلى معرفة أبعاد بنيته التركيبية والإشارية ، وهذا بسبب الصلة الوثيقة بين الإشارية والانفعال فالإبداع انفعال منظّم يولد إشارات تكون دلالة ما ، " لا نستطيع أن نفهم الانفعال ما لم نبحث عن دلالته " [٥]

وبما أن شعر الثورات السياسية هو جزء من شعر العصر العباسي ، فمن الطبيعي أن يعكس لنا واقع الصراع بين السلطة العباسية والثورات المعارضة لها ، فيصور هذا الواقع من جميع نواحيه الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

---

(١) في الأدب العباسي الرؤية والفن . د. عز الدين إسماعيل ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ . ص ٣١٩ .

(٢) شعر أبي فراس الحمداني " دلالاته وخصائصه الفنية " ، د. عبد اللطيف عمران . دمشق : دار الينابيع ١٩٩٩م ، ص ٨٤ .

(٣) المرجع السابق : ص ٨٣ .

(٤) نظرية الانفعال ، جان بول سارتر ، ترجمة : هاشم الحسيني ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٤م ، ص٤٤ .

(٥) المرجع السابق : ص ٣٩ .

وإذاً لا مناص من دراسة النص الشعري بغية معرفة علاقته بالمؤلف والعالم من حوله ، لكن دراستي لدلالات شعر الثورات لن تكون دراسة دلالية منهجية صرفة ، بل هي دراسة مرنة خاضعة لحركية النص ، متحولة بتحول الدلالة ، وعدم استقرارها عند أمر محدد

١- الدلالات السياسية :

علاقة الشعر بالسياسة علاقة قديمة ، لأن الشعر هو أقدم الأصول الأدبية ، وعلاقته بالسياسة هي الأولى ، " حين لم يكن هناك فصل بين السياسة والدين اللذين يجمع بينهما الإيمان بمبدأ ما ، والدفاع عنه " [١]

" ... والشعر .. مشبع بالوجدان السياسي ، فسلطة الدولة الكبيرة ، ومشاكل الحرب والسلام ، وقضايا متطلبات الإنسان ومشاكل تحرره ، كلها ملحة بحيث لا يتوهم أحد نفسه بعيداً عن المؤثرات السياسية .. إن حياتنا الخاصة سياسية " [٢]

لكن كيف يتم الكشف عن الأوضاع السياسية والمواقف الحزبية السائدة في المجتمع ، ضمن النّصوص الشّعرية ؟ هذه مسألة تتعدد فيها آراء الباحثين بتعدّد التّأويلات وتفسير الدلالات في النص ، وبتعدد المناهج المتبعة في استقراء النصوص ، ويسهم في تعدد الآراء هنا أن الشعر مرن غني بمعانيه ودلالاته ، أما السياسة فهي مقصرة في هذا المجال . [٣]

هذا عن الشعر بشكل عام . فكيف يكون حال العلاقة بين الشعر والسياسة في فترة شهدت صراعات سياسية ، وحركات ثورية مناهضة ، كما هو الأمر في الفترة التي ندرسها من العصر العباسي ؟

لا شك في أن شعر الثورات الذي نحن بصدد دراسته هو أقرب أنواع الشعر إلى السياسة ، وعلاقته بها علاقة وطيدة ، فهو يصور العلاقة بين السلطة العباسية وبين الثورات المناهضة لها ، ويكشف عمق النزاع بين الطرفين ، ويعرض صوراً من الواقع السياسي في ذلك العصر ، وعلى هذا الأساس تبنى الدلالات السياسية لهذا الشعر .

---

[١] شعر أبي فراس الحمداني ، د . عبد اللطيف عمران ، ص ٩٢ .

[٢] الشعر والحياة العامة ، م . روزنتال، ترجمة إبراهيم يحيى الشهابي ، وزارة الثقافة السورية ١٩٨٣ ، ص١٢١ .

[٣] " .. فسلطة الأيدلوجيا تقبل الثبات والجمود ، وسلطة الأدب ترفض القولبة والجمود " ، د. عبد العزيز المقالح ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢-سنة ١٩٨٣ ، ص ١٢٥ .

أ- العلاقة بين السلطة الحاكمة والثورات المناهضة :

ينقل لنا شعر الثورات صورة العلاقة بين العباسيين ومعارضيهم من زعماء الثورات وأنصارها ، تلك العلاقة التي ظهرت صراعاً مسلحاً بين الطرفين ، يريد كل طرف من خلاله أن ينتصر على الطرف الآخر .

إن توتر العلاقة بين العباسيين والطالبيين ، جعل قائد ثورة الطالبيين إبراهيم بن عبدالله يتخذ من ذلك ذريعة للقيام بثورته على السلطة العباسية ، إذ قام الخليفة المنصور بإخراج الطالبيين من المدينة إلى بغداد مقيدين بالسلاسل ، بهدف الضغط على إبراهيم كي يعدل عن عصيانه ، ويتراجع عن القيام بثورته .[1]

وفي هذا يقول إبراهيم :[2]

حَتَّى نُوَفِّي بَنِي نُتَيلَةَ بِالقِسْطِ	بِكَيْلِ الصَّاعِ الَّذِي احْتَلَبُوا[3]
بالقَتْلِ قَتْلاً وبِالأَسِيرِ الَّذِي	في القَدِّ أَسْرَىٰ مَصْفُودَةً سُلُبُ

إن إبراهيم يرى أن ثورته إنما هي رد على ممارسات السلطة العباسية ضد قومه ، والتي تمثلت في القتل والأسر .

وعندما يصل الصراع السياسي بين العباسيين والطالبيين إلى حد الصدام المسلح ، يضطر بعض الشعراء من أنصار الطالبيين إلى استخدام أسلوب " الهجوم السياسي " على العباسيين ، حيث يظهرون عيوب السلطة ، ويحاولون إظهار الثائرين بمظهر المدافعين عن الدين ، وهذا ما نجده عند الشاعر غالب بن عثمان الهمداني الذي يصور واقع العلاقة السياسية بين إبراهيم بن عبد الله ، والسلطة العباسية ، فيبين منزلة الطالبيين الدينية ، ويعيب على العباسيين اتصال نسبهم بالإماء من غير العرب . يقول :[4]

أَيُّ امْرِئٍ ظَفِرَتْ بِهِ	أَبْنَاءُ أَبْنَاءِ الوَلَائِدْ
فَأُولئِكَ الشُّهَداءُ والصُّبْرُ	الكِرَامُ لَدَىٰ الشَّدَائِدْ

---

[1] الطبري : ج٨/ص٥٤٥-٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٤ وما بعدها .

[2] الطبري : ج٨/ص٥٤٥-٥٤٦ .

[3] بنو نتيلة : يقصد العباسيين ، لأن " نتيلة " هي أم العباس وضرار ابني عبد المطلب . (تاج العروس : ج١٥/ص٧١٥) .

[4] مقاتل الطالبيين : ص ٣٨٥ .

ويظهر شاعر الزط مدى توتر العلاقة بين قومه وبين السلطة العباسية ، إذ وصلت إلى الصدام المسلح الذي أُسفر عن استسلام الزط ومن ثم نفيهم إلى مناطق الثغور مع الروم ، لكن الشاعر يبين – من باب الفخر – أن الزط هم الذين حاربوا السلطة ، وواجهوها بكل عنف ، فكانت عاجزة عن صدهم ومواجهة ثورهم . يقول : [1]

نَحْنُ الَّذِينَ ضَرَبْنَاكُمْ مُجَاهَرَةً ... قَسْراً وَسُقْنَاكُمْ سَوْقَ المعاجِيْزِ

أما صاحب الزنج فينقل لنا صورة عن " الحوار السياسي " الذي كان قد قدمه للسلطة العباسية ، أنه يعرض عليهم " الصلح السياسي " فينهاهم عن إثارة الفتنة بينهم وبين أهله الطالبيين – حسب ادعائه – تلك التي سيطول زمنها وسيصعب حلها ، إن استمرت بينهم ، كما يدعوهم إلى اقتسام السلطة كحل لنزع فتيل الصراع الدائر بينهم . يقول : [2]

بَنِي عَمِّنَا لا تُوقِدُوا نَارَ فِتْنَةٍ ... بَطِيءٍ عَلَى مَرِّ اللَّيَالي خُمُودُهَا

بَنِي عَمِّنَا إِنَّا وَأَنْتُمْ أَنَامِلٌ ... تَضَمَّنَهَا مِنْ رَاحَتَيْهَا عُقُودُهَا

ويبين الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي واقع الصراع بين الطالبيين وبين العباسيين ، إذ يرى من خلال يحيى بن عمر الطالبي ، أن هذا الصراع هو صراع عزة وشرف لأن الطالبيين يدافعون عن حق مغتصب ، فهو يسوغ لهم مواجهتهم للسلطة ، ويبرر لهم ثورهم على العباسيين . يقول : [3]

أُتِيحَ لِيَحْيَى الخَيْرِ مِنْهُنَّ مَصْرَعُ ... مَصَارِعُ فِتْيَانٍ كِرَامٍ أَعِزَّةٍ

كما أن الشاعر ابن الرومي يحمل " حملة سياسية " على العباسيين ، فيبين أنهم تركوا مخافة الله في علاقتهم مع الطالبيين ، إذ لم يحسبوا أي حساب لحرمة هؤلاء الدينية ، ولم يقيموا وزناً لقرابتهم من رسول الله ﷺ ، فأساؤوا معاملتهم ، وقتلوهم ، وشردوهم ، فكانوا شر حكام مع رعيتهم . يقول : [4]

---

[1] الطبري : ج٩/ص١٠ .

[2] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦-١٥٧ .

[3] مروج الذهب : ج٤/ص١٤٩-١٥٠ ، الكامل : ج٥/ص٣١٥-٣١٦ .

[4] ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣ .

تَبيعُـونَ فِيـهِ الـدِّينَ شَـرَّ أَئِمَّـةٍ فَلِلّهِ دِيـنُ اللهِ قَـدْ كَـادَ يَمْـرَجُ [1]
أَمَـا فِـيهِمُ رَاعٍ لِحَـقِّ نبيِّـهِ ولا خَـائِفٌ مِـنْ رَبِّـهِ يَتَحَـرَّجُ

هكذا كانت العلاقة بين العباسيين وبين مناهضيهم ، و لم يجد الشعراء بُدّاً من تصوير هذا الواقع ، فضمنوا شعرهم إشارات تدل على تلك العلاقة السياسية ، التي كانت قائمة على أساس من التراع المسلح على السلطة .

ب- الواقع السياسي للسلطة العباسية :

يجسد شعر الثورات واقع السلطة العباسية وسياستها ، تلك التي اعتمدت على الأتراك في مواجهة الثورات المعارضة لها ، إذ كان القواد الأتراك يمثلون الغالبية العظمى من بين قادة الجيوش العباسية ، وقد وصل الحال ببعضهم إلى السيطرة على الخلفاء أنفسهم ، مما أمدهم بصلاحيات واسعة، جعلت المناهضين للسلطة يتخذونها ذريعة للطعن بها وبسياستها .

فهذا شاعر الزط يشير إلى هذا الأمر إشارة واضحة ، فيكشف عيب السلطة في اعتمادها على القواد الأتراك في مواجهة الثورات المناهضة لها . يقول : [2]

فَاستَنْصِرُوا العَبْدَ مِـنْ أَبْنَـاءِ دَوْلَـتِكُمْ مِنْ يَا زَمَانَ وَمِـنْ بَلْـجٍ وَمِـنْ تُـوزِ
وَمِنْ شِـنَاسٍ وأَفْشِـينٍ ومِـنْ فَـرَجٍ المُعْلِمِـيْنَ بِـدِيْبَاجٍ وإِبْرِيـزِ

إن اعتماد السلطة العباسية على القواد الأتراك ، يمثل ظاهرة خطيرة انتشرت في بعض مراحل العصر العباسي ، وقد اتضح خطرها وتبين عندما أصبح الخلفاء العباسيون ألعوبةً بأيدي هؤلاء الأتراك ، ينصبونهم ثم يعزلونهم أو يقتلونهم . [3]

وإلى هذا يشير الشاعر أحمد بن طاهر ، عندما يصور واقع السلطة العباسية فيقول : [4]

قَـوَاطِعُكُمْ في التُّـرْكِ غَـيْرُ قَوَاطِـعٍ ولكنَّـهَا في آلِ أَحْمَـدَ تَقْطَـعُ
لَكُـمْ مَرْتَـعٌ في دَارِ آلِ مُحَمَّـدٍ ودَارُكُـمْ للتُّـرْكِ والجَـيْشِ مَرْتَـعُ

---

[1] يمرج : يختلط ويفسد (الديوان : ج٢/ص٢٣) .

[2] الطبري : ج٩/ ص١٠-١١ .

[3] انظر : الفخري ، لابن الطقطقي ، ص ٢٤٠ .

[4] مروج الذهب : ج٤/ص١٤٨-١٤٩ .

إنه يعيب على العباسيين سيطرة الأتراك على قصورهم وجيوشهم .

كما أن صاحب الزنج يلوم العباسيين – أثناء حواره السياسي معهم – على اعتمادهم على الأتراك في حماية سلطانهم ، وتركهم العنصر العربي من أبناء جلدتهم ، الذين ينظرون إلى السلطة بعين السخط والتبرم ، لأنها تركتهم واعتمدت على غيرهم في معظم المواقع القيادية يقول : [١]

بَنِي عَمِّنَا وَلَّيتُمُ التُّـرْكَ أَمْـرَنَا ... بَدِيْئاً وأَعْقَاباً ونَحْـنُ شُهُودُهَـا

بيد أن العدالة تقتضي أن نرد على صاحب الزنج فنبين له أن السلطة العباسية اعتمدت أيضاً على بعض القواد العرب الأقحاح ، الذين كان لهم اليد الطولى في القضاء على بعض الثورات المناوئة للسلطة العباسية ، مما أكسبهم رضا وإعجاب الخلفاء العباسيين ، فأكرموهم وقدروهم وسمحوا للشعراء أن يمدحوهم . ومن هؤلاء القائد العربي الكبير يزيد ابن مزيد الشيباني الذي كان له الفضل في القضاء على ثورة الوليد بن طريف الشاري ، وغيرها من الحركات المناهضة للعباسيين .

وقد أشار الشعراء المناصرون للسلطة إلى هذا الأمر ، فبيّنوا فضل القادة العرب في ترسيخ سلطان العباسيين ، ومدحوا اعتماد الخلفاء على أمثال هؤلاء القواد الذين أثبتوا جدارتهم فاستحقوا التكريم ، ومن الشعراء الذين أشاروا إلى ذلك ، الشاعر مسلم بن الوليد ، إذ يقول : [٢]

لَـوْلا يَزِيـدُ وأَيَّـامٌ لَـهُ سَـلَفَتْ ... عَاشَ الوليـدُ مـعَ الغَـاوِينَ أَعْوَامَـا

سَلَّ الخَلِيفةُ سَـيْفاً مِـنْ بَـنِي مَطَـرٍ ... يَمْضِـي فَيَخْتَـرِقُ الأَجْسَـادَ والهامَـا

مَنِيَّـةٌ في يَـدَيْ هَـارونَ يَبْعَثُهَـا ... على أَعادِيْـهِ إنْ سَـامَىٰ وإنْ حَامَـا

إِذَا الخِلافَةُ عُدَّتْ كُنْـتَ أَنْـتَ لَهَـا ... عِزّاً وكَانَ " بنـو العبَّـاسِ " حُكَّامَـا

إن مسلم بن الوليد يشجع العباسيين على الاعتماد على العنصر العربي في دولتهم ، ويبين لهم صواب رأيهم في ذلك ، إذ أثبتت التجارب أن هؤلاء القواد مخلصون في ولائهم

---

[١] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦-١٥٧ .

[٢] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦٢ – ٦٣ – ٦٤ – ٦٧ .

للعباسيين ، كما أثبتت قدرتهم على إنجاز المهمات التي توكل إليهم ، فيزيد تمكن من القضاء على ثورة الوليد بن طريف ، على الرغم من صلة القرابة التي تربطهما ، فكلاهما من بني شيبان ، لكن هذا الأمر لم يقف عائقاً أمام يزيد عندما كلف بالقضاء على هذه الثورة ، مما يدعو إلى عدم الخوف من إسناد الأمور الهامة إلى القواد العرب .

ولذلك يشير مسلم بن الوليد في قصيدة أخرى إلى قدرات القائد يزيد بن مزيد ، تلك التي جعلت الخلفاء العباسيين لا يدعونه إلا للمعضلات من الأمور ، ويكلفونه بالصعب من المهمات ، حتى غدا من أركان النظام العباسي ، إذ تبوأ مترلة رفيعة عند الخلفاء . يقول: [1]

لِلّهِ مِنْ هَاشِمٍ في أَرْضِهِ جَبَلٌ ... وَأَنْتَ وابْنُكَ رُكْنَا ذلِكَ الجَبَلِ
قَدْ أَعْظَمُوكَ فَمَا تُدْعَى لِهَيِّنَةٍ ... إِلاَّ لمعْضِلَةٍ تُسْتَنُّ بِالعَضَلِ [2]

ج – الدعاية السياسية :

كان للنزاع بين السلطة العباسية ، وبين الثورات المناهضة لها ، عمق انعكس في شعر الثورات ، فقد ذهب شعراء كل طرف إلى إعلاء قيمة الطرف الذي يناصرونه ، وطعن الطرف الآخر بما يجدون عنده من هفوات ، وكان أكثر الشعراء الذين حملوا لواء الدعاية السياسية هم من أنصار الثورات ، إذ راحوا يبينون مترلة الثوار السياسية ، وأهدافهم النبيلة ، فضلاً عن نسب بعضهم الشريف الذي يجعلهم كباراً وعظماء في عيون أتباعهم ومناصريهم.

مثل هذا نجده عند الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، حيث يصور قائدين من قواد ثورات الطالبيين هما محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن حسن ، بأنهما يدافعان عن الإسلام وعن الضعفاء من المسلمين ، ولذلك يحق لهم القيام بثورتهم ومواجهة السلطة . يقول : [3]

كَيْفَ بَعْدَ المَهْدِيِّ أَوْ بَعْدَ إِبْرا ... هِيْمَ نَوْمِي عَلَى الفِرَاشِ الـوَثِيرِ
وَهُمُ الذائِدُونَ عَنْ حُرَمِ الإِسْلَامِ ... والجَابِرُونَ عَظْمَ الكَسِيرِ

---

[1] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٢٢ .

[2] تستن بالعضل : أي تتابع بالعسر . (المصدر السابق : ص٢٢)

[3] مقاتل الطالبيين : ص ٣٨٥ .

ونجد الشاعر القاسم بن إبراهيم ، يصف أخاه " ابن طباطبا " بأنه ملك ، مما يضفي عليه الصفة السياسية التي تخوله المطالبة بحقه المغتصب من لدن العباسيين كما يعطي الحق لأتباعه أن يفتدوه بأرواحهم ، لأنه ملكهم وقائدهم . يقول : [1]

مَاذَا تَضَمَّنْتَ يَا ذَا اللَّحْدِ مِنْ مَلِكٍ لمْ يَحْمِهِ مِنْكَ عِقْيَانٌ ولا وَرِقُ

يا شَخْصَ مَنْ لَو تَكونُ الأَرْضُ فِدْيَتُهُ مَا ضَاقَ مِنِّي بِهَا ذَرْعٌ ولا خَلَقُ

وهذا الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي يضفي على الطالبين أكرم الصفات وأنبلها ، فهم أبناء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومترلتهم كبيرة في نفوس الناس أجمعين ، لكن الأيام انقلبت عليهم وغيرت أحوالهم وأحالتهم إلى أوضاع سيئة لا تسر صديق . وأعتقد أن الشاعر يواري بالدهر ذمه للسلطة العباسية التي جعلت حياة الطالبيين بائسة ، عنوانها التشريد والقتل . يقول : [2]

بَني البَشِيرِ النَّذِيرِ الطَّاهِرِ الطُّهُرِ الَّذي أَقَرَّتْ بِفَضْلِهِ الرُّسُلُ

خَانَهُمُ الدَّهْرُ بَعْدَ عِزِّهِمُ والدَّهْرُ بالنَّاسِ خَائِنٌ خَتِلُ

كما يرى الشاعر نفسه أن أبا السرايا وهو قائد إحدى ثورات الطالبيين ، رجل شهم وفارس بطل ، يحمي أنصاره ويدافع عنهم بكل قوة ، وفي أقسى الظروف مما يعطيه صفة القيادي الناجح المؤهل لسياسة الناس وقيادتهم . يقول : [3]

يَا رُبَّ يَومٍ حَمَى فَوارِسَهُ وَهْوَ لا مُرْهَقٌ ولا عَجِلُ

كَأَنَّهُ آمِنٌ مَنِيَّتَهُ في الرَّوْعِ لمَّا تَشَاجَرَ الأَسَلُ

ويحاول الشعراء تعظيم هول المصيبة عندما يقتل قائد من قادة الثورات التي يناصرونها، ملهبين في نفوس أتباعه حماسة الثأر ، ومؤججين في صدورهم نار الثورة والتمرد . فهم — أي الشعراء — يصورون موت هذا القائد بأنه وبال على الأمة بأسرها ، ومصيبة على

---

(1) المصدر السابق : ص ٥٥٤- ٥٥٥ .

(2) مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٦-٥٥٧ .

(3) المصدر السابق : ص ٥٥٨ .

الدين ، الأمر الذي يدعو أنصاره إلى مواصلة الثورة على السلطة الظالمة ، كي يصلوا إلى هدفهم المنشود .

مثل هذا نجده عند الشاعر أحمد بن طاهر ، حيث يبيّن أن افتقاد الناس ليحيى بن عمر الطالبي هو افتقاد للمجد والمعالي والقيم النبيلة ، ولذلك عليهم ألا يرقدوا ، وألا يغمض لهم جفن حتى يدركوا ثأره من العباسيين . يقول:[1]

فَقَدْنَا العُلَا والمجْدَ عِنْدَ افتِقَادِهِمْ وأَضْحَتْ عُرُوشُ المكْرُمَاتِ تَضَعْضَعُ
أَتَجْمَعُ عَيْنٌ بَيْنَ نَوْمٍ ومَضْجَعٍ ولابْنِ رَسُولِ اللهِ في التُّربِ مَضْجَعُ

كما يبين أحد الشعراء أن مقتل يحيى بن عمر حدث عظيم هز وجدان الدنيا بأسرها ، مما جعل كل ما فيها يبكي عليه ، ويحزن على فقده ، فهو ركن من أركان الصراع الطالبي العباسي ، وبموته يخسر الطالبيون خسارة فادحة . يقول : [2]

بَكَتِ الخَيْلُ شَجْوَهَا بَعْدَ يَحْيَى وبَكَاهُ المهَنَّدُ المصْقُولُ
وبَكَتْهُ العِرَاقُ شَرْقاً وغَرْبَاً وبَكَاهُ الكِتَابُ والتَّنْزِيلُ

وفي هذا السياق يأتي الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي ليضفي على يحيى بن عمر الكثير من الفضائل ، إذ يبين أنه من أسرة طيبة لها مكانتها عند الناس ، كما يشير إلى أن موت هذا القائد العظيم ما هو إلا تحول من منزلة رفيعة ، إلى منزلة أرفع . يقول : [3]

يَابْنَ الَّذِي جُعِلَتْ فَضَائِلُهُ فَلَكَ العُلَا وقَلَائِدُ السُّوَرِ
والمَوْتُ لا تُشْوَى رَمِيَّتُهُ فَلَكَ العُلَا ومَوَاضِعُ الغُرَرِ

ويرى الشاعر نفسه أن يحيى في صراعه مع العباسيين كان كريماً ، وقد مات كذلك ، لأنه كان يدافع عن حق تطلبه نفسه ، وكان مصمماً على الوصول إلى هذا الحق ،

---

[1] مروج الذهب : ج٤/ص١٤٨-١٤٩ .

[2] المصدر السابق : ج٤/ص١٤٩-١٥٠ ، الكامل : ج٥/ص٣١٥-٣١٦ .

[3] مروج الذهب : ج٤/ص١٥٢ .

إذ لم يكن يحسب حساباً للموت ، ولا يخاف منه . إنه بحق رجل يستحق القيادة ، كما يستحق من أنصاره التبجيل والتعظيم . يقول : [1]

فَإنْ يَكُ يَحْيَى أَدْرَكَ الحَتْفُ يومَهُ ... فما مَاتَ حَتّى مَاتَ وَهْوَ كَرِيمُ

وَمَا مَاتَ حَتّى قَالَ طِلابُ نَفْسِهِ ... سَقَى اللهُ يَحْيى إنَّهُ لَصَمِيمُ

فَتَىً أَنَسَتْ بِالرَّوْعِ والبَأْسِ نَفْسُهُ ... ولَيْسَ كَمَنْ لاقَاهُ وهْوَ سَنُومُ [2]

أما الفارعة بنت طريف ، وهي " شاعرة فارسة خاضت غمار الحرب ممتطية صهوة جوادها لابسة درعها ممسكة بجوشنها شاهرة سيفها غير هيابة ، ولارعديدة ، إنها أخت الفارس الخارجي الوليد بن طريف الشيباني الذي لقب بالشاري " [3] هذه الشاعرة تخلع على أخيها أنبل الصفات ، إنها تراه بطلاً حمل على عاتقه مواجهه السلطة العباسية بلا خوف أو وجل ، ودافع عن رأيه بشجاعة وإقدام كبيرين ، فكان مثالاً للقائد الناجح الذي يتمنى أتباعه فداءه بأنفسهم ، لما كان يتصف به من الصفات الطيبة . تقول : [4]

بِتَلِّ نُهَاكَى رَسْمُ قَبْرٍ كَأَنَّهُ ... عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الجِبَالِ مُنِيفِ

تَضَمَّنَ مَجْداً عُدْمُلِيّاً وسُؤْدُداً ... وهِمَّةَ مِقْدَامٍ ورَأْيَ حَصِيفِ

بهذا كان شعراء الثورات يبثون دعايتهم السياسية لقوادها ، فيصفونهم بأنبل الصفات ، ليكونوا أجلاّء في عيون الناس ، فيتعاطف الأخيرون معهم ويناصرونهم في معارضتهم للسلطة العباسية.

ج- السياسة الصدامية للسلطة العباسية :

ويظهر شعر الثورات أن سياسة العباسيين كانت سياسة صدامية ، في أغلب الأحيان ، تقوم على المواجهة المباشرة والقتال ، فالسيف والمواجهة سمتان لطبيعة السياسة التي انتهجها العباسيون تجاه معارضيهم ، ونحن نتبيّن هذه السياسة من قصائد شعراء

---

[1] مقاتل الطالبيين : ص٦٦٣ .

[2] سنوم : السنم : البعير العظيم السنام (تاج العروس : ج١٦/ص٣٦٩) .

[3] رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ، د. مصطفى الشكعة . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٣م ، ص٣٦٨ .

[4] وفيات الأعيان : ج٥/ص ٨٥-٨٦ ، الكامل : ج٥/ص٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج١٢/ص٨٥-٨٦ .

الثورات ، وإن كانت الإشارات المباشرة التي قدمها هذا الشعر لا تظهر أسباب الخلاف العقائدي بين الأطراف المتنازعة ، وإنما يقدمها لنا وقائع حدثت كان النصر في معظمها حليف العباسيين ، لكن إذا وضعنا النص في سياقه التاريخي ، وبحثنا في دلالاته غير المباشرة ، وفي بواعث الانفعال ضمن النّص فإن الأسباب الجوهرية للخلاف تظهر لنا جلية .

فعندما هاجم يعقوب الصفّار العراق هبت جيوش الخلافة العباسية مسرعة ، وبكامل تجهيزاتها القتالية ، لمواجهته والتصدي له ، مما يعبر عن استعداد السلطة لمواجهة أي مناهض والتصادم معه في ساحات القتال . وهذا ما أشار إليه الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي ، حيث يقول : [١]

وَلَقَدْ أَتَىٰ الصَّفَّارُ فِي عُدَدٍ لَهَا ... حُسُنٌ فَوَافَتْهُنَّ نَكْبَةُ نَاكِبِ

دَلَفَتْ إِلَيهِ عَسَاكِرٌ مَيمونَةٌ ... يَلقُونَ زَحْفَاً بِاللِّوَاءِ الغَالِبِ

فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ تُرَىٰ أَبْطَالُهُ ... مِنْ دَارِعٍ أَو رَامِحٍ أَو نَاشِبِ

وتعتمد السلطة العباسية على القاعدة العسكرية التي تقول :" خير وسيلة للدفاع هي الهجوم " ، وقد ترجمت هذه القاعدة في تعليماتها التي تصدرها إلى قواد جيوشها ، إذ كانت توجههم لقتال الثورات المعارضة والهجوم عليها ، ومن ذلك أنها وجهت القائد الكبير يزيد ابن مزيد الشيباني للقضاء على ثورة " يوسف البرم " [٢] ، ثم وجهته أيضاً لمواجهة ثورة الوليد بن طريف الشاري والقضاء عليها ، كما قام يزيد بالقضاء على غير هاتين الثورتين من الحركات التي مرقت على السلطة العباسية ، وهذا ما يشير إليه الشاعر مسلم بن الوليد ، فيقول : [٣]

إِذَا طَغَتْ فِئَةٌ عَنْ غِبِّ طَاعَتِهَا ... عَبّا لَهَا الموتَ بَيْنَ البِيْضِ والأَسَلِ

تَرَاهُ فِي الأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ ... لا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُدْعَىٰ عَلَىٰ عَجَلِ

ويُوسُفَ البرمَ قَدْ صَبَّحْتَ عَسْكَرَهُ ... بِعَسْكَرٍ يَلفِظُ الأَقْدَارَ ذِي زَجَلِ

غَافَصْتَهُ يَوْمَ عَبْرِ النَّهْرِ مُهْلَتَهُ ... وَكَانَ مُحْتَجِزَاً فِي الحَرْبِ بِالمُهَلِ [٤]

ومَارِقِينَ غُزَاةٍ فِي بِيُوتِهِمُ ... لا يُنكَلُونَ ولا يُؤْتَوْنَ مِنْ نَكَلِ

خَلَّفْتَ أَجْسَادَهَمْ والطَّيْرُ عَاكِفَةٌ ... فِيْهَا وأَقْفَلْتَهُمْ هَامَاً مَعَ القَفَلِ

---

[١] الطبري : ج٩/ ص٥١٩-٥٢٠ .

[٢] يوسف البرم : أحد قواد ثورات الخوارج . انظر خبره في الكامل : ج٥/ص٥٤ .

[٣] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٢ - ١٧ - ١٨ .

[٤] غافصته :غافصه : فاجأه . وأخذه على غرّة منه . (شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص١٧) .

وكان الموفق العباسي ، عندما تسلم ولاية العهد لأخيه المعتمد ، قد انتهج سياسة صدامية مع المنشقين والمعارضين ، فضربهم بيد من حديد ، وقاتلهم ببسالة الأبطال ، فأطفأ نيران نفاقهم ، وأفناهم ، وشتت شملهم ، وهذا ما أشار إليه الشاعر يحيى بن خالد بن مروان ، عندما قال : [1]

أفنيْتَ جَمْعَ المَارِقِينَ فأَصْبَحُوا مُتَلَدِّدِيْنَ قَدْ أَيقنُوا بِزَوَالِ
أَمْطَرْتَهم عَزَمَاتِ رَأْيٍ حَازِمٍ مَلأَتْ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَهْوَالِ

والموفّق هو الذي تصدى لصاحب الزنج ، وقاتله ، وقضى عليه :

وتركْتَهُ والطَّيرُ يَحْجِلُ حَوْلَهُ مُتَقَطِّعَ الأَوْدَاجِ والأَوْصَالِ [2]

كما نجد أن الشاعر ابن الرومي قد امتدح هذه السياسة الصدامية التي انتهجها الموفق مع صاحب الزنج ، إذ استطاع من خلالها أن يخلص البلاد والعباد من شر مستطير ، وفتنة محرقة مدمرة ، وذلك بقضائه على هذه الثورة الجائرة ، التي خربت وسلبت ونهبت ، ولم تفرق في القتل بين رجل وامرأة وصبي وعجوز ، لقد نصره الله على هذه الثورة . يقول: [3]

وَمَا زِلْتَ قِدْماً تَشْفَعُ الكَيْدَ لِلعِدَا بِكَيْدٍ ، ومِنْ تِلقَاءِ رَبِّكَ تُنْجَدَ
سَكَنْتَ سُكُوناً كَانَ رَهْنَاً بِعَدْوَةٍ عَمَاسٍ ، كَذَاكَ اللَّيثُ للوثْبِ يَلْبَدُ

ويعظّم ابن المعتز سياسة الموفق الصدامية مع صاحب الزنج ، فيشير إلى أن الموفق قد استخدم سياسة التضييق على العدو في مواجهاته مع الزنج ، فتمكن من تحقيق النصر ، ولقن العدو درساً لن ينساه . يقول : [4]

ولَمَّا طَغَى فِعْلُ الدَّعِيِّ رَمَيْتَهُ بجَيْشٍ يَفِلُّ الخَطْبَ وَهْوَ جَلِيلُ
وَجَرَّدْتَ مِنْ أَغْمَادِهِ كُلَّ مُرهَفٍ إِذَا مَا انتَضَتْهُ الكَفُّ كَادَ يَسِيلُ
فعلمتَهُ كيفَ التَّصَافُحُ بِالقَنَا وكيفَ تُرَوَّى البِيْضُ وَهْيَ مُحُولُ [5]

---

[1] الطبري : ج٩/ص ٦٦٤ – ٦٦٥ ، الكامل : ج٦/ص٥٤ .

[2] الطبري : ج٩/ص٦٦٤-٦٦٥ ، الكامل : ج٦/ص٥٤ .

[3] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص ١٢١-١٢٢ .

[4] ديوان ابن المعتز : ج١/ص٣٦٩-٣٧٠

[5] محول : عطش . (ديوان ابن المعتز : ج١/ص٣٧٠) .

ويؤكد ابن المعتز مدحه لسياسة الموفق ، تلك التي قامت على مواجهة الأعداء بحد السيف ، ومنازلتهم في ساحات القتال ، فقد كان الموفق رجلاً حازماً ، عقدت عليه الآمال من الرعية في إعادة الأمن والاستقرار إليهم ، بعد أن جعلهم صاحب الزنج وأتباعه يشعرون بالخوف والقلق والاضطراب ، من جراء ما فعلوه في مدنهم ومزارعهم وبيوتهم ، فكان الموفق خير ناصر لهم . يقول ابن المعتز : [1]

يَا نَاصِرَ الإِسْلامِ عِشْ وَابْقَ عَلَى رَيْبِ الزَّمَنْ
شَقَّ الصُّفُوفَ بِسَيْفِهِ وشَفَى حَزَازَاتِ الإِحَنْ
دَامِي الجِرَاحِ كَأَنَّهَا وَرْدٌ تَفَتَّحَ فِي غُصُنْ

تلك هي دلالات شعر الثورات التي بيّنت حركية الواقع السياسي في ذلك العصر ، ضمن علاقة السلطة العباسية الحاكمة بالثورات المناهضة لها ، حيث ظهر لنا واقع السلطة العباسية السياسي ، تلك السلطة التي كانت تعتمد في تثبيت دعائم حكمها على الأتراك ، إذ سيطر هؤلاء على أمور الدولة ، وأصبحوا متنفذين إلى أبعد الحدود ، مما أضعف سلطة الخليفة إلى حد بعيد ، إلى أن جاء الموفق ، فأعاد للخلافة العباسية هيبتها ، وتبنى سياسة جديدة في تعامله مع المعارضين ، تلك التي أطلقنا عليها اسم " السياسة الصدامية أو الهجومية " فقد استطاع من خلال هذه السياسة القضاء على الثورات التي كانت في عهده .

٢- الدلالات الفكرية :

إن ما يتناوله الشاعر من وقائع يستطيع من خلالها أن يعبر عن رأيه في قضايا الوجود كافة ، وحديثه عن أي مضمون أو حدث لابد من أن يحوي دلالات وإشارات تنبئ عن مفهوماته ومعتقداته . [2]

وتزداد أهمية هذا الإنباء ، وثراء دلالاته ، عندما يكون للشاعر نصوص عديدة ، يتناول فيها أغراضاً متعددة ، عندئذ تتكون لدى القارئ حصيلة معينة من تداخل دلالات النصوص وتشابك إشاراتها ، فيتضح رأي الشاعر واتجاهه من خلال " علاقة نصوص شعره

---

[1] ديوان ابن المعتز : ج١/ص٣٨٨ ، ذيل زهر الآداب : ص ١٥٧ .
[2] شعر أبي فراس الحمداني ، د. عبد اللطيف عمران ، ص ١٠٤ .

بعضها بالبعض الآخر من جهة ، وعلاقتها بالعالم ، والمؤلف من جهة "[1] . ومثال هـذا نجده في نصوص شعر الثورات .

إننا نريد أن نبيّن هنا صور الواقع الفكري كما ظهرت في شعر الثورات ، هذا الشعر الذي يعطينا معلومات مباشرة وغير مباشرة عن أنماط النشاط الفكري في المجتمع العباسي في تلك المرحلة .

أ- تصوير الواقع الفكري الداخلي :

إن الرؤية الشعرية عندما تكون مشبعة بالروح الرومنتية ، فإنها تصور مشكلة الخـير والشر والشكوى والعذاب ، والأمل والعناية الإلهية والذات والآخرين ، وتترافق مع الوسائل المتعددة لتجسيم الأفكار اعتماداً على مفارقات بينة بين اللذة والهموم والسرور والفجيعـة والرجاء والخيبة ، وهذا كله يدل على الواقع الفكري الداخلي للشاعر ، الذي لـه علاقـة وثيقة بواقع المجتمع الفكري ، فيتم استلهام النشاط الفكري الخارجي ليظهر بشكل تعبير عن الذات ، أو عن موضوعات أخرى ، يشير إلى موقف فلسفي خاص يجسد تجربة شخصـية تعد أنموذجاً لحياة اجتماعية وفكرية تخص شريحةً

معينةً من الناس ، ومن أساليب الأداء الشعري والتعبير الفني حيث يقترن الشعور الجمالي بموقف العجز أمام جبروت فعالية المجتمع وقوى الطبيعـة والعنصر الروحي .

مثل هذا نجده عند إبراهيم بن عبد الله ، حيث يقول : [2]

إِنِّي عَرَتْنِي الهُمُـومُ فاحْتَضَرَ الهَـمُّ ... وِسَـادِي فالقَـلْبُ مُنْشَعِـبُ

وإذا قرأنا أبيات صاحب الزنج التي يتحدث فيها عن نفسه ، نجـد فيهـا دلالات متنوعة وإشارات غنية إلى واقعة الفكري الداخلي ، الذي تميز بالجدية والحـزم في معالجـة الأمور ، إنه مشغول دائماً بالمعارك والقتال ، بغية الوصول إلى هدفه الذي يسـعى إليـه ، يقول: [3]

---

[1] هذا ما يسمى في علم البلاغة المقارنة بالتناص ، راجع مقال " التناص " د. صبري حافظ ، مجلة " ألف " للبلاغة المقارنة -- القاهرة عدد ٤ لعام ١٩٨٤م .

[2] الطبري : ج٨/ص٥٤٥ ، مقاتل الطالبيين : ص ٢٢٨ .

[3] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ .

صَلَّى نُورُ عَينِي بِنُورِ الأَقَاحِ وَرَاحَ الأَكُفِّ بِمَاءٍ وَرَاحْ
فَمَا طُولُ عِشْقِي مِزَاحَ المِلاحِ بِمُشْتَغِلٍ عَنْ صِيَاحِ الصَّبَاحْ

كذلك فإن صاحب الزنج ينأى بنفسه عن مجالس اللهو والشراب ، ولا يرغب في جلسات المرح والسرور ، لأنه يسعى إلى تحقيق هدف يحتاج إلى عزم وحكمة وصبر ، ولا يتناسب مع اللهو والمجون ، يقول : [1]

أَسْمِعَانِي الصِّيَاحَ بِالإِمْلِيسِ وَصِيَاحَ العَيْرَانَةِ العَيْطَمُوسِ [2]
واتركَانِي مِنْ قَرْعِ مُزْهِرِ رَيَّا واخْتِلافِ الكُؤُوسِ بالخَنْدَرِيسِ

كما أنه يحمل معتقدات وأفكاراً تجعله غير هياب ولا رعديد ، فهو ذو عزيمة ماضية وصلبة ، ويحمل فكراً اتصف بالحكمة والتأني في معالجة الأمور ، وهذا ما جعله يسعى إلى هدفه السامي ، إذ يرى أنه يستحق الوصول إليه . يقول : [3]

مَا تُغَطِّي عَسَاكِرُ اللَّيلِ مِنِّي مَا تُجَلِّي مَضَاحِكُ الصُّبْحِ عَنِّي
شَمَّرِيٌّ إِذَا اسْتَقَلَّ بِعَزْمٍ لَمْ يُعَرِّجْ بِلَيْتَنِي ولَوْ انِّي
إِنْ رَمَاهُ خَطْبٌ قَرَىُ الخَطْبَ رَأْيٌ فِيهِ رَوْعُ النَّجَا وحُكْمُ التَّأَنِّي

إننا نجد في هذه الأبيات دلالات وإشارات غنية على طابع فكر صاحب الزنج في قضايا كثيرة ، حيث تظهر سمات فكره الرافض لسلطة بني العباس ، وعمق فهمه لجوهر الصراع بينه وبين العباسيين .

ويعكس ابن الرومي واقعه الفكري الداخلي على شكل تساؤلات محيرة ، حيث يتساءل عن حجم المصيبة التي خلفها الزنج عند دخولهم إلى البصرة وتخريبها ، فيبين أن

---

[1] المصدر السابق : ص١٥٦ .

[2] الإمليس : الفلاة التي لا نبات فيها ، العيرانة : الناقة الصلبة ، العيطموس : الناقة التامة الخلق (جمع الجواهر في الملح والنوادر ، الحصري ، تحقيق : د. رحاب عكاوي ، بيروت : دار المناهل ، ١٩٩٣م ، ص ٢٢٨) .

[3] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ .

ذهوله جعله يعتقد أن ما حدث هو حلم ، وليس بحقيقة ، لأنه لم يكن يتخيل أن التدمير والتخريب والقتل سيكون بهذا الحجم الذي رآه . يقول : [1]

ذَادَ عَنْ مُقْلَتِي لذيذَ المنَامِ   شُغْلُهَا عَنْهُ بِالدُّمُوعِ السِّجَامِ
أَيُّ نومٍ مِنْ بعدِ مَا حَلَّ بِالبَصْـ   ـرَةِ مِنْ تِلكُمُ الهنَاتِ العِظَامِ ؟
أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا انْتَهَكَ الزَّنْجُ   جَهَاراً محَارِمَ الإسْلامِ ؟
إِنَّ هَذا مِنَ الأُمُورِ لأَمْرٌ   كَادَ أَنْ لا يقُومَ في الأَوْهَامِ
لرأَيْنَا مستَيقِظِينَ أُمُوراً   حَسْبُنَا أَنْ تكُونَ رُؤْيَا مَنَامِ

وعندما يمدح ابن الرومي الموفق العباسي ووزيره صاعد بن مخلد ، إثر انتصارهما على ثورة الزنج ، فإنه ينقلنا إلى الواقع الفكري الداخلي لصاعد ، إذ يبيّن أنّه رجل حازم وشديد على أعداء الدولة ، وهو راض عما يفعل ، فإن كان عمله يوصف بالجهل ، فإنما هو جهل من يعبد الله ويغضب لانتهاك محارمه ، وليس كجهل الأغبياء الذين يثورون ويحاربون لأتفه الأسباب . يقول : [2]

يُلاقِي العِدَا والأَوْلِيَاءَ ابْنُ مَخْلَدٍ   لِقَاءَ امْرِئٍ في اللهِ يَرضَى ويَعْبُدُ
بِجَهْلٍ كَجَهلِ السَّيفِ والسَّيفُ منتضَىً   وحِلْمٍ كحِلْمِ السَّيفِ والسَّيفُ مُغْمَدُ
وليسَ بجَهْلِ الأَغْبِيَاءِ ذَوِي العَمَى   ولكنَّهُ جَهْلٌ بِهِ اللهُ يُعْبَدُ

ويكشف ابن الرومي عن طبيعة صاعد الداخلية : الفكرية والروحية ، إذ يبيّن أنه رجل أعجمي أتقن مكر الأعاجم وحيلهم وحسن تدبيرهم ، كما أنه مولد عرف كيف يسوس الأمور في هذه البلاد ، وفي هذا دلالة على عمق فكر صاعد ، وقدرته على إحكام الأمور ، يقول : [3]

أُتِيحَ لَهُ مِنْ ذِي الغَنَاءِ يْنِ صَاعِدٍ   مصَاعٌ ومَكْرٌ أعجميٌّ مولَّدُ [4]
فعُجْمَتُهُ كِتْمَانُهُ أَيْنَ عَهْدُهُ   وتولِيدُهُ عِرْفَانُهُ أَيْنَ يَعْمَدُ

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٦/ص ١٢١ .
[2] ديوان ابن الرومي : ج٢/ ص١١٦ .
[3] المصدر السابق : ج٢/ ص١١٨ .
[4] مصاع : رجل منخوب الفؤاد . (تاج العروس : ج١١/ص٤٥٧) .

ب- ذكر الوقائع التاريخية البارزة :

تداعت أفكار شعراء الثورات باتجاه وقائع تاريخية متعددة ، ذات دلالات كبيرة على وقائع سياسية وفكرية ودينية ، فأكثروا من الإشارات إلى مثل هذه القضايا في قصائد عديدة ، فإذا شُرحت تفاصيل هذه الوقائع وما حوته من أعلام ، وبيّنت أسباب ما جرى لها ، فإن في ذلك إغناء لمعارفنا عن الأدب والسياسة والحياة الروحية والفكرية . ويفيد احتواء شعر الثورات على ذكر كثير من الوقائع وأخبار التراجم ، في تقديم صورة عن مدى نشاط علم السيرة والتراجم وعن ازدهار المجالس الفكرية التي كانت تعنى بالتراث وبحياة العرب الأقدمين السياسية والفكرية ، وعن نوعية الثقافة في ذلك الزمن .

فهذا الشاعر يزيد بن محمد المهلبي يحيلنا إلى وقائع تاريخية ذات دلالات فكرية ودينية ، إذ يبين أن ما حصل مع نوح وابنه في التاريخ القديم ، يعطينا الأحقية في ذم صاحب الزنج رغم ادعائه النسب الذي يربطه بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام . فقد أنجى الله - سبحانه - نوحاً وأهله ، بينما أغرق ابنه ، لأنه كان كافراً ، ولم يستمع إلى نصح أبيه . يقول : [1]

أَيُّهَا الخَائِنُ الَّذِي دَمَّرَ البَصْرَةَ ... أَبْشِرْ مِنْ بَعْدِهَا بِدَمَارِ

إِنْ تَقُلْ جَدِّيَ النَّبِيُّ فَمَا أَنْـ ... ـتَ مِنَ الطَّيِّبِينَ والأَخْيَارِ

قَدْ نَفَى اللهُ في الكِتَابِ ابنَ نُوحٍ ... حِينَ كَانَ ابنُهُ مِنَ الكُفَّارِ

ونجد الشاعر ابن الرومي يقف عند حادثة احتلال البصرة ، وذلك حين دخلها الزنج وخربوها وأحرقوا بيوتها ، فيبين الآثار السلبية لهذه المصيبة ، وما خلفته في الذاكرة الإنسانية من حقد وبغض لهؤلاء الزنج الهمجيين . يقول : [2]

مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إلاّ ... أَضْرَمَ القَلْبُ أَيَّمَا إِضْرَامِ

مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إلاّ ... أَوْجَعَتْنِي مَرَارَةُ الإرغَامِ

---

[1] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٤ .

[2] ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣٣ .

كما يأتي الشاعر نفسه على ذكر وقائع تاريخية بـــارزة ، تحمـــل دلالات فكريـــة ، فهو يطرح موقف الأنصار من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، حين نصروه وآزروه وآووه ، ويسقط ذلك على موقف صاعـــد بن مخلد وآلــه مـــن الســلطة العباسية ، فهم ناصروهم وساعدوهم على التخلص من المعارضين والمناهضين ، يقول:[1]

لَـئِنْ نَصَـرَ الأَنْصَـارُ بَـدْءاً نَبِـيَّهُمْ ۞ لَقَدْ عُدْتُمُ بِالنَّصْـرِ ، والعَـوْدُ أَحْمَـدُ

وَأَنْتُمْ وَهُمْ فَرْعَـانِ صِـنْوَانِ تَلْتَقِـي ۞ مَنَاسِـبُكُمْ فِي مَنْصِـبٍ لا يُزَهَّـدُ

ولا يخفى ما في هذين البيتين من دلالات اجتماعية ، إذ لا يزال التفاخر بالأنســاب قائماً ومطروحاً ، وهذا ما يشير بدوره إلى طبيعة المجتمع العباسي في تلك الفترة .

ج – مفهوم الموت ، والموقف من الدهر :

عكس شعراء الثورات في أشعارهم رؤيتهم نحو الدهر ، فصوروه غـــداراً يشـــتت الجموع ويفرق القلوب ، وهو يخون الكرام ويخاتلهم ، كما يسلب الملك مـــن أصـــحابه ، فيحيلهم أذلاء بعد عزهم ، كما بيّنوا مفهوم الموت عنـــدهم ، إذ رأوه ربحـــاً في الـــدنيا ، وخلوداً في الآخرة ، لأنهم اعتبروا المقتولين من زعماء الثورات شهداء ، قضـــوا نحبـــهم في سبيل أهداف سامية ونبيلة .

فهذا الشاعر القاسم بن إبراهيم ، يعكس رؤيته حول الدهر ، فيرى أن الـــدنيا دار غرور وغدر وخداع ، فدخلت من الأنس والألفـــة ، وليس فيهـــا إلا الأمـــور الزائلـــة . يقول: [2]

مَنْ سَـرَّهُ أَنْ يَـرَىٰ الـدُّنْيَا مُعَطَّلَـةً ۞ بِعَيْنِ مَـنْ لَمْ يَخُنْـهُ الخِـدْعُ والمَلَـقُ

فَلْيَأْتِ دَارًا جَفَاهَـا الأُنْـسُ مُوْحِشَـةً ۞ مَأْهُولَةً حَشْـوُهَا الأَشْـلاءُ والخُـرَقُ

كما يبين ابن الرومي رؤيته نحو الدهر ، فيذكر للعباسيين أن دوام الحال من المحال ، لأن الدنيا دار غرور ، تجعل أهلها يعتقدون أنهم خالدون فيها ، وينسون أن الدهر خوان لا يبقي أحداً على حاله .

---

[1] المصدر السابق : ج٢/ص١١٩ .

[2] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٣– ٥٥٥ .

يقول : [1]

غُررْتُمْ إذا صدَّقتمْ أنَّ حالةً تدومُ لكُمْ ، والدَّهْرُ لونانِ أخْرجُ [2]

أما الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي ، فيبين مفهوم الموت عنده ، إذ يرى أن الموت ربح كبير ، وبخاصة عندما يكون في سبيل معتقد أو فكر معين . يقول : [3]

قَوْلُ مُسْتَبْسِلٍ يَرَى المَوتَ في اللهِ رَبَاحاً رِئْبَالَ غَابٍ عَقِيرِ [4]

كما يرى أن الموت سيطال الناس كلهم ، ولن ينجو منه أحد طال به الزمان أو قصر يقول : [5]

والمَوتُ مبسُوطَةٌ حبائلُهُ والنَّاسُ نَاجٍ منْهُ ومُحْتَبِلُ [6]

مَنْ تَعْتَلِقْهُ تَفُتْ بِهِ أبَداً ومَنْ نجَا يومَهُ فَلا يَئِلُ [7]

وكذلك فإن الشاعرة الفارعة بنت طريف ترى أن الموت لا يقع إلا على الكرام من البشر ، الذين يتصفون بالنبل والشهامة والشرف ، وهي إنما ترى هذه الرؤية من شدة حزنها على أخيها الذي خطفه الموت من أمامها ، بعد أن كانت تراه بطلاً شهماً كريماً ، يسعى إلى هدف سام وشريف . تقول : [8]

عَليهِ سَلامُ اللهِ وَقْفاً فإنَّني أرَى المَوتَ وَقَّاعاً بِكُلِّ شَرِيفِ

أما الشاعر ابن الرومي فيعكس رؤيته نحو موت يحيى بن عمر الطالبي ، إذ يرى أن موته شهادة في سبيل الله ، لأنه كان يريد نصرة الدين على الدنيا ، وهو بالتالي حي عند الله

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص٦٢ .

[2] أخرج : الأخرج : الأسود في بياض والسواد غالب . (تاج العروس : ج٣/ص٣٤٥)

[3] مقاتل الطالبيين : ص ٣٨٦ .

[4] رئبال : الرئبال الأسد . والرئبال : من تلده أمه وحده (تاج العروس : ج١٤/ص٢٥٩) عقير : عقيم لا يولد له (تاج العروس : ج٧/ص٢٤٧) .

[5] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٨-٥٥٩ .

[6] محتبل : الذي أصابه الموت .

[7] لا يئل : أي لا يخلص . (مقاتل الطالبيين : ص٥٥٩) .

[8] وفيات الأعيان : ج٥/ص٨٦ ، الكامل : ج٥/ص٩٩ ، الأغاني : ج١٢/ص٨٦ ..

في جنات النعيم ، التي سيبقى فيها خالداً ، ولذلك يطلب من أنصار يحيى ألا يبكوا عليه ، لأنه انتقل من دار الفناء إلى دار الخلود ، وفاز بالجنة التي وعد الله بها عباده الصالحين . يقول: [1]

وَكَيْفَ نُبكّي فَائزاً عِنْدَ رَبِّهِ   لَهُ في جِنَانِ الخُلْدِ عَيْشٌ مُخَرْفَجُ [2]
فَإِنْ لا يَكُنْ حَيّاً لَدَينَا فإِنَّهُ   لَدَىٰ اللهِ حَيٌّ في الجِنَانِ مُزَوَّجُ

د – قضية التدين :

تشكل قضية التدين ، التي ستطالعنا في نصوص شعر الثورات ، مسألة أساسية في تكوين الشعراء الروحي والفكري ، وهذه القضية ألقت بظلالها على شعر الثورات فأدت إلى ظهور صور عديدة عند الشعراء ، تعكس أشكال الواقع الفكري في ذلك العصر .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل أدخلت قضية التدين شعراء الثورات في إطار الزهد ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تقودنا إلى ما ذكرته الدكتورة سميرة سلامي عن الشعراء الزهاد ، إذ تقول : " وقد أسهب الشعراء الزهاد ، في الحض على الصبر والقناعة والرضا ، والتوكل على الله ، وغيرها من قيم عالمهم الزاهد ، الذي وجدوا فيه راحة لهم ولنفوسهم التي أضناها الاغتراب " [3] فإذا كانت هذه هي قيم الشعراء الزهاد ، فإننا نجد صداها في شعر الثورات ، لكنّ ذلك لا يعني أن التدين عند شعراء الثورات قد أدخلهم في إطار الشعراء الزاهدين .

فهذا الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي ، يرى أن الله – سبحانه – قد أعطى العباسيين الملك ، وأمدهم بالسلطان ، لكنه – عز وجل – يمهلهم ويرى ما يصنعون بهذه النعم التي أسبغها عليهم . يقول : [4]

واللهُ أملَىٰ لهُم وأمْهَلَهُمْ   واللهُ في أمْرِهِ لَهُ مَهَلُ

---

[1] ديوان ابن الرومي ، ج ٢ / ص ٢٣ – ٢٤ .

[2] المخرفج: الواسع . (الديوان : ج٢/ص ٢٣) .

[3] الاغتراب في الشعر العباسي ، د. سميرة سلامي ، دمشق : دار الينابيع ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص ١٠٠ .

[4] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٧ .

أما الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي ، فتظهر عنده النظرة الدينية ، عندما يصور ما قام به يعقوب الصفار من هجوم على العراق ، بأنه إغواء له من الشيطان ، الذي زين له أعماله القبيحة ، وغرره بوعوده الكاذبة ، بيد أن الشاعر يبرز أيضاً أن الله لم يتركه ، إذ قيض له رجلاً وأمدّه بتوفيقه ونصره ، هذا الرجل هو الموفق العباسي الذي تمكن من دحر الصفار وجنوده ، حتى شتت جمعهم وفرقهم . يقول : [1]

أَغْوَاهُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ بِكَيْدِهِ ... واغْتَرَّهُ منهُ بوَعْدٍ كَاذِبِ

ووَلِيُّ عَهْدِ المسْلِمينَ مُوَفَّقٌ ... بِاللهِ أَمْضَى مِنْ شِهَابٍ ثَاقِبِ

فَلَّ الجُمُوعَ بِحَزْمِ رَأيٍ ثَاقِبٍ ... مِنْه وأَفْرَدَ صَاحِباً عَنْ صَاحِبِ

ويعكس شاعر الزط رؤيته الدينية في صراع جماعته مع السلطة العباسية إذ يلومها على تخليها عن شكر الله عز وجل ، فهو يرى أن العباسيين لم يشكروا الله – سبحانه – على نعمه التي أعطاهم إياها ، و لم يتعهدوها بالحفظ والرعاية . يقول [2]

لم تَشْكُرُوا اللهَ نُعْمَاهُ التي سلَفَتْ ... و لم تَحُوطُوا أياديهِ بتعزِيزِ

ويتساءل الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي تساؤلاً منطقياً فكرياً حول ادعاء صاحب الزنج معرفته بعلوم الفلك والنجوم ، فيبين أنه كاذب في هذا كما كان كاذباً في ادعاءاته كلها ، وأنه يستحق النهاية التي وصل إليها ، ثم يعكس الشاعر رؤيته الدينية عندما يتمثل قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ* فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ** ﴾ [3] يقول الشاعر : [4]

أَيـنَ نجُومُ الكَاذِبِ المَارِقِ ... مَا كَانَ بِالطِّبِّ ولا الحَاذِقِ

صَبَّحَهُ بالنَّحْسِ سَعْدٌ بَدَا ... لسَيِّدٍ في قَولِهِ صَادِقِ

فَخَرَّ في مَأزقِهِ مُسْلِماً ... إلى أُسُودِ الغَابِ في المَازِقِ

وذاقَ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى شَرْبَةً ... كَرِيْهَةِ الطَّعْمِ عَلى الذَّائِقِ

---

[1] الطبري : ج٩/ص٥١٩ .

[2] المصدر السابق : ج٩ / ص ١٠ .

[3] سورة الواقعة : الآيات من ٥١ حتى ٥٥ .

[4] الطبري : ج٩ / ص ٦٦٤ .

أما الشاعر يحيى بن خالد بن مروان ، فيرى أن مصير صاحب الزنج هو النار ؛ لأنه ارتكب آثاماً كثيرة بطغيانه وجبروته ، كما يرى الشاعر أن مترله هو الجحيم وأنه سيكون مقيداً بسلاسل كثيرة تجعله يشعر بثقلها حتى ينوء بحملها . ولا يخفى اقتباس هذه المعاني من القرآن الكريم . يقول : [1]

يَهْـوِي إِلى حَـرِّ الجَحِـيْمِ وقَعْرِهَـا　　　بِسَلاسِـلٍ قَـدْ أَوْهَنَتْـهُ ثِقَـالِ

ويأتي قول يحيى :

وَجَاهَـدَهُمْ في اللهِ حَـقَّ جِهَـادِهِ　　　بِنَفْسٍ لها طُولُ السَّـلامَةِ والنَّصْـرِ [2]

ليحمل بين كلماته دلالات دينية فكرية ، فقد بين الشاعر أنه يؤمن ويقتنع بأن حرب الموفق مع الزنج هي من باب الجهاد في سبيل الله الذي حث عليه الإسلام .

ويظهر صاحب الزنج إيمانه بالقضاء والقدر ، فيرى أن ما كتب على الإنسان سيصيبه لا محالة ، وأن على الإنسان أن يمضي في طلب المعالي وأن يسعى لتحقيق هدفه دون خوف أو وجل . يقول : [3]

وإِذَا تُنَـازِعُنِي أَقُـولُ لَهَـا قَـرِي　　　مَـوْتٌ يريحُـكِ أَوْ صُـعُودُ المِنْـبَرِ
ما قَدْ قُضِي سَـيَكُونُ فاصْـطَبِري لَـهُ　　　ولَكِ الأَمَـانُ مِـنَ الـذي لم يُقْـدَرِ

إنه يصبر نفسه ويحثها على مواصلة السعي لتحقيق الغايات النبيلة ، ويؤكد لها أهمية التوكل على الله عز وجل .

ويقف ابن الرومي وقفة تأمل وتفكر أمام خراب البصرة على أيدي الزنج ، فيتصور وقفته أمام رب العالمين يوم الحساب ، عندها سيسأل عن موقفه من هذه المصيبة الفادحة التي

---

[1] المصدر السابق : ج٩ /ص٦٦٥ ، الكامل : ج٦/ ص٥٤ .

[2] المصدران السابقان .

[3] شرح نهج البلاغة . ابن أبي الحديد : م ٤- ج٨ -ص ١٢٨ .

حلت بالمسلمين . إنه ينقل الفكر بنا إلى مشاهد يوم القيامة ، وكيف سيكون الحساب عند الله عز وجل . يقول : [١]

أَيُّ خَطْبٍ وأَيُّ رُزْءٍ جَليلٍ نَالَنَا في أُولئِكَ الأَعْمَامِ ؟

كَمْ خَذَلْنَا مِنْ نَاسِكٍ ذِي اجتِهَادٍ وفَقِيهٍ في دِينِهِ عَلَّامِ ؟

وانَدَامِي عَلَى التَّخلُّفِ عَنْهُمْ وقَلِيلٌ عَنْهُمْ غنَاءُ نَدَامِي

واحيَائِي مِنْهُمْ إِذَا مَا التقَيْنَا وَهُمُ عِنْدَ حَاكِمِ الحُكَّامِ

أَيُّ عُذْرٍ لنَا وأَيُّ جَوَابٍ حِينَ نُدْعَىٰ عَلَى رُؤُوسِ الأَنَامِ

إن الشاعر مشغول الفكر بموقفه يوم الحساب ، وهو نادم على تقصيره في نصرة إخوانه المسلمين الذين هجم عليهم الزنج فقتلوهم ودمروا بيوتهم .

كما يدعو ابن الرومي الناس إلى التفكير في هذا الأمر ، فهم يعدّون شركاء في جريمة الزنج ، إن هم تخاذلوا عنهم وتركوهم يعيثون فساداً . يقول : [٢]

إِنْ قَعَدْتُمْ عَنِ اللَّعِيْنِ فَأَنْتُمْ شُرَكَاءُ اللَّعِيْنِ في الآثَامِ

وتبرز الروح الدينية أيضاً عند ابن الرومي عندما يحيل إلى آيات قرآنية ، يريد أن يسقط معانيها على حرب الموفق مع الزنج ، وهذه الروح الدينية تحمل دلالات فكرية كبيرة ، إذ أن مسألة الربط واستدعاء المواقف تجعل المتلقي يكوّن ثروة فكرية هائلة . إنه يشير إلى قوله تعالى في سورة النمل حكاية عن سليمان عليه السلام وهو يخاطب ملكة سبأ : قال : ﴿ **إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ** ﴾ [٣] ، كما يحيل إلى قوله تعالى : ﴿ **وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ** ﴾ [٤]. وذلك في قوله : [٥]

---

(١) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣٤-١٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ج٦/ص١٣٦ .

(٣) سورة النمل : الآية ٤٤ .

(٤) سورة هود : الآية ٩٨ .

(٥) ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ١٢٢ .

مَنَـــاكَ لَــــهُ مِقْــــدَارُهُ فَكَأَنَّمَــــا ... تَقَــوَّضَ ثَهْــلاَنٌ عليــهِ وصَــنْدَدُ[1]

ولم تَــأْلُ إِنْــذَاراً لَــهُ غَــيْرُ أَنَّــهُ ... رَأَىٰ أَنَّ مَــتْنَ البَحْــرِ صَــرْحٌ مُمَــرَّدُ

حَــدَوْتَ بِــهِ نَحْــوَ النَّجَــاةِ كَأَنَّمَــا ... محجَّتُــهَا البيضَــاءُ سَــحْلٌ مُمَــدَّدُ

فَلَمَّــا أَبَىٰ إِلاَّ البَــوَارَ شَــلَلْتَهُ ... إلى النَّــارِ ، بِــئْسَ المــوردُ المتَــوَرَّدُ

هـ – الحوار السياسي والمناظرة الفكرية :

حفلت بعض قصائد شعر الثورات بالمعلومات التي تعطي صورة من صور الجدال السياسي والمناظرة الفكرية بين السلطة العباسية والثورات المعارضة لها ، وذلك من خلال الاعتماد على شواهد وأحداث منسوبة إلى أزمنة وأمكنة وأشخاص معينين .

فهذا أحد الشعراء يبين للعباسيين أن قتل قائد ثورة الطالبيين ، يحيى بن عمر ، يذكر الناس بحادثة قتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقتل ابنه الحسين رضوان الله عليه ، مما يعظم المصيبة التي مني بها المسلمون عند افتقادهم لهذا القائد الكبير ، يقول : [2]

قَتْلُــــهُ مُذْكِــــرٌ لِقَتْــــلِ عَليٍّ ... وحُسينٍ ، ويَــوْمَ أَوْدَىٰ الرَّسُــولُ

أما الشاعر أحمد بن طاهر ، فيحاور العباسيين ، ويبين لهم سوء سياستهم وتعاملهم مع الطالبيين ، ويذكرهم بأن الله لن يكون معهم ما داموا يعاملون الطالبيين بهذه القسوة وهذا الظلم ، فالعباسيون – من وجهة نظره – قد ضيعوا حق رسول الله صلى الله عليه وسلم في احترام آل بيته الطاهرين والإحسان إليهم . يقول : [3]

أَخِلْتُــمْ بِأَنَّ اللهَ يَرْعَىٰ حُقوقَكُــمْ ... وَحَقُّ رسُــولِ اللهِ فيكُمْ مُضَيَّــعُ ؟

ويؤكد الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي هذه الفكرة ، وذلك في محاورته مع العباسيين ، حيث يبيّن لهم فضائل الطالبيين ، ويذكرهم بتاريخهم المشرف في نصرة الإسلام والوقوف إلى جانب النبي ﷺ ، ويشير إلى منزلة الطالبيين الدينية ، إذ أوصى الله ورسوله بهم خيراً . يقول : [4]

---

[1] ثهلان : جبل ضخم بالعالية ، صندد : جبل بتهامة ، (ديوان ابن الرومي : ج٢/ص١٢٢) .

[2] مروج الذهب : ج٤/ص١٤٩-١٥٠ ، الكامل : ج٥/ص٣١٥-٣١٦ .

[3] مروج الذهب : ج٤/ص١٤٨-١٤٩ .

[4] المصدر السابق : ج٤/ص١٥٢ .

لَهُمْ مَعَكُمْ إِمّا جَدَعْتُمْ أُنُوفَكُمْ مَقَامَاتُ مَا بَيْنَ الصَّفَا والمعَرَّفِ
تُرَاثٌ لهُمْ مِنْ آدمٍ ومحمّدٍ إلى الثَّقلينِ مِنْ وَصَايَا ومُصْحَفِ

وعندما يخاطب ابن الرومي العباسيين ، يبيّن لهم أن أذاهم لآل رسول الله قد امتد وعظم ، ولذلك عليهم أن يخافوا الله فيهم ، وأن يتأملوا منه العفو والمغفرة . يقول:[1]

أَلا أَيُّهَذَا النّاسُ طَالَ ضَرِيرُكُمْ بِآلِ رَسُولِ اللهِ ، فاخْشَوا أَوِ ارتَجُوا

أما صاحب الزنج فيناقش العباسيين مناقشة هادئة تعكس صورة عن فكره السياسي الذي جعله يستغل كل فرصة لتحقيق ما يصبو إليه ، إنه يطلب من العباسيين تهدئة الأوضاع معه ، معتمداً على صلة القرابة التي تربطه معهم ، إذ مر معنا أنه ادعى النسب العلوي ، وبناء على ذلك فهو ابن عم لهم ، ويحق له أن يدعوهم إلى لم الشمل والتقارب معه . يقول: [2]

بَنِي عَمِّنَا لا تُوقِدُوا نَارَ فِتْنَةٍ بَطِيءٍ عَلَى مَرِّ اللَّيَالي خُمُودُها
بَنِي عَمِّنَا إِنَّا وَأَنْتُم أَنَامِلٌ تَضَمَّنَها مِنْ راحَتَيْهَا عُقُودُهَا

ومما يدخل ضمن نطاق المناظرة الفكرية ، مخاطبة ابن الرومي للموفق العباسي عندما أراد أن يقنعه بطريقة منطقية ، تنمّ عن عمق فكره ، بصحة اختياره لصاعد بن مخلد وتعيينه وزيراً له . فقد أتى ، في معرض الاحتجاج ، بتشبيه رائع لا يهتدي إليه إلا الفحول من الشعراء ، كل ذلك ليثبت للموفق أن البعيد المخلص والنافع خير من القريب الخائن والمسيء . يقول : [3]

وما بِئْسَ عَوْنُ المرءِ كَانَ ابنُ مَخْلَدٍ نَصيحُكَ ، والأَعْدَاءُ حَولَكَ حُشَّدُ
فَلا يَبعدُ الرَّأيُ الذي اخترتَهُ بِهِ وقرَّبْتَهُ ، بَلْ مَنْ أبى ذاكَ يَبعُدُ

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص٢٣ .
[2] ذيل زهر الآداب : ص١٥٦ .
[3] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص١٢٢-١٢٣ .

أَمَا لَـئِنِ اسـتَبْطَنتَهُ دُونَ مَـنْ دَنَـتْ   إليكَ بهِ القُـربَى وهَنْبَـتْ حُسَّـدُ [1]
لَكَمْ دَاخِلٍ بَـينَ الخَصِيـمينِ مُصْـلِحٍ   كَمَا انغَلَّ بينَ العَـيْنِ والجِفْـنِ مِـرْوَدُ
تَرَى العَيْنَ والململُـولَ يَـبْطنُ جَفْنَـهاً   إذا مَا غَدَا إِنْسَـانُهَا وَهْـو أَرْمَـدُ [2]
تَشَكَّى فلا يُجْـدِي عليهَـا لَصِـيقُها   فَتُدْنِي الـذي يُجْـدِي وقُرْبَـاهُ أَبْعَـدُ

إن شاعراً مثل ابن الرومي يجعلنا نحلق في سمـاء تملؤها الدلالات المباشـرة وغـير المباشرة ، من خلال الثراء الدلالي لنصوصه التي تجسد ثقافة عميقة ، وموهبة فذة استلهمت الفكر والإبداع اللذين سبقاها ، ثم أضفت طابعها الخاص ، فتجلى لنا إبداع جديـد تميـز بالأصالة والتجديد والابتكار ، وما صورة العين والمرود التي اهتدى إليها في الأبيات السابقة إلا خير دليل على ما أقول ، فقدرته الفكرية وموهبته الشعرية التحمتا في إبداع هذه الصورة الجميلة

وإذا أردنا أن نسقط ما قلناه عن ابن الرومي على شعراء الثورات الآخرين ، فإننـا نكون جائرين ، لأن معظمهم من شعراء الدرجتين الثانية والثالثة ، فلا موهبتهم ترقـى إلى موهبته ، ولا قدراتهم الفكرية تصل إلى الحد الذي وصل إليه . على حين أننا رأينا فيما سبق أن شعر هؤلاء الشعراء قد حمل إلينا دلالات فكرية بشكل مباشر وغـير مباشـر ، وقـد استطاعوا أن ينقلوا لنا بشعرهم معلومات لا بأس بها عن الحياة الفكرية في المجتمع العباسي في تلك الفترة التي قامت فيها الثورات التي ندرسها .

٣- الدلالات الاقتصادية :

لكل مجتمع طبقات يتكون منها ، وهذه الطبقات تخضع ، في نشوئها وتطورهـا ثم تحولها أو ربما زوالها ، للعوامل الاقتصادية ووسائلها الإنتاجية التي هي ، في الحقيقة ، قطـب الرحى في مسيرة التاريخ ، ولا ريب أن العوامل الاقتصادية تهيئ ظروفاً اجتماعية وفكرية ، وهذه تؤثر بدورها في تهيئة الفرص لظروف اقتصادية جديدة ، تدفع عجلة التاريخ وتعمـل على تقدم البشر . [3]

---

[1] الهنبثة : الاختلاط في القول . (الديوان : ج٢/١٢٣) .

[2] الململول : المرود الذي يكتحل به ، إنسان العين : سوادها . (الديوان : ج٢/ص١٢٣) .

[3] ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد : ص٨٩ .

ومما لاشك فيه أن البذخ المالي في المجتمع العباسي " إنما كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة ومن اتصل بهم من الفنانين شعراء ومغنين ومن العلماء والمثقفين ، وكأنما كتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعاً بأسباب النعيم ، أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس والشقاء وأن يتحمل من أعباء الحياة ما يطاق وما لا يطاق . ومرد ذلك إلى طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرموا الشعب حقوقه وطوّقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد ، وقد مضوا هم وبطاناتهم يحتكرون لأنفسهم أمواله وموارده الضخمة ، بحيث كانت هناك طبقة تنعم بالحياة إلى غير حد ، وطبقات قتّر عليها في الرزق ، فهي تشقى إلى غير حد ، واضطراب أوساط الناس من التجار ، وغيرهم بين الشقاء والنعيم " .[1]

ذلك هو التركيب الطبقي للمجتمع العباسي في الفترة التي نحن بصدد دراستها ، هذا التركيب يعطينا صورة عن الحياة الاقتصادية في تلك الفترة ، فالأموال في أيدي السلطة ، تنفقها في الوجوه التي ترتئيها ، مما يجعل الطامعين ينتهزون كل فرصة لينالوا من السلطة شيئاً من هذه الأموال ، وكان أكثر الناس انتهازاً للفرص الشعراء المتكسبون .

وربما يكون العامل الاقتصادي أحد العوامل التي ساعدت على قيام كثير من الثورات ضد السلطة العباسية ،كثورتي الزط والزنج ، إلا أن الثورات الأخرى لا تخلو أسباب قيامها من السبب الاقتصادي ، وإن كنا لا نشك في أنها ثورات سياسية ذات صبغة دينية محضة . فهل سنرى إشارات إلى الواقع الاقتصادي في شعر هذه الثورات ؟

أ- الواقع الاقتصادي للسلطة العباسية :

سيطر العباسيون على ثروات الدولة ، واستأثروا بها دون غيرهم من أبناء الشعب ، مما أدى إلى خلل في التوازن الاقتصادي ، بين طبقات المجتمع ، وبلغ التفاوت بين الناس حد التناقض ، " فالثروة غير موزعة توزيعاً عادلاً ، ولا متقارباً ، والحدود بين الطبقات كانت واضحة كل الوضوح ، فجنة ونار ، ونعيم مفرط وبؤس مفرط ، وإمعان في الترف يقابله فقدان القوت " .[2]

---

[1] العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، ص٤٥ .

[2] ظهر الإسلام : أحمد أمين ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ومكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٥م ، ج١/ص٩٧ .

" وقد عرفت الطبقة المستغلة بشراستها في استغلال الطبقة المعدمة ، وابتزاز أموال الرعية ، واتبعت أساليب فيها الكثير من التعسف والظلم والقهر والتعذيب ، بغية الحصول على المال " . [1]

إن تدفق الأموال على الملوك والأمراء وأصحاب النفوذ ، أدى إلى تجمع الثروة في أيديهم ، مما أوجد تفاوتاً طبقياً تجلى في أسلوب المعيشة ، فعاشت الطبقة الأولى حياة مغرقة في الترف والبذخ والتبذير ، وتفنن أهلها في أساليب التكلف ، في مأكلهم ومشربهم ومسكنهم ، وبخاصة في بناء القصور وما يحيط بها من حدائق وبساتين .

لذلك فإننا نجد شاعراً كصاحب الزنج ينظر حوله فيتألم ، ويبصر كيف يحيا الخلفاء والأمراء في قصور بغداد حياة لهو وهتك وانحلال وترف وبذخ وتبذير ، فيمتلئ قلبه بالحقد على هذا الواقع الاقتصادي المزري للسلطة ، ويقسم أنه سيكون رسول الإصلاح ، وهادم سلطان الدولة التي وضعت مقدراتها في أيدي " الخصيان " من الخدم الذين تكتظ بهم قصور العباسيين . يقول : [2]

لهفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورٍ بِبَغْدَادَ ... وَمَا قَدْ حَوَتْهُ مِنْ كُلِّ خَاصِ

وَخُمُورٍ هُنَاكَ تُشْرَبُ جَهْرَاً ... وَرِجَالٍ عَلَى المَعَاصِي حِرَاصِ

لَسْتُ بِابْنِ الفَوَاطِمِ الزُّهْرِ إِنْ لَمْ ... أُقْحِمِ الخَيْلَ بَيْنَ تِلْكَ العِرَاصِ

إن أفكار الشاعر في هذا النص تتداعى باتجاه وقائع ذات دلالات كبيرة على وقائع اجتماعية وسياسية ودينية وفكرية واقتصادية . فهي سياسية لأنها تعكس صورة عن سياسة العباسيين التي انتهجوها في حياتهم الخاصة ، واجتماعية لأنها تصور لنا واقع حياة هذا المجتمع الحاكم ، ودينية لأنها تبين بعدهم عن تعاليم الدين ، وانغماسهم في المحرم من الشهوات ، وفكرية لأنها تشير إلى قلة وجود المجالس الفكرية في قصور **بعض** الخلفاء المتهتكين ، واقتصادية لأنها تبرز صورة عن حياة البذخ والترف والفساد التي تعيشها السلطة العباسية في قصورها الكبيرة والمؤنّقة .

---

[1] الاغتراب في الشعر العباسي ، د. سميرة سلامي : ص ١٠٧ .

[2] ذيل زهر الآداب : ص٥٧ ، معجم الشعراء ، المرزباني ، صححه وعلق عليه : أ . د . ف . كرنكو ، بيروت دار الجيل ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ص ١٣٠-١٣١ ، وثمة اختلاف بين المصدرين في رواية بعض الألفاظ .

ويشير ابن الرومي إلى سيطرة العباسيين على ثروات الدولة ، إذ يرى أن هذا من متاع الدنيا الزائل ، وزينتها المؤقتة ، فيقول : [1]

أَلاَ خَابَ مَنْ أَنْسَـاهُ مِنْكُمْ نَصِيْبَـهُ ... مَتَاعٌ مِـنَ الدُّنْيا قَلِيلٌ وزِبْـرِجُ [2]

لكنه يوجه انتقاداته المباشرة إلى بني العباس ، فيشير إلى تبذيرهم وإسرافهم في إنفاق أموال الدولة في مجالس اللهو والمجون ، وينبههم إلى أنهم في ذلك ضالون وطاغون ، إذ يسيؤون توزيع الثروة بل يبذرونها على شهواتهم وملذاتهم . يقول :[3]

تَمُـدُّونَ في طُغْيَـانِكُمْ وضَـلالِكُمْ ... ويُسْتَدْرَجُ المغْـرُورُ مِـنْكُمْ فَيـدْرَجُ

أَجِنُّوا بَـنِي العَبَّـاسِ مِـنْ شَـنَآنِكُمْ ... وأَوكُوا علىٰ مَا في العِيَـابِ وأَشْـرِجُوا

ثم يشير إلى قضية فساد الولاة الإداري والمالي ، حيث كانوا يتعسفون في أخذ الضرائب من أبناء الشعب الكادح ، ويقتطعون الإقطاعات والضياع التي كان إنتاجها يجبى إلى جيوبهم الخاصة .[4] يقول : [5]

وخَلُّوا وُلاةَ السُّـوءِ مِـنْكُمْ وغَـيَّهُمْ ... فَأَحْرِ بِهِمْ أَنْ يَغْرَقُـوا حَيْـثُ لَجَّجُـوا

أما شاعر الزط فيشير إلى واقع السلطة العباسية الاقتصادي ، فيبن ما يمتلئ به هذا الواقع من البذخ والتبذير ، فقد وصف قواد العباسيين الأتراك ، الذين كانوا عبيداً ، ثم أصبحوا في ظل العباسيين من علية القوم ، يلبسون الملابس الفاخرة والمؤنقة ويتزينون بأنواع الحرير والديباج والذهب . يقول : [6]

واللَّابِسِي كَيْمَخَارِ الصِّينِ قَدْ خَرَطَـتْ ... أَرْدَانَـهُ دُرْزٌ بِـبِـرْوَازِ الـدَّخَارِيزِ

والحامِلينَ الشُّـكَىٰ نِيْطَـتْ عَلائِقُهَـا ... إِلىٰ مَنَـاطِقَ خَـاصٍ غَـيرِ مَخْـرُوزِ

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣ .

[2] الزبرج : الزينة من وشي أو نحوه . (المصدر السابق) .

[3] المصدر السابق : ج٢ / ص٢٦ .

[4] انظر العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، ص ٤٥-٤٦ .

[5] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص٢٦ .

[6] الطبري : ج٩/ص١٠-١١ .

لكن بعض شعراء الثورات أشار إلى إمكانات السلطة العباسية الاقتصادية الكبيرة والهائلة ، وذلك من خلال تصويرهم للجيوش العباسية القوية والمدججة بالسلاح ، تلك التي أنفقت الدولة أموالاً طائلة على إعدادها وتجهيزها ، لتكون جيوشاً قوية تتمكن من دحر الأعداء والقضاء على المناوئين والمعارضين للسلطة .

فهذا الشاعر مسلم بن الوليد يشير إلى ضخامة الجيش العباسي الذي كان يقوده يزيد ابن مزيد الشيباني ، والذي كان مكلفاً بمحاربة ثورة الوليد بن طريف الشاري ، والقضاء عليها. هذا الجيش أعدته السلطة العباسية وجهزته بأقوى التجهيزات القتالية لدرجة جعلت الوليد بن طريف يتيقن بأن نهايته على يد هذا الجيش الجرار . يقول : [1]

والمارقَ ابنَ طَريفٍ قَدْ دَلَفْتَ لَهُ	بعَسْكَرٍ لِلْمَنَايَا مُسْبِلٍ هَطِلِ
لَمَّا رآكَ مُجِدّاً في مَنِيَّتِهِ	وَأَنَّ دَفْعَكَ لا يُسْتَطَاعُ بِالحِيَلِ
شَامَ النِّزَالَ فأبقَيْتَ اللِّقَاءَ لَهُ	مُقَدَّمَ الخَطْوِ فيهَا غَيرَ مُتَّكِلِ

أما الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي ، فإنه يشير إلى واقع السلطة العباسية الاقتصادي من خلال تصويره لقضية إعمار البلدان والمدن والمناطق التي خرّبها الزنج أثناء ثورتهم ، فقد قام الموفق العباسي بإعادة إعمار هذه المدن والبلدان مما جعل أهلها النازحين عنها يطمئنون إلى العودة إليها وممارسة حياتهم الطبيعية فيها يقول : [2]

وَرَدَّ عِمَارَاتٍ أُزِيْلَتْ وأُخْرِبَتْ	لِيَرجِعَ فَيْءٌ قَدْ تُخُرِّمَ وَافِيَا
ويَرجِعَ أَمْصَارٌ أُبِيحَتْ وأُحْرِقَتْ	مِرَاراً فَقَدْ أَمْسَتْ قِوَاءً عَوَافِيَا

كما يشير الشاعر يحيى بن خالد بن مروان إلى واقع السلطة الاقتصادي ، فيبين أن الموفق لم يبخل ببعض أموال الدولة على المحتاجين من أبناء شعبه ، إذ كان يساعدهم ويعينهم على نوائب الدهر ، فيحيي في نفوسهم الأمل بتحسن أوضاعهم الاقتصادية والسياسية يقول : [3]

---

(1) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٨-١٩ .

(2) الطبري : ج٩/ص٦٦٣-٦٦٤ ، الكامل : ج٦/ص٥٣-٥٤ .

(3) المصدران السابقان .

أَنْتَ المجيرُ مِنَ الزَّمَانِ إِذَا سَطَا ... وإليكَ يَقْصِدُ رَاغِبٌ بسُؤَالِ
أَطْفَأْتَ نِيرَانَ النِّفَاقِ وقَدْ عَلَتْ ... يَا وَاهِبَ الآمَالِ والآجَالِ

تلك هي الصور التي طرحها شعراء الثورات فبينوا فيها واقع السلطة العباسية الاقتصادي ، وكيف تراوح بين البذخ والتبذير والترف ، وبين الإعمار وبناء الجيوش والإنفاق على تحسين الوضع الاقتصادي للمجتمع .

ولكن ، ماذا عن واقع الثورات الاقتصادي ؟

ب- الواقع الاقتصادي للثورات :

كان السبب الاقتصادي أحد أسباب قيام معظم الثورات ، فقد كان أغلب قادتها يعانون من ضيق حالتهم الاقتصادية ، وينظرون إلى ما فيه العباسيون من الترف والنعيم فتمتلئ قلوبهم حقداً عليهم ، ويقومون بثوراتهم الرافضة لهذه الأوضاع .

فهذا صاحب الزنج يعبر عن نقمته على الأوضاع الاقتصادية السائدة ، وتبرمه مما كان عليه من الفقر والفاقة ، فيرى أن الرضا بهذه الأوضاع ذل ورضوخ ، لذلك فهو يسعى إلى تغيير هذا الواقع من خلال محاولاته في الوصول إلى الملك ، يقول : [1]

رَأَيْتُ المقَامَ علَى الاقتصادِ ... قُنُوعَاً بِهِ ذِلَّةً في العِبَادِ
إِذَا النَّارُ ضَاقَ بِهَا زَنْدُهَا ... فَفُسْحَتُها في فِرَاقِ الزِّنَادِ
إِذَا صَارِمٌ قَرَّ في غِمْدِهِ ... حَوَىٰ غيرُهُ السَّبْقَ يَومَ الجِلادِ

ويشير الشاعر يحيى بن خالد بن مروان إلى واقع ثورة الزنج الاقتصادي ، إثر حصار الموفق لهم ، فيصف أحوالهم الاقتصادية التي تردت نتيجة ذلك الحصار ، فقد ضاقت عليهم الأمور ، وازدادت أوضاعهم سوءاً ، الأمر الذي جعل معظمهم يستسلم للموفق . يقول : [2]

---

[1] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : م٤- ج٨ – ص١٢٨ .

[2] الطبري : ج٩/ص٦٦٤ ، الكامل ج٦/ص٥٤ .

كَـأَنَّهُمْ قَـومٌ رَغَـا البِكْـرُ فِـيْهِمُ ... وَكَانَ عَلـىٰ الأَيَّـامِ فِي هُلْكِهِم نَـذْرُ
وعَاثَتْ صُروفُ الدَّهرِ فيهِمْ فأَسْـرَعَتْ ... وشَرُّ ذَوي الأَصْعَادِ مَـا فَعَـلَ الـدَّهْرُ

وإلى هذا الحصار أيضاً يشير ابن الرومي ، فيذكر أن الموفـق شـدد في حصـار " المختارة " عاصمة الزنج ، " حتى غدت كأنها سجن كبير لصاحبها وأتباعه ، ونادى بـأن الأمان مبسوط للناس أحمرهم وأسودهم ، واستسلمت له من الزنج جموع كـثيرة ، إذ رأوا صاحبهم كالأسير وقد عزته الميرة والمؤن " [1] . وقد أدى هذا الحصار إلى إضعاف الـزنج اقتصادياً وعسكرياً ، الأمر الذي ساعد الموفق كثيراً في الانتصار عليهم . يقول : [2]

حَصَرْتَ عَميدَ الزَّنْجِ حَـتَّى تَخَاذَلَـتْ ... قُـوَاهُ ، وأَوْدَىٰ زَادُهُ المتَـزَوَّدُ
فَظَـلَّ ولَمْ تُقْتلْـهُ يَلْفِـظُ نَفْسَـهُ ... وظَـلَّ وَلم تَأْسِـرْهُ وَهْـوَ مُقَيَّـدُ
وكَانَتْ نَواحِيْـهِ كِثافَـاً فلَـمْ تَـزَلْ ... تَحيَّفُهَـا سَـحْتَاً كَأَنَّـكَ مِـبْرَدُ [3]
تُفَـرِّقُ عَنْـهُ بِالمكَائِـدِ جُنْـدَهُ ... وَتَزْدَادُهُمْ جُنْدَاً ، وجَيْشُكَ مُحْصَـدُ [4]

أما الشاعر ابن المعتز فيشير بشكل غير مباشر إلى واقع ثورة الزنج الاقتصـادي ، إذ يبين أن الزنج قد عملوا على بيع الحرائر من النساء ، اللواتي سبوهن ، في أسواق النخاسـة ليقبضوا أثمانهن ، مما يدل على أنهم كانوا بحاجة ماسة لهذا المال الذي يأتيهم من وراء هـذا العمل القبيح . ونحن لا نستغرب ذلك منهم ، لأنهم أقدموا على ما هو أفظع وأبشـع مـن ذلك ، خلال ثورتهم التي استمرت أكثر من أربعة عشر عاماً . [5]

يقول ابن المعتز : [6]

---

[1] العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ص٣٢ .
[2] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص١٢١ .
[3] تحيّفها : تنقصها وتأخذ من جوانبها . السحت : العذاب . (الديوان : ج٢/ص١٢١) .
[4] الجيش المحصد : المحكم ، المجتمع المتضافر . (الديوان : ج٢ ، ص١٢١) .
[5] انظر الطبري : ج٩/ص٦٦٣ — ومروج الذهب : ج٤/ص٢٠٧ ، وتاريخ الأمم الإسلامية ، للخضري : ص١٩٧
[6] ديوان ابن المعتز : ج١/ص٤٠١ .

والعَلَـــويُّ قايِـــدُ الفُسَّـــاقِ وَبايِـــعُ الأَحْـــرارِ في الأَسْـــواقِ

ونجد عند الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي إشارات غير مباشرة تعكس الواقـــع الاقتصادي لثورة يعقوب الصفّار ، هذا الذي أشعل ثورته في بلاد فـــارس ، ثم طمـــع في الاستيلاء على سلطة الخلافة ، فهاجم العراق [1] ويبدو أن أحواله الاقتصادية كانت جيدة ، يدلنا على ذلك ما قاله الشاعر في وصف جيشه ، إذ وصفه بأنه كبير وضخم ، قد جهـــز بأحسن التجهيزات الحربية ، لدرجة جعلت يعقوب يصاب بالغرور عندما رأى نفسه بـــين هذا الحشد الضخم من العساكر والجنود . يقول : [2]

وَلَقَـــدْ أَتَـــىٰ الصَّـــفَّارُ في عُـــدَدٍ لَهَـــا حُسْـــنٌ فَوافَتْـــهُنَّ نَكْبَـــةُ نَاكِـــبِ
حَـــتَّىٰ إِذَا اختلَفُـــوا وظَـــنَّ بأَنَّـــهُ قَـــدْ عَـــزَّ بَـــيْنَ عَسَـــاكِرٍ وكَتَائِـــبِ

ج- الثراء الفاحش لطبقة القوّاد :

إن تدفق الأموال التي تصب في حجور الخلفاء ومن حولهم من الـــوزراء والـــولاة والقواد ، أدى إلى شيوع الإقطاع والثراء العريض في الطبقة الحاكمـــة وحواشـــيها ومـــن ينضوون تحت لوائها . [3]

وكان القواد البارزون ينالون الجوائز السنية من الخلفاء ، إثر كل انتصار يحققونـــه لصالح السلطة العباسية ، مما أدى إلى ثرائهم الفاحش " على حساب العامة المحرومـــة الـــتي كانت تحيا حياة بؤس تقوم على شظف العيش " [4] وطبيعي أن يغدق هؤلاء القواد علـــى العلماء والشعراء كي يمدحوهم ويتغنوا بأمجادهم وانتصاراتهم . " ولعل قائـــداً لم يمـــدح في عصر الرشيد كما مدح يزيد بن مزيد الشيباني ممدوح مسلم بن الوليد " [5] فقد كان يزيـــد رجلاً كريماً طيب النفس ، مما جعل الناس يقصدونه طلباً لمساعدته وطمعاً في نواله ، وهـــذا

---

[1] مروج الذهب : ج٤/ ص٢٠٠ .
[2] الطبري : ج٩/ ص ٥١٩-٥٢٠ .
[3] العصر العباسي الأول : د. شوقي ضيف ، ص ٤٥ .
[4] المرجع السابق : ص ٥١ .
[5] المرجع السابق : ص ٣٤٥ .

ما أشار إليه الشاعر مسلم بن الوليد حين شبه يزيد ببيت الله الحرام ، الذي يتجه إليه الناس جميعاً طلباً للأجر والثواب . يقول : [1]

لا يَرْحَلُ النَّاسُ إلا نحوَ حُجْرتِهِ ... كالبَيْتِ يُضْحي إليهِ مُلتقَى السُّبُلِ

يَقْرِي المنيةَ أرواحَ الكماةِ كَمَا ... يَقرِي الضيوفَ شحومَ الكُومِ والبُزُلِ [2]

وكان مسلم قد أكثر من مدائحه في يزيد ، تلك التي لا تخلو من الإشارة إلى ثراء هذا القائد الكبير ، فالشاعر يصور كرم يزيد وعطاءه ، إذ لا يرفض طلباً لأحد ولا يرد سائلاً ، وهو يغدق في ذلك كله ولا يبخل أو يقتر ، كما أنه في عطاءاته لا يحسب أي حساب . ولعلّي لا أبتعد عن الحقيقة عندما أقول : إن ما يجده يزيد من عطاء السلطة العباسية هو أكثر بكثير مما ينفقه على الشعراء والسائلين والراغبين في عطائه ، وهذا يعكس صورة عن الواقع الاقتصادي الذي كان يعيشه قواد الدولة العباسية . ومما يؤكد ذلك قول مسلم : [3]

أَقْسَمْتُ ما نِمْتَ عَنْ قَهْرِ الملوكِ ولَا ... كَانَ الخليفةُ عَنْ نُعْمَاكَ نَوَّامَا

فالخليفة يغدق على قائده يزيد ، ويزيد يغدق على من يريد ، يقول : [4]

تَرَى العُفَاةَ عُكُوفاً حَوْلَ حُجْرَتِهِ ... يَرْجُونَ أَرْوَعَ رَحْبِ البَاعِ بَسَّامَا [5]

يقولُ : لا ونعَمْ ، في وجهِ حَمْدِهِمَا ... كلتاهُمَا مِنْهُ قَدْ تمضِيْ لِمَا رَامَا

أَروَى بجدْواهُ ظَمْأَ السَّائِلينَ كَمَا ... أَرْوَى نجيعَ دَمٍ رُمْحاً وصَمْصَامَا

وكان معظم قواد السلطة العباسية يتمتعون بأحوال اقتصادية ممتازة ، إذ اشتهر المعتصم " بأنه ألبس قواده وكبار جنده دراعات الديباج المنسوجة بالذهب المرصعة باليواقيت والأكاليل المرصعة بالدّرر من كل لون " [6]

---

[1] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص١٠-١١ .

[2] الكوم : الإبل العظام الأسنمة . البزل جمع بازل : وهو الذي أنهى تسعة أعوام (المصدر السابق : ص١١)

[3] المصدر السابق : ص٦٦ .

[4] المصدر السابق : ص ٦٤-٦٥ .

[5] العفاة : جمع عاف : وهو الزائر . (المصدر السابق : ص٦٤) .

[6] العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف : ص ٤٩ .

د- الفقر والحرمان عند بعض طبقات المجتمع :

من الطبيعي أن ينتشر البؤس والشقاء في طبقات المجتمع الدنيا ، إلى جانب النعيم والترف في الطبقة الأولى منه ، بل لقد كان للشقاء والبؤس أكثر الجوانب من الحياة العباسية ، فالشعب يعيش في الضنك والضيق لا الرقيق منه فحسب الذي كان يعمل في القصور والضياع ، بل أيضاً جمهور الناس من الأحرار ، وكأنما كانوا جميعاً أرقاء في هذا النظام الذي كفلت فيه أسباب النعيم ووسائل الترف لأقلّية محدودة استأثرت لنفسها بطيبات الأرض والرزق وزينة الحياة .

وقد تحدث شعراء الثورات عن هذه الظاهرة الاقتصادية في مجتمعهم ، فأشاروا إلى ضيق أحوال بعض الطبقات وفقرهم وحرمانهم من ملذات الحياة .

فهذا الشاعر القاسم بن إبراهيم يبين بؤس وشقاء أبناء مجتمعه ، مما جعلهم ينظرون إلى الدنيا نظرة متشائمة ، إذ لا أمل عندهم ولا رجاء في تحسن أحوالهم الاقتصادية ، وهم لا يرون في هذه الدنيا إلا العيش المكدر ، والشمل المشتت ، والحرمان والضياع ، يقول : [1]

يَا دارُ دارَ غُرورٍ لا وَفَاءَ لهَا ... حَيْثُ الحوادِثُ بالمكرُوهِ تَسْتَبِقُ
أبْرحتِ أهلَكِ مِنْ كَدٍّ ومِنْ أسَفٍ ... بمشْرَعٍ شُرْبُهُ التَّصْديرُ والرَّنَقُ [2]
فإنْ يَكُنْ فِيكِ لِلآذانِ مُسْتَمَعٌ ... يُصْبي وَمَرْأىً تَسَامىَ نحوَهُ الحَدَقُ
فَأيُّ عَيْشِكِ إلاّ وَهْوَ مُنتَقِلٌ ... وأيُّ شَمْلِكِ إلاّ وَهْوَ مُفْتَرِقُ

ويمثل الطالبيون — في بعض مراحل العصر العباسي — شريحة بائسة من شرائح المجتمع ، إذ كان العباسيون يعاملونهم معاملة سيئة انعكست سلباً على أوضاعهم الاقتصادية ، فقد أصبحوا مشردين لا يملكون إلا ما يسد رمقهم ويعينهم على الاستمرار في الحياة . وهذا ما يشير إليه الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي حين يقول : [3]

رَكْبٌ ألَحَّتْ يَدُ الزَّمَانِ عَلَى ... إزْعَاجِهِمْ في البِلادِ فانتقَلُوا
بَانُوا فظَلَّتْ عُيُونُ شِيْعَتِهِمْ ... عَلَيهِمْ لا تَزَالُ تَنْهَمِلُ

---

[1] مقاتل الطالبيين : ص٥٥٣ – ٥٥٤ .

[2] الرنق : رنق الماء : كدر . (القاموس المحيط : ج٣/ص٣٢٢) .

[3] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٦ .

وأظن أن الشاعر قصد بالزمان السلطة العباسية ، فهي التي كانت تطارد الطالبيين وتلح في طلبهم ، الأمر الذي اضطرهم إلى التشرد والانتقال .

لكن شاعراً مثل ابن الرومي يُحمّل شعره دلالات وإشارات مباشرة إلى واقع الطالبيين الاقتصادي ، وبالمقابل واقع العباسيين ، فيجري مقارنة بين الطرفين ليبين أن الطالبيين يعيشون عيشة متقشفة ، بينما يحيا العباسيون حياة الترف والنعيم ، ومما يدل على ذلك الأوضاع الصحية لأبناء الطرفين . يقول : [1]

أَفِي الحَقِّ أَنْ يُمْسُوا خِمَاصاً وأَنْتُمُ ... يَكَادُ أَخُوكُمْ بِطْنَةً يَتَبَعَّجُ ؟

تَمَشُّونَ مُخْتَالِينَ في حُجُرَاتِكُمْ ... ثِقَالَ الخُطا أَكْفَالُكُمْ تَتَرَجْرَجُ [2]

وَلِيدُهُمْ بَادِي الطَّوَى ووَلِيدُكُمْ ... مِنَ الرِّيفِ رَيَّانُ العِظَامِ خَدَلَّجُ [3]

هكذا عبر شعراء الثورات عن فقر وحرمان بعض الطبقات في مجتمعهم ، فصوروا واقعهم الاقتصادي البائس ، الذي ألقى بظلاله على نفوسهم فهبت معلنة ثورتها على العباسيين .

هـ - الواقع الاقتصادي لمدينة البصرة كجزء من المجتمع العباسي :

اشتهرت مدينة البصرة بكثرة مزارع النخيل فيها ، كما أنها عين العراق وميناؤه النهري الوحيد [4]، لذلك كان أهلها يتمتعون بوضع اقتصادي مزدهر ، إذ استفادوا من الزراعة ، كما انتفعوا من الحركة التجارية الدائمة فيها .

بيد أن الزنج احتلوا هذه المدينة سنة ٢٥٧هـ [5] ، فأفسدوا فيها أيّما إفساد ، مما أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية فيها .

وقد أشار الشعراء إلى أوضاع البصرة الاقتصادية ، ومن هؤلاء الشعراء ابن الرومي ، حيث عكس لنا في قصيدته التي رثى بها البصرة إثر دخول الزنج إليها ، صوراً متعددة ، فهو

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص٢٨ .

[2] الأكفال : الواحد كفل : العجز أو الردف (المصدر السابق)

[3] الخدلج : الممتلئ الذراعين والساقين . (المصدر السابق)

[4] ثورة الزنج ، فيصل السامر : ص ٩٠ .

[5] الطبري : ج٩/ص٤٨٦ ، البداية والنهاية : ج١٤/ ص٥٣٦ .

يتأسف على خراب هذه المدينة التي كانت مركزاً تجارياً هاماً قبل دخول الزنج إليها ، إنه يصور واقع البصرة الاقتصادي قبل احتلالها ، فيقول : [1]

لَهْفَ نَفْسِي عَليكِ يَا فُرْضَةَ البُلْدَانِ   لهفاً يبقى على الأَعْوامِ [2]

لَهْفَ نَفْسِي لجمْعِكِ المتفَانِي   لَهْفَ نَفْسِي لعِزِّكِ المسْتَضَامِ

أما الصورة الثانية التي يطرحها ابن الرومي فتعكس واقع أهل البصرة الاقتصادي قبل وبعد الاحتلال ، وذلك من خلال مقارنة بين حالهم قبل احتلال مدينتهم ، ووضعهم بعد احتلالها ، لقد كانوا منعمين ، يسكنون بيوتاً فاخرة حوت كل نفيس ، وتتخذ نساؤهم الإماء والخدم ، لكن الأحوال انقلبت بعد دخول الزنج إلى مدينتهم ، فقد أصبحوا فقراء معدمين ، واتُّخذت نساؤهم الحرائر إماء ، وهدمت بيوتهم وأحرقت بعد أن سلبت وبيع كل ما فيها بأثمان قليلة . يقول : [3]

مَنْ رآهُنَّ يُتَّخَذْنَ إِمَاءً   بَعْدَ مُلْكِ الإِمَاءِ والخُدَّامِ

رُبَّ بَيْعٍ هُنَاكَ قَدْ أَرْخَصُوهُ   طَالَ مَا قَدْ غَلا عَلَى السُّوَّامِ

رُبَّ ذِي نِعْمَةٍ هُنَاكَ ومَالٍ   تَرَكُوهُ مُحَالِفَ الإِعْدَامِ

ويعكس ابن الرومي في هذه القصيدة أيضاً صورة عن واقع الحياة اليومية في مدينة البصرة ، فأسواقها وحركتها التجارية البحرية وزراعتها ، كل ذلك يدل على حالة أهلها الاقتصادية الجيدة ، تلك التي انقلبت فقراً وحرماناً وتشريداً ، مما جعل ابن الرومي يتساءل ، فيقول : [4]

أَيْنَ ضَوْضَاءُ ذَلِكَ الخَلْقِ فيهَا   أَيْنَ أَسْوَاقُهَا ذَوَاتُ الزِّحَامِ ؟

أَيْنَ فُلْكٌ فِيهَا وفُلْكٌ إِليهَا   مُنْشَآتٌ في البَحْرِ كَالأَعْلامِ ؟

أَيْنَ تِلْكَ القُصُورُ والدُّورُ فيهَا   أَيْنَ ذَاكَ البنيانُ ذو الإِحْكَامِ ؟

---

[1] ديوان ابن الرومي: ج ٦ / ص ١٣٢ .

[2] فرضة البلدان : محطها . (المصدر السابق) .

[3] المصدر السابق : ج٦/ ص ١٣٣ .

[4] المصدر السابق : ج٦/ ص ١٣٣-١٣٤ .

إن هذه الصور التي عرضها ابن الرومي تجتمع لترسم لنا لوحة يعكس ائتلاف صورها دلالات على وقائع اجتماعية واقتصادية ، فهي تبرز واقع حياة مجتمع البصرة الاقتصادي ، وتبين ما أحدثه الزنج من خراب ودمار في هذه المدينة عندما احتلوها ، لقد عطلوا تجارتها ونهبوا أسواقها ، ودمروا قصورها وأحرقوها ، وأحالوا كل جميل فيها طلولاً بالية .

أما شاعر الزط فيشير في قصيدته إلى الوضع الاقتصادي في البصرة ، إبان ثورتهم التي أضرت به ، وعطلت مصالح التجار والصناع الذين كان الزط يعملون عندهم ، كما أن غارات الزط على حقول البصرة وبساتينها أضرّت أيضاً بحالة أصحابها الاقتصادية ، إنه يخاطب السلطة العباسية ، فيقول : [1]

يَا أَهْلَ بَغْدَادَ مُوْتُوا دَامَ غَيظُكُمُ ... شَوقاً إلى تَمْرِ بَرْنِيٍّ وشُهْرِيزِ

فابْكُوا علىٰ التَّمْرِ أَبْكَىٰ اللهُ أَعْيُنَكُمْ ... في كُلِّ أَضْحَىٰ وفي فِطْرٍ ونَيْروزِ

وهكذا ، فقد رأينا أن شعر الثورات حمل إلينا صوراً تضمنت إشارات مباشرة وغير مباشرة إلى الواقع الاقتصادي للمجتمع العباسي وسلطته في تلك الفترة التي قامت فيها الثورات المناهضة للسلطة العباسية .

٤- الدلالات الاجتماعية :

توزع المجتمع العباسي على ثلاث طبقات أساسية ، الأولى طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن يتبعهم من الأمراء وكبار موظفي الدولة وأكابر التجار والإقطاعيين ، أما الطبقة الثانية فهي طبقة وسطى تشتمل على رجال الجيش وصغار الموظفين والتجار ، والصناع الممتازين ، بينما تكون الطبقة الثالثة هي الدنيا وتشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق . [2]

ومن أهم الظواهر الاجتماعية في هذا العصر انغماس الطبقات العليا في الترف من الخلفاء والوزراء والقواد ، ومن إليهم من كبار الكتاب والشعراء ، وشيوع الإقطاع عند الطبقة الحاكمة ومن يلوذون بها ، واشتداد الفقر والضيق عند عامة الشعب . [3]

---

[1] الطبري : ج٩/ ص ١٠-١١ .

[2] العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف : ص٥٣ .

[3] الأدب في ظل الخلافة العباسية ، د. علي جميل مهنا ، الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٨١م ، ط١ ، ص٣٤ .

على أن ظاهرة انتشار مجالس اللهو والغناء في قصور الخلفاء والوزراء وقواد الجيوش كانت ظاهرة مؤثرة في المجتمع العباسي ، حيث كانت الجواري المسميات بالقيان هن اللواتي يحيين هذه المجالس بغنائهن الذي يهز القلوب ويطرب العقول ، " وقد جعل هذا الغناء الذي ملأ حياة الناس واستأثر بقلوبهم يرفع من أثمان الجواري المسمين بالقيان اللائي كن يتقنّه "[1] وقد كان لهذا الفن شأنه في النفوس مما جعل أبناء الخلفاء وعلية القوم يقبلون على تعلمه وإتقانه حتى لنراهم يصنعون فيه ألحاناً وأصواتاً تنسب إليهم .[2]

ومن الظواهر الاجتماعية في العصر العباسي ظهور بعض الأمراض الاجتماعية كالحسد والأنانية ، وقد كانت منتشرة بشكل كبير في أوساط الطبقة العليا من طبقات المجتمع ، حيث كان الحسد يقع بين الوزراء والقواد وأحياناً يكون بين أفراد الأسرة الحاكمة أنفسهم .

كما انتشرت ظواهر اجتماعية إيجابية في هذا المجتمع منها حق الجار والكرم والتنافس في بذل المعروف والعدالة الاجتماعية التي وجدت في بعض مراحل هذا العصر .
فهل سنرى أصداء لهذه الظواهر الاجتماعية في شعر الثورات ؟

إن الدلالات الاجتماعية التي يحملها شعر الثورات تتوزع على أربعة محاور ، يصور بعضها واقع بعض فئات المجتمع آنذاك ، بينما يعكس البعض الآخر منها صوراً عن الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك المرحلة من العصر العباسي .

أ- واقع الطالبيين الاجتماعي :

عكست أشعار شعراء الثورات صوراً عن الواقع الاجتماعي للطالبيين ، فبيّنت وضعهم الاجتماعي وما يشعرون به من غربة نتيجة فقرهم وحرمانهم من حقهم في اقتسام السلطة والثروة مع العباسيين . كما أبرزت مكانة الطالبيين الاجتماعية بين أوساط المجتمع العباسي ، إذ كان الناس ينظرون إليهم نظرة احترام وإجلال وتعظيم .

---

[1] العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف : ص ٦١ .

[2] الأغاني : في مواضع كثيرة منها : ج٥/ص١٥٨-١٥٩ و ص ٢٦٢-٢٦٣ ، ج٩/ص٣١٢-٣١٧ ، ج١٠/ص٤١-٤٢ ، ص ٧٠-٧١ ، ص ٧٢-٧٣ .

فهذا الشاعر إبراهيم بن عبد الله بن حسن يشير إلى شقاء أهله الطالبيّن ، ويبيّن موقف العباسيين منهم . يقول : [1]

واسْتُخرِجَ النَّاسُ للشَّقاءِ وخُلِّفْتُ ... لِدَهْرٍ بِظَهْرِهِ حَدَبُ
أَصبحَ آلُ الرَّسُولِ أَحْمَدَ في النَّاسِ ... كَذِي عَرَّةٍ بِهِ جَرَبُ

وكان الطالبيون من الجماعات التي التزمت بقيمها الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، وصانت نفسها من السقوط والابتذال ، فلم تستطع التوافق مع السلطة العباسية ، بل أحست بالاغتراب المر ، عن تلك السلطة الفاسدة ، والمنهارة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً . وهذا ما أشار إليه الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، حيث يقول : [2]

وَفَدَتْكَ نَفْسِي مِنْ غَرِيبِ ... الدَّارِ في القَوْمِ الأَبَاعِدْ

وإذا كان " انتشار الفقر والبؤس ، وتعرض الناس للقهر والظلم ، وفقدان الأمن ، دفع الكثيرين إلى الاغتراب عن أوطانهم ، والتنقل من بلد إلى بلد ، أملاً في الخلاص من معاناتهم "[3] فإن الطالبيين أقرب ما يكون إلى ذلك ، فقد عانوا كثيراً من اضطهاد العباسيين وقسوتهم ، كما فروا من ظلمهم وتعسفهم في معاملتهم ، لذلك نجد شاعراً مثل الهيثم بن عبد الله الخثعمي يصور لنا واقع الطالبيين الاجتماعي مع السلطة العباسية ، فيقول : [4]

شَدُّوا عَلَى عِتْرَةِ الرَّسُولِ ولَمْ ... تَثْنِيهِم رَهْبَةٌ ولا وَهَلُ[5]
فمَا رَعَوا حَقَّهُ وحرمتَهُ ... ولا اسْتَرابُوا في نَفْسِ مَنْ قَتَلُوا

(1) الطبري : ج٨/ص٥٤٥-٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص٢٢٨-٢٢٩ .
(2) مقاتل الطالبين : ص٣٨٤-٣٨٥ .
(3) الاغتراب في الشعر العباسي ، د. سميرة سلامي ، ص١١٤ .
(4) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٧-٥٥٨ .
(5) وهل : الخوف والجبن (تاج العروس : ج١٥/ص٧٨٧)

ويبين ابن الرومي واقع الطالبيين الاجتماعي مع السلطة العباسية ، فيشير إلى ظلم العباسيين لهم ، وبعدهم عن الدين في طريقة تعاملهم معهم .

يقول : [1]

بَنِي المُصْطَفَىٰ : كَمْ يَأْكُلِ النَّاسُ شِلْوَكُمْ؟ ... لِبَلْوَاكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ مُفَرَّجُ

لَقَدْ عَمِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فِيكُمُ ... كَأَنَّ كِتَابَ اللهِ فِيهِمْ مُمَجْمَجُ !

ومثلما صور الشعراء وضع الطالبيين الاجتماعي مع السلطة العباسية ، فكذلك بينوا مكانتهم عند الناس الذين يعيشون معهم في المجتمع . فهذا الشاعر أحمد بن طاهر يبرز حركية المجتمع في الصورة التي يعكسها لنا ، والتي تبيّن المكانة العظيمة التي يحتلها الطالبيون في قلوب أفراد مجتمعهم ، إذ يرونهم حماة للدين ، حراساً للعقيدة ، وبالتالي فإن فقدهم يعني افتقاد الدين وضياع المسلمين . يقول : [2]

سَلامٌ عَلَىٰ الإِسْلامِ فَهْوَ مُوَدِّعُ ... إِذَا مَا مَضَىٰ آلُ النَّبِيِّ فَوَدَّعُوا

فَقَدْ أَقْفَرَتْ دَارُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... مِنَ الدِّيْنِ وَالإِسْلامِ فَالدَّارُ بَلْقَعُ

وهذا الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي يشير إلى مكانة الطالبيين الاجتماعية ، إذ يرى أنهم يحتلون مكانة عالية في نفوس الناس ، الذين يكنون لهم قدراً كبيراً من الاحترام والتعظيم . يقول : [3]

مِنْ أُسْرَةٍ جُعِلَتْ مَخايِلُهُمْ ... لِلعَالَمِيْنَ مَخَايِلَ النَّظَرِ

تَتَهَيَّبُ الأَقْدَارُ قَدْرَهُمُ ... فَكَأَنَّهُمْ قَدَرٌ عَلَىٰ قَدَرِ

ولعل ما تمتع به الطالبيون من صفات دينية وفضائل أخلاقية ، جعل الناس ينظرون إليهم نظرة إجلال وتعظيم ، امتدت إلى بعض قادتهم البارزين من أمثال يحيى بن عمر

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣ .

[2] مروج الذهب : ج٤/ص١٤٨-١٤٩

[3] المصدر السابق : ج٤/ص١٥٢ .

الطالبي ، الذي ترك مقتله حزناً عميقاً في قلوب الناس ، وهذا ما أشار إليه أحد الشعراء حينما قال: [1]

والمصَلّى والبَيْتُ والرُّكْنُ والحِجْرُ جَميعَاً لَهُمْ عليهِ عَويلُ
كَيْفَ لم تسقُطِ السَّمَاءُ علينَا يومَ قَالُوا : أَبُو الحُسَيْنِ قَتيلُ

وكما أشار ابن الرومي إلى مكانة هذا القائد الاجتماعية ، فبين أنه قد فاز بالذكر الطيب في الدنيا ، كما فاز بالجنة في الآخرة . يقول : [2]

وَقَدْ نَالَ في الدُّنيا سَنَاءً وصِيْتةً وقَامَ مُقامَاً لم يَقُمْهُ مُزَلَّجُ [3]
فَإِنْ لا يَكُنْ حَيّاً لَدِينَا فإنَّه لدىَ اللهِ حيٌّ في الجِنَانِ مُزَوَّجُ

وكذلك فإن الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي يبين أن قائد ثورة الطالبين أبا السرايا قد احتل مكانة محمودة في نفوس أتباعه ، الذين بكوه بدموع غزار ، وحزنوا على فقده حزماً عميقاً . يقول : [4]

أَبَا السَّرَايَا نفسي مفجَّعَةٌ عليكَ والعَيْنُ دَمْعُهَا خَضِلُ
فاذهَبْ حَمِيْداً فكُلُّ ذِي أَجَلٍ يَمُوتُ يَومَاً إذا انقضَى الأَجَلُ

ب- واقع البصرة الاجتماعي :

ذكرنا فيما سبق أن البصرة كانت من المدن المشهورة في العصر العباسي ، إذ نشطت فيها الحركة التجارية ، كما نشطت فيها الزراعة ، مما جعل أهلها يتمتعون بأوضاع اقتصادية

---

[1] المصدر السابق : ج٤/ص١٤٩-١٥٠ ، الكامل ج٥/ص٣١٥-٣١٦ ..

[2] ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٤ .

[3] المزلج : الناقص المروءة . (المصدر السابق)

[4] مقاتل الطالبين : ص٥٥٦-٥٥٧

مزدهرة " ولا ريب أن للعامل الاقتصادي أثراً عميقاً ، في تكوين نفسية الإنسان ، وفي رسم خطوط حياته واتجاهاته الروحية " [١]

وفعلاً انعكس الوضع الاقتصادي المزدهر على أوضاع أهل البصرة الاجتماعية ، فقد كانوا يعيشون حياة هانئة تسودها القيم الاجتماعية الحميدة ، وترسخها الروابط الاجتماعية الوثيقة ، إلى أن دخلها الزنج فانقلب كل شيء رأساً على عقب ، فقد شردوا أهلها وقتلوا أكثرهم ، وخربوا ودمروا ، وأفسدوا فيها أيما إفساد . فانبرى الشعراء يصورون هذه المأساة ، وكان على رأسهم الشاعر ابن الرومي الذي قال مرثيته الرائعة في هذه المدينة المنكوبة .

لقد عكس ابن الرومي صوراً فجائعية عن واقع البصرة الاجتماعي ، إذ بين ما حدث لهذا المجتمع من تشتت وتفرق ، إضافة إلى ما أصاب أهله من هول وترويع ، فقد كان الأب يشاهد مصرع ابنه أمام ناظريه ، كما يشاهد الأخ أخاه يموت وهو ينظر إليه بحسرة وألم ، فأيّ رزء وأية مصيبة تلك التي حلت بهؤلاء الناس . يقول : [٢]

كَمْ أَخٍ قَدْ رَأَىٰ أَخَاهُ صَرِيعاً ... تَرِبَ الخَدِّ بينَ صرعَى كِرَامِ ؟

كَمْ أَبٍ قَدْ رَأَىٰ عَزِيزَ بنيهِ ... وَهْوَ يُعْلَىٰ بِصَارِمٍ صَمْصَامِ ؟

كَمْ فَتَاةٍ بخَاتَمِ اللهِ بِكْرٍ ... فَضَحُوهَا جَهْراً بغَيْرِ اكتِتَامِ؟

صَبَّحُوهُمْ فَكَابَدَ القَومُ مِنْهُمْ ... طُولَ يومٍ كأنَّه ألفُ عامِ

ويصور ابن الرومي حالة نساء البصرة اللواتي كن كريمات ، فأحالهن الزنج ذليلات مأسورات ، قد لطخت وجوههنّ بالدماء ، بينما راح الزنج يقتسمونهن ليصبحن ملكاً لهم كالإماء . يقول : [٣]

مَنْ رآهُنَّ في المسَاقِ سَبايا ... داميَاتِ الوُجُوهِ للأَقْدَامِ

مَنْ رآهُنَّ في المقاسِمِ وَسْطَ الزَّ ... نْجِ يُقَسَّمْنَ بينَهُمْ بالسِّهَامِ

---

[١] الاغتراب في الشعر العباسي ، د. سميرة سلامي ، ص١١١ .

[٢] ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ٢١٣٢ - ١٢٣ .

[٣] المصدر السابق .

كما يبين ابن الرومي كيف فرق الزنج شمل هذا المجتمع ، بعد أن كان ملتئماً يعيش أفراده بسعادة وهناء . يقول : [1]

رُبَّ بَيْتٍ هُنَاكَ قَدْ أخْرَجُوهُ كَانَ مَأْوَى الضِّعَافِ والأيْتَامِ
رُبَّ قَوْمٍ بَاتُوا بِأَجْمعِ شَمْلٍ تَرَكُوا شَمْلَهُمْ بغَيرِ نظَامِ

بهذا صور الشاعر واقع البصرة الاجتماعي الذي أحاله الزنج كارثة إنسانية لم يـر المجتمع آنذاك لها مثيلاً .

ج – ظواهر اجتماعية سلبية :

انتشرت في المجتمع العباسي ظواهر اجتماعية سلبية ، ومما ساعد على انتشارها مـا تمتعت به بعض طبقات المجتمع من ثراء فاحش وانغماس في اللهو والملذات ، وكان أهم هذه الظواهر انتشار مجالس الشرب والغناء ، تلك التي كانت شائعة بين أوساط الخلفاء والوزراء ومن حولهم ، وقد صور الشعراء هذه الظاهرة في شعرهم ، وكان من بينهم الشـاعر ابـن الرومي ، إذ بين أن رجـال السلطة العباسية كانوا يقيمون مجـالس الشـرب واللـهو في قصورهم ، فيشربون الخمرة ويجالسون كفار الروم ويعاشرونهم ، الأمر الذي يعبر عن فساد حياتهم الاجتماعية إلى حد كبير . يقول : [2]

بِآيَةِ ألاّ يَبْرح المَرْءُ مِنْكُمُ يَكُبُّ عَلَى حُرِّ الجَبينِ ، فَيُعْفجُ
يَبِيتُ إذا الصَّهْباءُ روَّتْ مَشَاشَهُ يُسَاوِرُه عِلْجٌ مِنَ الرُّومِ أعْلَجُ
فَيطْعَنُهُ في سُبَّةِ السُّوءِ طَعْنَةً يَقومُ لهَا مِنْ تحتِهِ وَهْوَ أفْحَجُ
لِذاكَ بَنِي العَبَّاسِ يَصْبرُ مِثْلُكُم ويَصْبرُ للمَوتِ الكَمِيُّ المُدَجَّجُ

ومن الظواهر الاجتماعية السلبية التي صورها ابن الرومي ، ظاهرة التّشفي بالآخرين عندما يصيبهم مكروه ، أو تحل بهم مصيبة . فقد بين أن العباسين فرحوا لمقتل يحيى بن عمر

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٦ / ص ١٣٣ .

[2] المصدر السابق : ج٢/ ص ٢٩ .

واشتفوا به ، لأنه نازعهم على السلطة ، وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على حقدهم وبغضهم للطالبيين ، مما يشكل مرضاً اجتماعياً عندهم . يقول : [1]

أَلا أيُّهَا المستبشِرُونَ بيومِهِ — أَظلَّتْ عَليكُمْ غُمَّةٌ لا تُفَرَّجُ
أكلُّكُمْ أمْسَى اطمَأنَّ مِهَادُهُ — بِأنَّ رَسُولَ اللهِ في القَبْرِ مُزْعَجُ ؟
فَلا تَشْتُمُوا وليَخْسَأِ المَرءُ مِنْكُمُ — بوجهٍ كَأنَّ اللَّونَ مِنْهُ اليَرنْدَجُ

وكان الحسد مرضاً اجتماعياً ينهش في جسم السلطة العباسية ، وبخاصة الوزراء والقواد ، إذ كانوا كثيراً ما يحسدون بعضهم على مكانتهم أو قربهم من الخليفة أو ولي عهده وكان شائعاً آنذاك كثرة حساد من يبرز من القواد أو الوزراء ، حيث يدبرون له المكائد ويحاولون أن يبعدوه عن مركز القرار .

وكان القائد يزيد بن مزيد الشيباني كثير الحساد ، فقد حقق انتصارات رائعة جعلت الخلفاء يقربونه ويقدرون صنيعه ، الأمر الذي أثار عليه حفيظة من هم حول أولئك الخلفاء ، فراحوا يدبرون له المكائد حسداً ، لكنه كان يرد مكائدهم بالمزيد من الانتصارات الرائعة . وقد أشار الشاعر مسلم بن الوليد إلى هذا الأمر في معرض مدحه ليزيد ، حيث يقول : [2]

ووَقْعَةٍ لَكَ ظَلَّ المُلْكُ مُبْتَهِجاً — فِيها ومَاتَ لهَا الحُسَّادُ إرغَامَا

أما الشاعر ابن الرومي فقد أشار إلى هذه الظاهرة الخطيرة ، فبين أن صاعد بن مخلد وزير الموفق ، كان قيادياً ناجحاً ، مما أثار عليه حقد الحاقدين ، فحسدوه على مكانته ، وتحسروا على ما هو عليه من جاه وسلطان . يقول : [3]

وَضِدٌ لَكُمْ لا زَالَ يَسْفُلُ جَدُّهُ — ولا بَرِحَتْ أنفَاسُهُ تَتَصَعَّدُ
يَرىٰ زِبْرِجَ الدُّنيَا يَرِفُّ عليكُمُ — ويُغْضِي عن استِحْقاقِكُمْ فَهْوَ يَفْأَدُ [4]
ولو قاسَ باستيجَابِكُمْ مَا مُنِحْتُمُ — لأَطْفَأَ نَاراً في حَشَاهُ تَوَقَّدُ

---

[1] المصدر السابق : ج٢/ص ٢٥ .

[2] شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد : ص٦٨ .

[3] ديوان ابن الرومي : ج ٢ /ص١١٩ – ١٢٠ .

[4] الزبرج : الزينة من وشي أو نحوه ، يفأد : يشكو فؤاده . (المصدر السابق : ج١١٩/٢)

كما يشير ابن الرومي إلى ظاهرة اجتماعية سلبية ، برزت في مجتمع تلك المرحلة من العصر العباسي ، ألا وهي التخاذل عن نصرة المسلمين ، فهو يرى أن المجتمع قد تخاذل عن نصرة أهل البصرة حين احتلها الزنج وأفسدوا فيها ، وينتقد هذا الموقف السلبي الخطير . يقول : [1]

يَا عِبَادِي أَمَا غَضِبْتُمْ لِوَجْهِي ذِي الجَلالِ العَظِيمِ والإكْرَام ؟
أَخَذَلْتُمْ إِخْوَانَكُمْ وقَعَدْتُمْ عنْهُمُ – ويحكُمْ – قُعُودَ اللِّئَامِ ؟

وتبرز لنا في شعر الثورات ظاهرة الأنانية ، تلك التي سيطرت على صاحب الزنج ، فلم يعد يرى إلا نفسه ، واستصغر – بالمقابل – كل من هم حوله . يقول : [2]

ومَالي في الخَلْقِ مِنْ مُشْبِهٍ ولا في اكتِسَابِ العُلا مِنْ شَرِيْكِ

كما يقول في موضع آخر : [3]

مُسْتَخِفٌّ بِذَا وذَاكَ وهَذا لم أُسْمِعْ نَدامَتي قَرْعَ سِنِّ
أَنَا روضُ الرَّبِيعِ في كُلِّ زَهْرٍ فيلسوفُ الزَّمَانِ في كُلِّ فَنِّ

إن ما وصل إليه صاحب الزنج من الأنانية يصح أن يشخص مرضاً نفسياً ، وقد لا أبتعد عن الصواب إن قلت : إن ما به هو " جنون العظمة " ، إذ لا يرى إلا نفسه ، ولا يقيم وزناً لكل من هم حوله ، وقد أخذه الكبر إلى الادعاء بأنه فيلسوف زمانه الفريد .

ومن الظواهر الاجتماعية السلبية التي يمكن أن نستدل عليها في شعر الثورات ، ظاهرة القتل والتخريب والتدمير ، تلك التي قام بها الزنج عند احتلالهم للبصرة ، فقد أقدم

---

(1) المصدر السابق : ج٦/ ص١٣٥ .

(2) ذيل زهر الآداب : ص١٥٦ .

(3) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ .

هؤلاء على قتل الشيوخ والأطفال ، ونهب المنازل والأموال ، وتدمير المساجد ، واستعباد الأحرار ، وبيعهم في أسواق النخاسة بأثمان بخسة .

فهذا الشاعر ابن المعتز يشير إلى هذه الظاهرة الخطيرة ، فيقول : [1]

وَالبَائِعِ الأَحْرَارِ فِي الأَسْوَاقِ ... وَصَاحِبِ الفُجَّارِ والمُرَّاقِ
وَقَاتِلِ الشُّيُوخِ والأَطْفَالِ ... وَمُنْهِبِ الأَرْوَاحِ والأَمْوَالِ
وَمُهْلِكِ القُصُورِ والمسَاجِدِ ... وَرَأْسِ كُلِّ بِدْعَةٍ وقَائِدِ

كما يشير إلى حجم الكارثة الاجتماعية التي خلفها الزنج في مدينة البصرة ، حيث بلغت جرائمهم وأفعالهم السيئة أعظم درجة ، مما جعل الناس يشعرون بهول المصيبة وفداحة الخطب . يقول : [2]

حَتَّى إِذَا مَا أَسْخَطَ الإِلهَا ... وَبلَغَتْ فِتْنَتُهُ مَدَاهَا
وَشَكَتِ الأَرْضُ إِلَىٰ السَّمَاءِ ... مَا فَوقَهَا مِنْ كَثْرَةِ الدِّمَاءِ
وضَاقَتِ القُلُوبُ فِي الصُّدُورِ ... وأَيْقَنَتْ بِحَادِثٍ كَبِيرِ
وارتفعَتْ أيدِي العِبَادِ شُرَّعَا ... بَعْدَ الصَّلاةِ جُمَعَاً فَجُمَعَا

تلك هي الظواهر الاجتماعية السلبية كما عكسها لنا شعر الثورات ، ولا شك في أنها صور لمجتمع ساءت نظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فضعف فيه سلطان العدل ، واهتزّت فيه قيم المحبة ، والمساواة فتردّت الأخلاق ، وسادت الكلمة الخبيثة [3] ، ولم يعد بين الناس وازع من ضمير ، وكأن العقد الناظم بين الناس قد انفرط فكانت هذه الظواهر الاجتماعية غير السليمة .

---

[1] ديوان ابن المعتز : ج١/ص٤٠٢ .

[2] المصدر السابق : ج١ /ص ٤٠٤ .

[3] اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، بيروت : دار المسيرة ، د. ت ، ص ١١٤.

د- ظواهر اجتماعية إيجابية :

مثلما برزت في شعر الثورات صور عكست الظواهر الاجتماعية السلبية ، التي تحدثنا عنها سابقاً ، فكذلك عكس لنا هذا الشعر صوراً عن ظواهر اجتماعية إيجابية ، كانت سائدة في مجتمع ذلك العصر ، مما دعا الشعراء إلى امتداحها وإبرازها ، إذ غالباً ما يكون الشاعر أسرع الناس ، وأكثرهم قدرة ، على خلق الصورة ، لامتلاكه الأدوات التي يتعامل بها ، والتي تعينه على إنتاج الواقع وتجريده .

فهذا الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي يشير إلى ظاهرة اجتماعية إيجابية ، كانت ولازالت محمودة عند العرب منذ أقدم العصور ، وهي حق الجار . فقد تعارف العرب منذ وجودهم على وجوب حمايته ورعايته ومد يد العون له ، وصون حرماته . وقد استمرت هذه الظاهرة ملازمة للعرب ، لا في العصر العباسي فحسب ، بل إلى يومنا هذا ، إذ هم يرون ذلك حقاً عليهم نحو من يجاورهم شريطة أن يكون مسالماً ، لا معادياً أو مغتصباً . يقول : [1]

ولم يَبِتْ أَمِناً مَنْ لَمْ يَبِتْ وَجِلاً ... مِنْ أَنْ يبيتَ لَهُ جَارٌ على وَجَلِ

كذلك فإن الشاعر ابن الرومي يشير إلى هذه الظاهرة ، فيبين أن من يقيم في جوار صاعد بن مخلد ، سيجد الراحة والطمأنينة ، لأن صاعداً يقدم لجاره كل ما يجعله سعيداً ومرتاحاً ، وهادئ البال . يقول : [2]

لِيَحْلُلْ ذُرَاهُ مَنْ تَلَدَّدَ حَائِراً ... فَمَا في ذُراهُ حَائِرٌ يَتَلَدَّدُ

ويؤكد ابن الرومي على وجود هذه الظاهرة عند بني مخلد كلهم ، فيقول : [3]

وأولى امرئٍ أَنْ تَشْمَلوهُ بفضْلِكُمْ ... نقيذُكُمْ ، والمَوْتُ أسْوَدُ أَرْبَدُ

ومَنْ تُنقِذُوهُ تَضْمَنُوا ما يُعيشُه ... ومَا تغرِسُوهُ لا يَزَلْ يُتعهَّدُ

---

[1] الطبري : ج٩/ ص ٦٦٥ ، الكامل ج٦/ص٥٥ .

[2] ديوان ابن الرومي : ج٢ /ص ١١٧ .

[3] المصدر السابق : ج٢ / ص ١٢٠ .

ومن الظواهر الاجتماعية الإيجابية التي برزت في شعر الثورات ، ظاهرة التنافس في الكرم وبذل المعروف للناس ، ولا يخفى ما لهذه الظاهرة الطيبة من أثر حسن على العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراد المجتمع ، إذ أن الإحسان إلى الناس وتقديم المساعدة لهم يمد جسوراً من المودة والمحبة ، فتصبح طرقاً للتواصل معهم .

ولعل الفارعة بنت طريف ، عندما تبرز هذه الظاهرة في سلوك أخيها الوليد مع من حوله في المجتمع ، تريد أن تبين حسن علاقته مع الناس ، وأنه كان يحسن إليهم ويمد لهم يد العون ، فيقضي لهم حوائجهم ، ويساعدهم على تجاوز محنهم ومصائبهم ، مما جعله يكسب ودهم واحترامهم . تقول : [1]

فَتىً لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التُّقَى ... ولا المَالَ إلاَّ مِنْ قَناً وسُيُوفِ

حَلِيفُ النَّدَى ما عاشَ يرضَى بهِ النَّدَى ... فإنْ مَاتَ لا يَرضَى النَّدَى بحَلِيفِ

كذلك فإن مسلم بن الوليد يعكس لنا صوراً عن وجود هذه الظاهرة ، وما يندرج تحتها من العادات الاجتماعية الحميدة ، عند ممدوحه يزيد بن مزيد الشيباني ، فهو يرى أن يزيد يجتهد في الإحسان إلى الناس ، وبذل المعروف لهم ، كما يبين أن حب الخير عند يزيد جعله يتطلع إلى مساعدة الناس جميعهم ، وما هذا إلا دلالة على طيب أصله وأصالة معدنه ، فهو من قوم اشتهروا بالكرم وحسن المعشر في غابر الأزمان . يقول : [2]

كَالدَّهْرِ لا يَنْثَنِي عَمَّنْ يَهُمُّ بِهِ ... قَدْ أَوْسَعَ النَّاسَ إنعاماً وإرغَاما

خَيرُ البَرِيَّةِ آبَاءً إذا ذُكِرُوا ... وأَكْرَمُ النَّاسِ أَخْوَالاً وأَعْمَامَا

لذلك فقد استحق يزيد الشكر من الناس كلهم . يقول : [3]

إنْ يَشْكُرِ النَّاسُ مَا أَولِيتَ مِنْ حَسَنٍ ... فَقَدْ وَسِعْتَ بَنِي حَوَّاءَ إنعامَا

---

[1] وفيات الأعيان : ج٥/ص٨٥-٨٦ ، الكامل : ج٥/ص ٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج١٢/ص٨٥-٨٦ .

[2] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦٣-٦٤ .

[3] المصدر السابق : ص٦٦ .

ويضيف الشاعر إلى صفات يزيد التي تعكس هذه الظاهرة ، اهتمامه بفك الأسرى ، ومساعدتهم على التخلص من محنتهم . يقول : [1]

صَافِي العِيَانِ طَمُوحُ العَينِ هِمَّتُهُ ... فَكُّ العُنَاةِ وأَسْرُ الفَاتِكِ الخَطِلِ

وكان الوفاء بالعهد قد برز في شعر الثورات كظاهرة اجتماعية إيجابية ، ألقت بظلالها على العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع ذلك العصر . فهذا ابن الرومي يمتدح هذه الظاهرة عند صاعد بن مخلد فيقول : [2]

كَفَى الوعْدَ والإيعادَ بِالقَوْلِ نَفْسَهُ ... بأَفْعالِهِ والفِعْلُ للْفِعْلِ أَشْهَدُ
عَزيزٌ غَدَا فَوقَ التَّودُّدِ عِزُّهُ ... وإِحسَانُهُ في ظِلِّهِ يَتَوَدَّد

إنه رجل لا يقول ما لا يفعل ، وإنما يفي بكل ما يعد به ، مما يدل على احترامه لأعراف وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه .

وتبرز في شعر الثورات ظاهرة اجتماعية حسنة ، لطالما نادى بها دعاة الإصلاح ، وطالب بها الرافضون للأوضاع السلبية السائدة ، إنها ظاهرة العدالة الاجتماعية ، تلك التي تحققت — كما يظهر لنا من شعر الثورات — في زمن الموفق العباسي ووزيره صاعد بن مخلد فقد عمل الموفق على إعادة الحياة الاجتماعية إلى سابق عهدها ، حيث عم الأمن ، واطمأن الناس إلى الحصول على حقوقهم ، إن هم أدوا واجباتهم ، فغدت الحياة جميلة وهانئة ، يحيا فيها الناس بلا خوف أو وجل . ومما يدل على ذلك قول الشاعر يحيى بن خالد بن مروان : [3]

فَقَدْ طَابَتِ الدُّنيا وأَيْنَعَ نَبْتُهَا ... بِيُمْنِ وَلِيِّ العَهْدِ وانقَلَبَ الأَمْرُ

---

[1] المصدر السابق : ص١٣ .

[2] ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١١٦ .

[3] الطبري : ج٩/ص٦٦٥ ، الكامل : ج٦/ص٥٤ .

كما أنه يشير إلى فضائل الموفق التي غمر بها الناس في مجتمعه ، إذ حماهم وذب عن حرماتهم ، وحقق لهم الطمأنينة والأمن والاستقرار . يقول : [١]

يا بْنَ الخلائِفِ مِنْ أَرومَةِ هاشِمٍ والغَامِرينَ النَّاسَ بالإفْضَالِ
والذَّائِدينَ عَنِ الحَريمِ عَدُوَّهُمْ والمعلِمِينَ لكُلِّ يَومِ نِزَالِ

أما الوزير صاعد بن مخلد ، فإنه منذ تسلمه مهامه بدأ بعملية الإصلاح السياسي والإداري والاجتماعي ، حيث حارب الفساد والمفسدين ، وجمع شمل الناس من خلال إرساء دعائم العدالة الاجتماعية . فقد أقر الأنظمة والقوانين التي تحاسب المسيء على إساءته ، وتجزل الثواب والجزاء للمحسنين ، الذين يقومون بواجباتهم ومهامهم على أكمل وجه ، فغدا المجتمع وكأنه خلية نحل يسعى أفرادها ، بكل ما يستطيعون ، كي ينتجوا عسلاً خالصاً طيباً . وهذا ما يشير إليه ابن الرومي حيث يقول : [٢]

فَلَمَّا تَوَلَّى الأَمْرَ نُكِّرَ مُنْكَرٌ وعُرِّفَ مَعْروفٌ ، وأُصلِحَ مُفْسَدُ
وأَصْبَحَ شَمْلُ النَّاسِ وَهْوَ مُؤَلَّفٌ وعَهْدي بِشَملِ النَّاسِ وَهْوَ مُبَدَّدُ
حَماهُمْ وأفشَى العُرفَ فيهِمْ فكُلُّهُمْ مِنَ الشَّرِّ ممنوعٌ مِنَ الخَيْرِ مُمْجَدُ
إِذَا أَحْسَنُوا جُوزُوا جَزَاءً مُضَاعَفاً ومَا اقترفُوا مِنْ سَيّءٍ مُتَعَمَّدِ
ولمّا التقَى خصْبُ المُرَادِ وأَمْنُهُ تَيَقَّظَ مَسْبُوتٌ ونَامَ مُسَهَّدُ
فلَمْ يمتنِعْ مرعَىً علَى متعيِّشٍ ولمْ ينقطِعْ شِرْبٌ ، ولمْ ينبتَّ مَرْقَدُ
فَأَضْحَوا ومَا في راحَةِ المَوتِ مرغَبٌ لحيٍّ ، ولا في لَذَّةِ العَيْشِ مَزْهَدُ

وكذلك فإن ابن المعتز يشير إشارة مباشرة إلى هذه الظاهرة ، عندما يتحدث عن سياسة الموفق الاجتماعية ، التي قامت على مكافأة المحسنين المطيعين ، ومحاسبة العصاة المذنبين ، وقبول التوبة من التائبين ، مما حقق العدالة الاجتماعية في المجتمع ، فسادت

---

[١] المصدران السابقان .

[٢] ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١١٧ .

العلاقات الطيبة ، وشاعت المحبة بين الناس ، وانتشرت الألفة بينهم ، مما دفعهم إلى حب الموفق ، وتقديم الولاء والطاعة له . يقول : [1]

يحبُو المطيعَا ويَبيدُ العَاصِيَا ويَخضِبُ السُّيُوفَ والعَواليَا
ويَقبَلُ المسْتَأْمِنَ المنيبَا وَيَغْفِرُ الزَّلاَّتِ والذُّنُوبَا
ولا تَرَاهُ ناقِضاً لِعَهْدِهِ ولا يَشُوبُ بَاطِلاً بِجِدِّهِ
حَتَّى قَضَى اللهُ لَهُ بالفَتْحِ مِنْ بَعْدِ طُولِ تَعَبٍ وكَدْحِ
ونَصَبَ النَّاسُ لَهُ القِبَابَا وشَكَرُوا المهَيْمِنَ الوهَّابَا

هذا التعاطف العملي مع الشعب الذي أساسه التكوين السلطوي للموفق ، قابله تعاطف جمالي أساسه التكوين الشعري لابن المعتز ، الذي يظهر فيه الاعتماد على إفهام عامة المستمعين من خلال وضوح الإبداع ، والبعد عن الغموض ، وطرح الأمر بطريقة يفهمها ويطرب لها جميع أفراد المجتمع . مما يدل على إيمان الشاعر بأن الشعر يؤثر في المجتمع ، ويتأثر به ويعمل على إعادة تكوينه .

وبعد هذا العرض ، هل هذه هي فقط دلالات شعر الثورات ؟

تأكيداً . لا . فتقصي هذه الدلالات يثبت أن الشعر كله مجموعة دلالات . لكن في الوقوف عند هذا إساءة للشعر . فقد قدمنا – فيما سبق – ما يوضح عمق المضمون الدلالي في شعر الثورات ، حيث كثرت الإشارات التي تبين أن هذا الشعر صورة مجازية للواقع ، أو أنه واقع فني تمثلت فيه ذات الشاعر ، وفعاليات المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية .

[1] ديوان ابن المعتز : ج١ / ص ٤٠٥ .

الفصل الرابع

الخصائص الفنيّة لشعر الثورات

أولاً : بنية القصيدة بين الوحدة العضوية و الموضوعية :

- الوحدة العضوية
-الوحدة الموضوعية

ثانياً : الخيال و الصّورة الشّعرية :

* الخيـــــال:

-الخيال الحسي .
-الخيال المجرّد.
- الخيال التقليدي .
- الخيال التأليفي .
-الخيال الابتكاري .

* الصورة الشعريّة :

-بنية الصورة الشعرية .
- أنماط الصورة الشعرية
- الصورة الحسية .
- الصورة التجريدية .
-الصورة الافتراضية .
-الصورة الانطباعية .
- الصورة الرمزية .
- الصورة الوهمية.

ثالثاً : اللغة و المعجم الشعري:

- الألفاظ.
- التراكيب.
- المعجم الشعري .

رابعاً : الموسيقى و الإيقاع الشعري:

- الوزن
- القافية
- الإيقاع

أولاً : بنية القصيدة بين الوحدة العضوية و الموضوعية :

ينبغي لنا أن نبيّن مفهومي الوحدة العضوية و الوحدة الموضوعية قبل أن نـدخل في تفاصيل تتبعهما في شعر الثورات السياسية. فالنقاد يقصدون بالوحدة العضوية للقصيدة أن تكون بناءً حياً تام الخلق و التكوين، فالقصيدة ليست ضرباً من المهارة في صياغة أبيات من الشعر، وإنما هي بناء أو عمل تام ينقسم إلى وحدات تسمّى أبياتاً، لكن هـذه الوحـدات متصلة ببعضها كخيوط النسيج تتداخل لتكون و تشكل العمل كاملاً.

فالقصيدة لا يمكن أن تكون خواطر مبعثرة يجمعها إطار موسيقي، لكنها بنية نابضـة بالحياة، وعمل تتجمع فيه إحساسات الشاعر و ذكرياته ليكون مزيجاً من الفكر و الشعور. وهذا المزيج يكون مركباً من حقائق كثيرة وجدانية وعقلية. و مهما تكن الحقـائق الـتي تكونه، فإنها لا تتباين، بل تتآلف و تتحد لتشكل هذا البناء الموحّد المتكامل.

" إن القصيدة مجموعة من عناصر مترابطة متداخلة، تصوغها بصيرة الشاعر، لتصـور خبرته و معرفته إزاء حدث نفسي أو كوني أو يومي، حدث لا تزال نفسه تنفعل به، وتهتز إزاءه في خطوط واتجاهات مختلفة، حتى تتدفق عليه الإحساسات، وقد أخذ بعضها برقـاب بعض، إحساسات تصور صلة الشاعر بالحدث في حقيقته الجزئية، وصلته به مـن خـلال حقائق الكون الشاملة." [١]

إذاً فالوحدة العضوية تعني الملاءمة بين أجزاء القصيدة و موضوعاتها، بعـد تحقيـق التوافق بين المتناقضات في البناء الشعري، تحقيقاً يقوم على أساس نفسي و روحي و مادي.

أما الوحدة الموضوعية للقصيدة فتعني أن " تتناول القصيدة موضـوعاً واحـداً و لا تتجاوزه إلى غيره من الموضوعات، وقد تكون عندها عضوية و قد لا تكون، فالمسألتان غير متلازمتين لكنهما مترادفتان، كأن تقتصر قصيدة ما على موضوع الغزل أو الفخر، أو الرثاء ..إلخ. و هذا أمر قديم الوجود في شعرنا فلا ننسى شعر الصـعاليك و لا الخمريـات ولا

---

[١] في النقد الأدبي. د.شوقي ضيف. القاهرة : دار المعارف. (ط٢) . (د .ت) .ص ١٥٣

الرّوميات، ووجودها في القصيدة يعتمد على السرد المعرفي، و التسلسل المنطقي للأفكار و المعلومات"[١] .

وبذلك تصبح القصيدة عملاً شعرياً تاماً، فهي ليست مجرد أفكار تُجمع من هنا و هناك، و إنما هي خبرة تامّة للشاعر بمجموعة من المشاعر و الأحاسيس من خلال موضوع معين من موضوعات الحياة.

الوحدة العضوية :

يقود البحث الباحثَ في خصائص شعر الثورات إلى النظر في مسألة وحدة القصيدة العضوية، والتي هي النتيجة المثلى لنشاط خيال الشاعر الفني. هذا الخيال هو الذي نظم وحدة القصيدة و أبدعها، كما نسق أجزاءها و رتبها ترتيباً عضوياً، و دونه تكون القصيدة آلية وناقصة في بنائها الفني، لأن " التركيبة التي يتعامل معها الشعر ليست آلية بل عضوية"[٢].

فهل حققت نصوص شعر الثورات الوحدة العضوية للقصيدة؟

بداية لابد من ذكر الملاحظة التي مفادها: أن الغريزة الرّوحية السامية لدى الإنسان تدفعه إلى البحث عن الوحدة، عن طريق التكيّف و الانسجام[٣] و الوحدة، هنا، تعني أن تكون أجزاء القصيدة و موضوعاتها متلائمة كي تصل إلى بناء فني متكامل عضويّاً.

" ويكون البناء الفنّي عضويّاً عندما ينبع من الذات، بدفق عاطفي و غنائي، وينمو هيكله من الداخل نمواً تدريجياً متماسكاً، بعيداً عن الحشو و التكرار معتمداً على عمق الجانب الوجداني، وعلى العلاقات المستمدة من المنطق الداخلي ذي الإحساس الصادق ضمن القصيدة، و يخلو بلاغ هذا البناء من الخطابية و التكلف"[٤].

[١] شعر أبي فراس الحمداني"دلالاته و خصائصه الفنية " د. عبد اللطيف عمران. ص ٢٦٨

[٢] النقد العربي : ويمزات، بروكس. ترجمة د.حسام الخطيب، محيي الدين صبحي. دمشق١٩٧٧م: ج ٤ / ص١٤٥

[٣] كولردج. " سيرة ذاتية " . د. محمد مصطفى بدوي. دار المعارف بمصر ١٩٥٨م : ص ١٧٩.

[٤] شعر أبي فراس الحمداني: د. عبد اللطيف عمران. ص ٢٦٢ .

ولعلّ ابن طباطبا العلويّ أبرز ناقد عربي أشار في نقده إلى ما يسمى اليوم بالوحدة العضوية ، ويعدّ كتابه " عيار الشّعر" مصدراً ثرّاً في النقد العضوي و الموضوعي فقد رأى فيه أنّ على الشاعر " أن يتأمل تأليف شعره و تنسيق أبياته و يقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها...فلا يباعد كلمة عن أختها ولا يحجز بينها و بين تمامها بحشو يشينها". [١]

كما أن الحاتمي يقول: " فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتّصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة.." [٢]

والآن ، ماذا عن شعر الثورات السياسية؟

تنقسم النصوص الشعرية التي بين أيدينا إلى قسمين : الأول هو المقطّعات الشعرية، وهي كثيرة ، والثاني هو القصائد الطويلة ، وهي محدودة. والذي يتبادر إلى الذّهن هنا أن المقطوعات تحقق الوحدة العضوية أكثر من القصائد الطويلة، و هذا الحكم ليس ثابتاً، لأننا نجد كثيراً من القصائد الطويلة في تراثنا الشعري قد تحقق فيها عنصر الوحدة العضوية، وهناك بعض المقطّعات التي جاءت مفككة و لم تحقق هذه الوحدة. [٣]

فإذا عدنا إلى نصوص شعر الثورات التي بين أيدينا و قرأنا قصيدة إبراهيم بن عبدالله ابن حسن ذات المطلع:

مَا ذِكْرُكَ الدِّمنةَ القِفَارَ و أَهْـ ـلُ الدَّارِ إمَّا نَأوْكَ أَوْ قَرُبُوا [٤]

---

[١] عيار الشعر : ابن طباطبا العلوي. تحقيق : طه الحاجري ، محمد زغلول سلام. القاهرة ١٩٦٥م.ص ١٢٤

[٢] حلية المحاضرة : الحاتمي . تحقيق : جعفر الكتاني. بغداد ١٩٧٩م: ج١/ ص ٢١٥.

[٣] للاطلاع على أمثلة ذلك راجع كتاب شعر أبي فراس الحمداني " دلالاته وخصائصه الفنية":د.عبداللطيف عمران: ص ٢٣٦ و ما بعدها.

[٤] الطبري: ج٨ / ص ٥٤٥ – ٥٤٦، مقاتل الطالبيين : ص ٢٢٨ – ٢٢٩

نلاحظ أن البذرة التي تتولد منها القصيدة هي موضوع التحسر، حيث يتمثل النمو الداخلي في تطور شعور الذات وتجربتها قياساً على علاقة الشاعر بالسّلطة العبّاسية، وأجزاء هذه القصيدة تتآلف تآلفاً وظيفياً مع القوّة المركزية لموضوعي الشكوى و التحسر، تلك القوة التي تشدّ إليها بقية أفكار القصيدة شدّاً تفاعليّاً، حتى عندما يفتخر بقومه نحسّ بروح الشكوى و التحسر تسري، فهو يقول:

يا حَلَقَ القَيْدِ مَا تَضَمَّنَ مِنْ ... حِلْمٍ وبِرٍّ يَشُوبُهُ حَسَبُ

وأُمَّهاتُ مِنَ العَوَاتِكِ أَخْ ... لصْنَكَ بِيضٌ عَقَائِلٌ عُرُبُ [1]

وكذلك في تهجمه على السلطة العبّاسية نشعر بروح العتاب والشكوى، فهو يقول:[2]

بُؤْساً لَهُمْ مَا جَنَتْ أَكفُّهُمُ ... وأَيَّ حَبْلٍ في أُمَّةٍ قَضَبُوا !

فالرؤية الشعرية، والنمط العاطفي والتشكيل الأسلوبي و الفكري واحد في أجزاء القصيدة جميعاً، ولاسيما وقوع الألفاظ في حقول دلالية متقاربة.

وفي قصيدة غالب بن عثمان الهمداني التي رثى فيها إبراهيم بن عبدالله بن حسن، التي يقول فيها:[3]

وقَتِيلُ بَاخَمْرَىٰ الَّذي ... نَادىٰ فَأَسْمَعَ كُلَّ شَاهِدْ

قَادَ الجُنُودَ إلى الجُنُو ... دِ تَزَحُّفَ الأُسْدِ الحَوارِدْ

---

(١) المصدران السابقان

(٢) المصدران السابقان.

(٣) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٤ — ٣٨٥

فإنه يتضح فيها الترابط العضوي بين أبياتها، إذ يُفضي كلّ بيت إلى الذي يليه حتى يكتمل البناء الفني للقصيدة، ويلاحظ الترابط الكبير بين أفكار القصيدة، فهو بعد أن وصف قتال إبراهيم وبلائه في المعركة " باخمرى "، انتقل إلى الفخر بإبراهيم، فهو يقول:[١]

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ صَرِيـ ... ـعٍ غَيرِ ممهُودِ الوَسَائِدْ

أَيُّ امرِئٍ ظَفِرَتْ بِهِ ... أَبْنَاءُ أَبْنَاءُ الولائِدْ

ثم يبين أثر مقتل إبراهيم على الناس و الدين و الشعائر المقدسة، فالقوة المركزية في القصيدة هي الرثاء، تعمل على شد بقية أفكار القصيدة إليها شداً تفاعلياً.

أما قصيدة القاسم بن إبراهيم التي يرثي فيها أخاه " ابن طاطبا "، قائد إحدى الثورات، والتي يقول فيها: [٢]

يَا دارُ دارَ غُرورٍ لا وَفَاءَ لَهَا ... حَيْثُ الحَوَادِثُ بالمكْروهِ تَسْتَبِقُ

أَبْرَحْتِ أَهْلَكِ مِنْ كَدٍّ و مِنْ أَسَفٍ ... بمشْرَعٍ شربُهُ التَّصْدِيرُ و الرَّنَقُ

فإنه بدأها بذم الدنيا لأنها متقلبة وخائنة، ثم انتقل بشكل سلس ولطيف إلى الحديث عن أخيه في قبره، فيقول:[٣]

قُلْ لِلْقُبورِ إذَا مَا جِئْتَ زَائِرهَا ... وهُلْ يُزارَ تُرابُ البَلْقَعِ الخَلِقِ؟

مَاذا تضَمَّنْتَ يا ذَا اللَّحْدِ منْ مَلِكٍ ... لم يحمِهِ منْكَ عِقْيَان ولا وَرِقُ

إننا نجد في هذه القصيدة الترابط العضويّ في أقوى حالاته، فكأن القصيدة جسد اتصلت أطرافه بعضها بالبعض الآخر. وهنا تظهر مصداقية قول الحاتمي:" فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة...."[٤]

---

[١] المصدر السابق .

[٢] المصدر السابق : ص ٥٥٣ – ٥٥٤

[٣] المصدر السابق : ص ٥٥٤ .

[٤] حلية المحاضرة: الحاتمي : ج١/ ص٢١٥ .

ويبدو أن موضوع الرثاء ومايحمله من مشاعر نفسية عميقة، تجعل الحزن يتعمق في نفوس سامعيه، يبدو أنه يساعد في تحقيق وحدة عضوية في قصيدة الرثاء، ويجب ألا ننسى أن هذا الرثاء " هو في ظاهره رثاء و في حقيقته استنفار وصراخ واستنجاد بأفراد الأمة كي يردوا الخلافة من العبّاسيّين إلى العلويين مستحقيها الذين طالما سُفكت دماؤهم الزكية."[1]

وهنا نقف على قصيدة الشاعر أحمد بن طاهر التي يرثي فيها يحيى بن عمرالطالبي، وفيها يقول:[2]

سَلامٌ عَلى الإِسْلامِ فَهْوَ مُوَدِّعٌ   إِذَا مَا مَضَى آلُ النَّبِيِّ فودَّعُوا

فَقَدْنَا العُلا والمجْدَ عِنْدَ افتِقَادِهِمْ   وأَضْحَتْ عُرُوشُ المكرُمَاتِ تَضَعْضَعُ

نجد في هذه القصيدة أثر العاطفة في إبداع الشكل العضوي، حيث تنبع من باطن العمل الفني ذاته، ولا تفرض عليه من الخارج، وفيها تحدد العناصر المكونة عضوياً، وتتغلغل الفكرة نفسها " الحزن والألم" في أبيات القصيدة كلها لتجعلها متحدة عضوياً، وليس أدل على فيضان هذه العاطفة من البيت الذي يقول فيه:[3]

أَلَمْ تَرَ آلَ المصطفىَ كيفَ تَصْطَفِي   نفوسَهُمْ أُمُّ المنونِ فتتبَعُ

ولعلّ أهم مرثية قيلت في يحيى بن عمر الطالبي هي قصيدة ابن الرومي التي يقول في مطلعها:

أَمَامَكَ فانظُرْ أيَّ نَهجَيْكَ تَنْهَجُ؟   طَرِيقَانِ شَتَّى: مُسْتَقِيمٌ وأَعْوَجُ[4]

هذه القصيدة التي بدأها ابن الرومي بداية مختلفة عن بدايات القصيدة العربية التقليدية، حيث نشر رؤيته الشعرية في جميع أجزائها، وابتعد عن العلاقات المستعارة من خارج

---

[1] الشعر و طوابعه الشعبية على مر العصور. د.شوقي ضيف : ص ١٠٨.

[2] مروج الذهب : ج٤ / ١٤٨-١٤٩ .

[3] المصدر السابق.

[4] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص ٢٣

القصيدة، إذ يجعل الحزن المتعمق في نفس الشاعر أفكار القصيدة تتآلف وتتوافق لتبقى في محيط هذا المجال الشعوريّ، فهو يقول : [١]

أَيَحيى العُلا لهفي لِـذِكْراكَ لهفةً ... يُباشِرُ مَكواهَا الفُؤادُ فيَنْضجُ

أذمَّ إليكَ العَيْنَ إنَّ دُمُوعَهَا ... تَداعىُ بِنَارِ الحُزْنِ حِيْنَ تَوَهَّجُ

إن العلاقات الموجودة ضمن القصيدة هي علاقات الشاعر بالطالبيين من جهة، وبالسلطة العباسيّة من جهة ثانية، تلك العلاقات التي تمثل أقساماً أساسية في القصيدة، يصل ما بينها تلطف الانتقال من قسم إلى آخر، ويُفضي فيها كل غرض إلى الغرض الآخر بعلاقة مركزية هي واقع الحال بين يحيى بن عمر والسلطة العباسيّة. ويبدو هذا الانتقال اللطيف واضحاً في هذين البيتين اللذين يمثل الأول منهما نهاية القسم الذي يتحدث فيه عن حزنه على يحيى، بينما يكون البيت الثاني بداية القسم الذي يحاور فيه الشاعر السلطة العباسيّة. فهو يقول : [٢]

عَفَاءٌ عَلَىَ دَارٍ ظَعَنْتَ لِغَيرِهَا ... فليسَ بهَا للصَّالِحِينَ مُعَرَّجُ

أَلاَ أيُّهَا المستبشِرُونَ بيومِهِ ... أَظَلَّتْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ لا تُفَرَّجُ

والقصيدة بذلك كله تجربة شعرية تامّة تنمو فيها وحدة عضوية كاملة، فقد جعلها الشاعر أقساماً : قسم بدأ فيه فتحدّث عن أئمة العلويين المقتولين منذ الحسين شهيدهم الأوّل في كربلاء وصولاً إلى يحيى بن عمر، وقسم خاطب فيه العباسيين وعنفهم عنفاً شديداً، وقسم توعد فيه العباسيين بثائر علوي جديد يَردّ الأمر إلى نصابه. وليس من الممكن أن ينتقل قسم من موضعه، أو ينتقل بيت من مكانه، فإن القصيدة وحدة تامّة أو نسيج تام لا يمكن جذب خيط منه دون أن يختل نظامه، بل هي بنية عضوية نامية، فأجزاؤها تتتابع متسلسلة متلاحقة، قد تركّب بعضها فوق بعض.

---

[١] المصدر السابق : ج٢/ص ٢٤-٢٥

[٢] المصدر السابق : ج٢/ ص ٢٥

أما قصيدة الفارعة بنت طريف التي ترثي فيها أخاها الوليد بن طريف، قائد أكبر ثورة للخوارج في العراق في هذه الفترة، و التي تقول في بدايتها:[١]

بِتَـلِّ نُهَـاكَىٰ رَسْـمُ قَـبْرٍ كَأَنَّـهُ عَلَىٰ جَبَـلٍ فَـوْقَ الجِبَـالِ مُنِيْـفِ
تَضَـمَّنَ مَجْـدَاً عُـدْمُلِيّاً وسُـؤْدُدَاً وهِمَّـةَ مِقْـدامٍ ورَأْيَ حَصِـيفِ

فإن حرارة العاطفة التي تسيطر عليها، وعمقها جعلت أبياتها كحبات العقد، إذا انتزعت منه حبّة فرط العقد وذهب جماله.

إن هول الفجيعة وعمق الحزن عند الفارعة جعلها تطلب من الدنيا كلها أن تحزن لقتل أخيها الوليد، إنه يستحق الحزن عليه، فهو بطل كريم يتحلى بأنبل الصفات. تقول:[٢]

فَيَا شَجَرَ الخَـابورِ مَالَـكَ مُورِقَـاً كَأَنَّكَ لمْ تجزعْ علىٰ ابـنِ طَرِيـفِ
فَتىً لا يُحبُّ الـزَّادَ إِلاّ مِـنَ التُّقَـىٰ ولا المَالَ إِلاّ مِـنْ قَنَـاً و سُـيُوفِ

لقد تخلت الفارعة عن المقدمات الطويلة، ودخلت إلى موضوعها مباشرة، فصارت أبيات النص جميعها قوة مركزية تتجه إلى الغاية نفسها، وهي موضوع القصيدة الذي يظهر من البيت الأول، وتقع القصيدة في ثمانية عشر بيتاً ختامها :

عَلَيـهِ سَـلامُ اللهِ وَقْفَـاً فَـإِنَّنِي أَرَىٰ الموتَ وَقَّاعاً بِكُلِّ شَـرِيفِ[٣]

لا يخرج فيها أي بيت عن عالم الشعور الداخلي للشاعرة، و عن المنطق الشعري للقصيدة، وكل شيء فيها يتلون بألوان نفس الشاعرة.

هذه الوحدة العضوية التفاعلية التي آلفت بين العناصر بواسطة الخيال الشعري القادر على تذويب المتناقضات و توحيدها لم تتحقق في قصائد شعر الثورات كافة، فقد ظهرت وحدة تجميعية في بعض القصائد، تقوم على انتقال غير متسلسل منطقياً بين أقسام القصيدة،

---

[١] وفيات الأعيان: ج٥/ص٨٥-٨٦ ،الكامل: ج٥/ص٩٨-٩٩ ،الأغاني: ج١٢/ص٨٥ - ٨٦

[٢] المصادر السابقة.

[٣] المصادر السابقة.

وهذا ما نشاهده في قصيدة الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي التي يمدح فيها الموفق إثر انتصاره على ثورة يعقوب الصّفّار، والتي يقول فيها : [١]

نَعَبَ الغُرَابُ عَدِمتُهُ مِنْ نَاعِبِ ... وَصَبَا فُؤَادِي لادِّكَارِ حَبَائِبِي

نَادَىٰ ببينِهِمُ فَحَادَتْ مُقْلَتِي ... لزِيَالِ أَرْحُلِهِم بِدَمْعٍ سَاكِبِ

حيث ينتقل الشاعر من موضوع إلى آخر، ومن فقرة إلى أخرى انتقالاً لا يخلو من الحشو و التكرار، و تبتعد ولادة القصيدة عن التوالد الداخلي المنطلق من قوة مركزية تسود صبغتها أجزاء القصيدة جميعاً. ولا يخرج هذا عما استحسنه الذوق العربي القديم، فقد كان هذا الانتقال مألوفاً في أكثر قصائد الشعر العربي القديم فجعله حازم القرطاجني ضرورة نفسية في بنية القصيدة حين قال: إن " النفوس تحبّ الافتنان في مذاهب الكلام، وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ليتجدّد نشاطها..." [٢]

و تقع القصيدة في واحد وعشرين بيتاً، موضوعاتها " مقدمة الغزل و الأطلال- مدح الموفق- ذكر الصّفّار وجيشه- وصف جيش الموفق- مدح الموفق "، حيث يقول في نهاية القصيدة : [٣]

يَا فارِسَ العَرَبِ الذِي مَا مِثلُهُ ... في النَّاسِ يُعرَفُ آخَرٌ لنوائِبِ

مِنْ فَادحِ الزَّمنِ العَضُوضِ و مِنْ لُقَا ... جَيشٍ لذِي غَدْرٍ خَؤُونٍ غَاصِبِ

والعلاقة بين هذه الموضوعات غير وظيفية، و لا تفاعلية، إنما استطراد و تكرار و تداع غير منظم، و لا مسوغ لوجودها على هذا الشكل سوى ما ذهب إليه القرطاجني آنفاً. و مثل هذا النمط من البناء يقل وجوده عند شاعر مطبوع، ينظم ما تضطره إلى نُظمه عواطفه و انفعالات نفسه التي تتطلع دائما إلى وحدة عضوية تقيمها عبقرية التخيّل، و التوفيق بين الصور و أنماط الواقع.

---

[١] الطبري: ج٩/ ص٥١٩-٥٢٠

[٢] منهاج البلغاء وسراج الأدباء،حازم القرطاجني،تحقيق: محمدالحبيب ابن الخوجة،بيروت:دار الغرب الإسلامي،ط٢/١٩٨١م،ص٣٦١

[٣] الطبري: ج٩/ص٥٢٠.

إن الشعراء الكبار من أمثال ابن الرومي و مسلم بن الوليد وابن المعتز تميزت قصائدهم التي قيلت في سياق الثورات السياسية، بتلاحم البناء، وانسجام التشكيلات الفنية مع الأغراض و الموضوعات في القصيدة بحيث تغدو بناءً متناسق الأجزاء يسيطرعلى تكوينه الشكلي و المضموني روح واحدة، فتنتظم أبياتها في مسار واحد لا تعدد فيه و لا اضطراب.

الوحدة الموضوعية :

سبق و أن ذكرت أن الوحدة الموضوعية تعني أن تتناول القصيدة موضوعاً واحداً و لا تتجاوزه إلى غيره من الموضوعات، كأن تقتصر على موضوع الغزل، أو المدح أو الرثاء ... إلخ وهذا يؤدي إلى الاهتمام بالمضمون على حساب الشكل، وإلى وجود الخيال المحدود، و الإحساس المقبوض في كثير من الأحيان ، إلا في لحظات الإبداع التي لا تخضع للتعريفات والقوانين، لكنها ميزة ليست شائنة في الشعر، ولاسيما حيث لا تكون مقصودة لذاتها، ولا تنحو منحى علمياً أو إخبارياً، فالشعر تعبير عن شعور يمتزج فيه الوعي باللاوعي، والخيال بالحقيقة، والوحدة بالتعدد، و لهذا تنسجم جمالياً و معرفياً مع القصيدة ذات الموضوعات المتعددة لأن " النفوس تحب الافتنان في مذاهب الكلام وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ليتجدد نشاطها."[1]

إلا أن أغلب شعراء الثورات، و بخاصة الفحول منهم، خرجوا بإبداعهم من أسر هذه التعريفات و جعلوا من وحدة الموضوع قصائد ذات خيال غني، وفكر خصب متعدد الجوانب، ووفروا في أغلب الأحيان لقصائدهم الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية.

ففي قصيدة الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي التي يمدح فيها الموفق إثر انتصاره على ثورة الزنج، و التي يقول فيها: [2]

أَقُولُ وَ قَدْ جَاءَ البشِيرُ بِوقْعَةٍ	أَعزَّتْ مِنَ الإسلامِ مَا كَانَ وَاهِيَا
جَزَىٰ اللهُ خيرَ النَّاسِ للنَّاسِ بعدَمَا	أُبيحَ حِمَاهُمْ خَيرَ مَا كَانَ جَازِيَا

---

[1] منهاج البلغاء،للقرطاجي،ص٣٦١.

[2] الطبري: ج٩/٦٦٣--٦٦٤، الكامل: ج٦/ص٥٣- ٥٤

في هذه القصيدة تتجلى وحدة الموضوع، فقد بدأها الشاعر بمدح الموّفق، و راح يعدد الإنجازات التي حققها الموفق إثر انتصاره على الزّنج، فهو قد أعاد للدين قوته، وثبت قواعد الملك و أعاد إعمار المدن التي خربها الزنج، وشفى صدور المؤمنين منهم، وأعاد الحياة الطبيعية إلى المناطق التي كانت مسرحاً للعمليات العسكرية أثناء قتاله مع الزنج، فهو يقول:(١)

و يَرجعَ أَمْصارٌ أُبيْحَتْ و أُحْرِقَتْ مِرَاراً فقَدْ أَمْسَتْ قِوَاءً عَوَافِيَا
ويُشْفِي صُدُورَ المُؤْمنينَ بوقْعَةٍ يقِرُّ بهَا منَّا العيُونَ البَواكِيَا

كما يلاحظ أن معظم مقطوعات صاحب الزنج الشعرية قد حققت الوحدة الموضوعية، إذ كان شاعراً مطبوعاً، هيجت تجربته عواطفه، فجعلته يعبر عن ذلك تعبيراً جميلاً يرفع من مستوى شعره. ففي قصيدته التي يتحدث فيها عن نفسه، ويبين أسلوبه في الحياة، والتي يقول فيها:(٢)

أَسْمِعَانِي الصِّيَاحَ بِالإِمْلِيسِ وصِيَاحِ العَيْرَانَةِ العيطَمُوسِ
واتْرُكَانِي مِنْ قَرْعِ مُزْهِرِ رَيَّا واختِلافِ الكُؤُوسِ بالخَنْدَرِيسِ

يعبر عن سلوكه في حياته، إذ هو ليس من الذين يحبون مجالس الشرب و الغناء، ولكنه من الذين تتطلع نفوسهم إلى معالي الأمور، و يرون أن ذلك لا يتحقق إلا بالجد و العمل، لا بالغناء و اللهو. يقول :(٣)

ليسَ تُبْنَى العُلاَ بِذَاكَ و هَذا لكِنِ الضَّرْبُ عِنْدَ أَزْمِ الضُّرُوسِ
عَيَفَتْ عَنْ كُلِّ اللَّبَانَاتِ نَفْسِي وَسَمَتْ نحوَ غَيرِ ذَاكَ حُدُوسِي

إن هذه القصيدة اتسمت بوحدة الموضوع، فلا مقدمات طللية أو غزلية ولا وصف للرحلة، و إنما تعبير مباشر عن الموضوع الأساسي في القصيدة و هو موضوع وصف الذات. و مثل هذه القصيدة قصيدته التي يصف فيها نفسه مفتخراً والتي يقول فيها:

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) ذيل زهر الآداب:ص١٥٦.

(٣) المصدر السابق.

مَا تُغَطِّي عَسَاكِرُ اللَّيْلِ مِنِّي   مَا تُجَلِّي مَضَاحِكُ الصُّبْحِ عَنِّي

جِسْمُ سَيْفٍ فِي جَوْفِ غِمْدِ ثِيَابٍ   صَدْرُ إِنْسٍ مِنْ تَحْتِهِ قَلْبُ جِنِّي

فهو في هذه القصيدة يسير بتسلسل منطقي في وصف نفسه، فبعد أن يصف جسمه ينتقل إلى الداخل فيصف نفسه و يحدّد مقدار همّته، ثم يأتي إلى الفخر ببطولاته، لينتهي إلى رؤية نفسه بأنّه لا مثيل له، وأنّه وحيد زمانه الذي يُدرِكُ الأخْذَ من كلّ فن بطرف، وأنّه فيلسوف زمانه، إذ يقول : [1]

أَنَا رَوْضُ الرَّبِيعِ فِي كُلِّ زَهْرٍ   فَيلسَوفُ الزَّمَانِ فِي كُلِّ فَنِّ

و الملاحظ أن أبيات هذه القصيدة جميعها تآلفت لتعبر عن موضوع واحد هو وصف الذات و الفخر بها، حيث تسلسلت أبياتها لترسم صورة أراد الشاعر أن يشكلها بخياله الفني، فجاءت واضحة معبرة.

كما يلاحظ أن بعض الشعراء استخدموا النسيب في مطلع قصائد المدح، وليس في هذا ما يحطم وحدة موضوع القصيدة، فالنسيب محرّض شعري لا ينفصل عن حياة الشعر و الشعراء، وهذا ما أكده الحاتمي حين قال : " من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممتزجاً بما بعده من مدح أو ذم أو غيرهما، غيرمنفصل عنه"[2]

و مثال هذا قصيدة الشاعر يحيى بن محمد التي يمدح فيها الموفق إثر انتصاره على ثورة الزنج، والتي يقول فيها : [3]

عَنِّي اشتغالُكِ إِنِّي عنكِ فِي شَغَلِ   لا تَعْذِلِي مَنْ بِهِ وَقْرٌ عَنِ العَذَلِ

لا تعذِلِي في ارتِحَالي إِنَّنِي رَجُلٌ   وَقْفٌ عَلى الشَّدِّ و الأَسْفَارِ و الرِّحَلِ

فقد بدأ الشاعر قصيدته بهذه المقدمة الغزلية ثم انتقل بعدها إلى مدح الموفق، و هذا الأمر لم يؤثر على وحدة القصيدة الموضوعية.

(1) المصدر السابق:ص١٥٥.

(2) حلية المحاضرة.للحاتمي: ج٢/٢١٥.

(3) الطبري: ج٩/ص٦٦٥،الكامل: ج٦/ص٥٤- ٥٥

و تعبر قصيدة ابن الرومي التي رثى فيها البصرة إثر دخـــــول الزنج إليها و تخريبهـــا و إحراقها، تعبر عن وحدة الموضوع رغم تنوع الأفكار التي تسودها. فهويرسم في فواتحها ما أنزل الزنج بالبصرة من العسف و الخسف و إشعالهم النيران بها. فيقول:[1]

ذَادَ عَـنْ مقلَـتِي لذيـذَ المنـامِ ... شـغلُها عنـهُ بالـدُّمُوعِ السِّجَامِ

أيُّ نَومٍ مِنْ بَعدِ مَا حَـلَّ بالبصْـ ... ـرَةِ مِنْ تِلكُـمُ الهنَـاتِ العِظـامِ؟

بينمَـا أَهْلُـهَا بِأحْسَـنِ حَـالٍ ... إذْ رمَـاهُمْ عبيـدُهُمْ باصْـطِلامِ

دَخلُوهَـا كَـأنَّهم قِطَـعُ الليْـ ... ـلِ إذا راحَ مُـدْلهمُّ الظّـلامِ

ثم ينتقل إلى وصف القتلى الذين خلّفهم الزنج، ويصف أيضاً النساء المسبيّات علـى أيدي الزنج وكيف أصبحْن إماءً يبعْن في الأسواق. يقول: [2]

كَـمْ أخٍ قَـدْ رَأى أخَـاهُ صَـرِيعاً ... تَرِبَ الخَدِّ بـينَ صَـرْعَى كِـرام؟

كَـمْ أَبٍ قَـدْ رَأى عَزيـزَ بنيـهِ ... وهْـوَ يُعلَـى بصَـارمٍ صَمْصَـامِ؟

كَـمْ فتَـاةٍ بخَـاتَمِ اللهِ بِكْـرٍ ... فضَحُوهَا جَهْـراً بِغَـيرِ اكتِتَـامِ؟

كَـمْ فتَـاةٍ مَصُـونَةٍ قَـدْ سَـبَوهَا ... بَـارِزاً وجهُهَـا بِغَـيرِ لثَـامِ؟

مَـنْ رَآهُـنَّ في المسَـاقِ سَـبَايا ... داميـاتِ الوجـوهِ للأقْـدامِ

مَـنْ رآهُـنَّ يُتَّخـذْنَ إمَـاءً ... بَعْـدَ مُلْـكِ الإمَـاءِ و الخُـدَّامِ

ثم يتساءل ابن الرومي عن أسواق البصرة الجميلة، وعن حركتها التّجارية العـامرة، و عن قصورها الجميلة التي حولها الزّنج إلى ركام و رماد. يقول : [3]

أيْنَ ضَوْضَـاءُ ذلِـكَ الخَلْـقِ فيهَـا ... أيْـنَ أسْـواقُهُا ذواتُ الزِّحَـامِ؟

أيْـنَ فُلْـكٌ فِيهَـا و فُلْـكٌ إليهَـا ... منشـآتٌ في البَحْـرِ كَـالأعْلامِ؟

أينَ تِلكَ القُصُـورُ و الـدُّورُ فِيهَـا ... أيـنَ ذاكَ البُنْيَـانُ ذُو الإحْكَـامِ؟

بُـدِّلتْ تِلكُـمُ القُصُـورُ تِـلالاً ... مِنْ رَمَـادٍ و مِـنْ تُـرابٍ رُكَـامِ

---

[1] ديوان ابن الرومي: ج٦/ص١٣١- ١٣٢

[2] ديوان ابن الرومي: ج٦/ص١٣٢-١٣٣.

[3] المصدر السابق: ج٦/ص١٣٤.

ثم يستصرخ ابن الرومي الشعب في بغداد وغيرها لإغاثة البصرة و نجدها واستنقاذها من الزّنج و فظائعهم، و يرفع للناس شعارات الجهاد الديني، ويناديهم باسم الإسلام والرسول الكريم أن يردّوا عدوان الزّنج الأثيم .

يقول : [١]

أَيُّ عُــذْرٍ لنَـا وأيُّ جَـوابٍ	حِينَ نُـدعَىٰ علـى رُؤُوسِ الأَنَـامِ
يَا عِبادِي : أَمَـا غَضِـبْتُم لِـوَجْهِي	ذِي الجَـلالِ العَظِـيْمِ و الإِكْـرَامِ؟
واحيـائي مِـنَ الـنَّبِيِّ إذَا مَـا	لامَـني فِـيهِمُ أَشَـدَّ المَـلامِ
مَثَّلُـوا قولَـه لكُـمْ أَيُّهـا النَّـا	سُ إذَا لامَكُـمْ مَـعَ اللُّـوَامِ
أُمَّـتِي أَيْـنَ كنْـتُمْ إِذْ دعـتْنِي	حُـرَّةٌ مِـنْ كَـرائِمِ الأَقْـوامِ
انفِـرُوا أَيُّهَـا الكِـرَامُ خِفَافـاً	وثِقَـالاً إلىٰ العَبِيـدِ الطَّغَـامِ

حقيقة، إن قصيدة ابن الرومي السالفة قد مثّلت نموذجاً فنياً و جمالياً رائعـاً لـيس في شعره فحسب، بل في الشعر العربي: بنية و دلالة. فقد تجلّت فيها القيم الجمالية و المعرفية : للبنى اللغوية و للصورة الشعرية، وللخيال، وكذلك لدرجات الإيقاع الشعري، موفرة بهذا وحدة البنيان الشعري، وانتظامه على أساس تحقيق الانسجام بين الوحدة و التنوع، بعيداً عن التصنّع و التكلّف.

ثانياً : الخيال و الصورة الشعرية:

الخيال :

إنّ النشاط الخيالي عند الشاعر أساس إبداعه، فهو دلالة غير مرئية لها بعدان: زماني و مكاني، شأنها في هذا شأن أي عنصر من عناصر التشكيل الشعري.

و " الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها مـن الهواء، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزلها عقولهم و تظـلّ كامنـة في

[١] المصدر السابق: ج٦/ص١٣٥- ١٣٦.

مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها، صورة تصبح لهم، لأنها من عملهم و خلقهم.[1]

لقد استمدّ معظم شعراء العربية عناصر خيالهم من معطيات الواقع المجردة و المحسوسة، لكن الحسّية كانت السمة الأهم في نشاطاتهم الخيالية، وهذه من ميزات النشاط الخيالي عند الشاعر، وقد ذكر حازم القرطاجني فقال : " التخييل لا يمكن أن يكون تخييلاً إلاّ إذا اتسم بصفة الحسّية ".[2]

وقديماً ارتكز النقد الشعري على عنصر الخيال فكان " الشعر عند أغلب نقّاد القرن الرابع يرجع إلى الخيال " .[3] كما أن النقاد المفكرين رأوا أن " الشعر لا يتم إلا بمقدمات مخيِّلة، ووزن ذي إيقاع مناسب، ليكون أسرع تأثيراً في النفوس".[4]

و في هذا إشارة إلى الفعالية النفسية للإبداع الخيالي.

لذلك، فإن الخيال يمكننا من معرفة واقع شعراء الثورات التي درسناها، بمظاهره المتعددة، معتمدين على خيالاتهم الشعرية، التي تبدع صوراً حسيّة، تؤثر في عاطفة المتلقي تأثيراً جمالياً و معرفياً.

لنلاحظ قول صاحب الزّنج الآتي الذي ينقلنا الخيال فيه إلى بنية المجتمع الزّنجي، إن صحّت التسمية، ويعلمنا بنمط تكوين أفراده إعلاماً يعتمد على الخيال، فهو يقول:[5]

لقَدْ عَلِمَتْ هَاشِمٌ أنّنَا ... صِبَاحُ الوجُوهِ غَدَاةَ الصِّيَاحْ
نَسُوقُ السُّيُوفَ بدَفْعِ الحتُوفِ ... وَنَنْكِي الجِرَاحَ بِكَفِّ الجِرَاحْ

---

[1] في النقد الأدبي.د.شوقي ضيف:ص١٦٧.

[2] منهاج البلغاء.للقرطاجني:ص٣٠.

[3] نقد الشّعر في القرن الرابع الهجري.د.قاسم مومني.القاهرة١٩٨٢م.ص٢٣٢.

[4] المجموع،أو الحكمةالعروضية من كتابه معاني الشعر.ابن سينا.تحقيق:محمد سليم سالم،القاهرة١٩٦٩م.ص٢٠

[5] ذيل زهر الآداب:ص١٥٥.

و قد أسهم الخيال عند صاحب الزّنج كثيراً في إظهار سمات واقعه، فعرض لنا تجربته الذاتية و الاجتماعية عرضاً خيالياً، ففي المنحى الذاتي عرّفنا على بنيته النفسية تعريفاً جمالياً حين صوّر جسمه على هيئة سيف يغمد في الثياب، فهو يقول :[١]

صَدْرُ إِنْسٍ مِنْ تحتِهِ قَلْبُ جِنِّ ... جِسْمُ سَيْفٍ فِي جَوْفِ غِمْدِ ثِيَابِ

وفي المنحى الاجتماعي، أسعف الشاعر خياله في تبيين منهج الزّنج الاجتماعي، فهم لا يتعاملون مع الملوك إلا من خلال السيوف. يقول :[٢]

وَ إِنّا لَتَصْبِحُ أَسْيَافُنَا ... إِذَا مَا اصْطَبَحْنَا بيومٍ سَفُوكِ

مَنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الأَكُفِّ ... وأَغْمَادُهُنَّ رؤوسُ الملُوكِ

أمّا ابن الرومي فقد تمكن خياله الشعري الخصب من أن يرسم لنا واقع وزارة ممدوحه صاعد بن مَخْلَد، فيجعلنا نحلّق ذهنياً بجناحي خياله لنقف على واقع مجسّد، وموجود. يقول:[٣]

فَلَمَّا تَوَلَّى الأَمْرَ، نُكِّرَ مُنْكَرٌ ... وعُرِّفَ مَعْرُوفٌ و أُصْلِحَ مُفسَدُ

وَأَصْبَحَ شَمْلُ النَّاسِ وَهْوَ مُؤَلَّفٌ ... وَعَهْدِي بِشَمْلِ النَّاسِ وَهْوَ مُبَدَّدُ

حَمَاهُمْ وَ أَفْشَى العُرْفَ فِيْهِمْ فَكُلُّهُمْ ... مِنَ الشَرِّ مَمْنُوعٌ مِنَ الخَيرِ مُمَجَّدُ

فَأَضْحَوا وَ مَا فِي رَاحَةِ الموتِ مَرْغَبٌ ... لحيٍّ، ولا في لَذَّةِ العَيْشِ مَزْهَدُ

واستطاع ابن الرومي في هذه القصيدة أن يحلّق بخياله، وذلك عندما شبّه علاقة صاعد ابن مَخْلد مع الموفق بعلاقة العين مع المرود، فقد كان خياله قادراً" على إيجاد التناغم و التوافق بين العناصر المتباعدة و المتنافرة داخل التجربة" [٤]. فهو يقول :[٥]

---

[١] المصدر السابق.

[٢] المصدر السابق:ص١٥٦.

[٤] ديوان ابن الرومي: ج٢/ص١١٧.

[٤] الصورة الفنية في التراث النّقدي،د.جابر عصفور.(ط٢).بيروت١٩٨٣م.ص١٣

[٥] ديوان ابن الرومي :ج٢/ص١٢٣.

أَمَا لَئِنِ اسْتَبْطَنْتَهُ دُونَ مَنْ دَنَتْ إليكَ بهِ القُربَى و هَنْبَثَ حُسَّدُ[1]

لَكُمْ داخلٍ بينَ الخَصِيمَينِ مُصْلِحٍ كَمَا انغلَّ بينَ العَيْنِ و الجفْنِ مِرْوَدُ[2]

تَرَى العَيْنَ والمْلمُولَ يَبْطُنُ جَفْنَهَا إِذَا مَا غَدَا إنسانُهُ و هْوَ أَرْمَدُ[3]

تَشَكَّى فَلا يُجْدِي عَلِيْهَا لَصِيْقُهَا فتُدنِي الذي يُجدِي و قُربَاه أبْعَدُ

افتنّ ابن الرومي في عرض تجربته، واستعمل خياله استعمالاً لا يعتمد كثيراً على العلاقات الصورية في بنى النص، لكن التصوير و الخيال يطفحان في هذه القصيدة بسبب السبك الفني غير المعقد، والسياق الملائم لحركة النفس. فالخيال ليس وقفاً على أنماط التشبيه و الاستعارة و المجاز، بل إن فنيّة النظم تخلق نشاطاً مخيّلاً له سماته الخاصة، وقد رأى الجرجاني تحقق الخيال على هذه الصورة، فقال: " وجملة الحديث الذي أريده بالتخيل ههنا، ما يُثبت فيه الشاعر أمراً غير ثابت أصلاً، ويدعي دعوة لا طريق إلى تحصيلها، و يقول قولاً يخدعُ فيه نفسه و يريها ما لا ترى..."[4] .

وللخيال مراتب أو درجات، و تعددها دليل على عبقرية الشاعر، و على حسن توظيفه أحاسيسه و شعوره، فلننظر في مراتب خيال شعراء الثورات !

أ- الخيال الحسي: وفيه لا يتجاوز تفكير الشاعر الواقع المحسوس، بل يبقى ملتصقاً بالمرئيات ينطلق منها ليعود إليها، فتكون طاقة التخييل ضعيفة، ولاسيما إذا لم تقترن بتقنية تصويرية تقوم على تحقيق التوافق بين عناصر متباعدة و مثاله قول أحد الشعراء الذين رثوا يحيى بن عمر الطّالبي، قائد إحدى ثورات الطّالبيين حيث يقول :

بَكَتِ الخَيلُ شَجْوَهَا بَعْدَ يَحْيَى وبَكَاهُ المهنّدُ المصْقُولُ

وبكَتْهُ العِرَاقُ شَرقاً و غَرْباً وبَكَاهُ الكِتَابُ و التّنْزِيلُ[5]

---

[1] الهنبثة:الاختلاط في القول. (ديوان ابن الرومي :ج٢/ص١٢٣).

[2] المرود:الميل يكتمل به. (ديوان ابن الرومي :ج٢/ص١٢٣).

[3] المملول:المرود الذي يكتحل به. إنسان العين:سوادها.(ديوان ابن الرومي :ج٢/ص١٢٣).

[4] أسرارالبلاغة.عبد القاهر الجرجاني.تحقيق محمد رشيد رضا.القاهرة- ١٣٢٠ هـ. ص٢٥٣.

[5] مروج الذّهب:ج٤/ص١٤٩-١٥٠،الكامل:ج٥/ص٣١٥- ٣١٦.

ب- **الخيال المجرد** : وفيه يرتقي تفكير الشاعر فوق المحسوس، وينطلق نحو عوالم غير مرئية، يتجوّل في ميادينها، ويقيم علاقات واسعة ذات بنى مقتضبة بين أمور مجردة، تسهم هذه العلاقات في تقريب المجرد من الإدراك المعرفي و الجمالي حين ينجح النشاط التخييلي المتبادل بين المتلقي والمبدع في تحقيق انسجام نفسي.

ومثاله قول الشاعر أحمد بن طاهر: (١)

فَقَدْنَا العُلا و المجدَ عنـدَ افتقـادِهِمْ   و أَضْحَتْ عُرُوشُ المكْرُمَاتِ تَضَعْضَعُ

وكقول يحيى بن خالد (٢)

أطفأتَ نِيرانَ النّفـاقِ وقَـدْ عَلَـتْ   يـا وَاهِـبَ الآمَـالِ و الآجَـالِ

أَمْطَـرْتَهُمْ عَزَمَـاتِ رَأْيٍ حَـازِمٍ   مَـلأَتْ قُلُـوبَهُمْ مِـنَ الأَهْـوَالِ

جـ- **الخيال التّقليدي**: وقد يكون هذا الخيال مجرّداً أو محسوساً، فأهميته غير نابعة من طبيعته بقدر ما هي نابعة من مسألتي الاقتباس أو الابتكار. و فيه يطلق الشاعر عنان أفكاره إلى ميادين مألوفة، وصور معهودة، ينتقي منها ما يشاء ويعود ليقدم ما ليس بغريب. و مثاله قول الفارعة بنت طريف، أخت الوليد بن طريف الشاري، قائد إحدى ثورات الخوارج، حيث تقول : (٣)

ولِلبدْرِ مِنْ بَينِ الكَواكِبِ إذْ هَـوَى   و للشَّمْسِ لما أَزْمَعَـتْ بِكُسُـوفِ

ولِلَّيْـثِ كُـلَّ اللَّيْـثِ إذْ يحمِلُونَـهُ   إلى حُفْـرَةٍ ملحُـودَةٍ وسَـقيفِ

د- **الخيال التأليفي** : و طبيعته نابعة من طبيعة التصوير فيه، وقد يكون تقليدياً "حسياً أو مجرّداً"، أو ابتكارياً ، فالمهم فيه هو طريقة التأليف التي تجمع بين صور قد تقع في حقول متباعدة متباينة، و تؤالف بين هذه الصور لتشكل صورة منسجمة في بنيتها و طبيعتها

---

(١) مروج الذهب: ج٤/ص١٤٨.

(٢) الطبري : ج٩/ ٦٦٤-٦٦٥،الكامل: ج٦/ص٥٤.

(٣) وفيات الأعيان: ج٥/ص٨٥-٨٦،الكامل: ج٥/ص٩٨-٩٩،الأغاني: ج١٢/ص٨٥-٨٦

ووظيفتها. وفيه ينقل الخيال إلى المتلقي مشاعر المبدع و أحاسيسه بسهولة و جمال. ومثال ذلك قول الشاعر محمد بن علي بن فَيْد الطائي " [١]

وَوَلِيُّ عَهْـدِ المسْلِمينَ مُوَفَّـقٌ ... باللهِ أَمْضَى مِـنْ شِـهَابٍ ثَاقِـبِ

وكَأَنَّـهُ في النَّـاسِ بَـدْرٌ طَـالِعٌ ... مُتَـهَلِّلٌ بِـالنُّورِ بَـيْنَ كَواكِـبِ

لكن الشاعر لم يبق في إطار الصورة التقليديّة الحسية، بل انتقل إلى تكوين صورة تبـيّن خصوصيته و مقدرته على تمثل الصور وتكوينها، فقال : [٢]

فَـلَّ الجُمُـوعَ بحـزْمِ رَأيٍ ثَاقِـبٍ ... مِنْهُ و أَفْرَدَ صَاحِباً عَـنْ صَـاحِبِ

هـ- الخيال الابتكاري: وهو أرقى مراتب الخيال، فلا أهمية فيه للحسيّة أو التجريد أو التأليف، إنما الأهميّة هي في ظهور أثر الذات الإبداعية وفعاليتها في رسم مسارات الخيـال، وهو ما يميز الشاعر من غيره لأنه نقيض الخيال التقليدي.

إنّه وثبات خيالية تخصّ ذات الشاعر وبيئته، و تعبر عن واقعه، فحين يثير ما لم نتوقع من وثبات فائقة و تصورات بارعة يجعلنا نحس بالقيمة الحقيقية للخيال في الفن، فلكـلّ فنـان خياله الخاص، والفنان الأصيل هو الذي يحسن التعامل مع خيالـه، فينصـرفان إلى عـوالم جديدة، ويعودان منها حاملين تربة تنبت مختلف الأزهار و أجملها.

ويعتمد هذا الخيال، غالباً على التأليف بين عناصر متباعدة جدّ التباعد، وهـذا مـن أسرار جاذبيته التي دفعت الجرجاني إلى القول :

" . . وهكذا إذا استقريت التشبيهات، وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشدّ، كانت إلى النفوس أعجب" . [٣]

وأمثلة هذا الخيال نجدها عند الشعراء الفحول، أعني ابن الرومي ومسلم بن الوليد، وابن المعتز، هؤلاء الذين كان لهم دور في أحداث الثورات السياسية التي قامت في زمنهم. فهـذا مسلم بن الوليد يقول في مدح يزيد بن مزيد الشيباني : [١]

---

[١] الطبري: ج٩/٥١٩-٥٢٠.

[٢] المصدر السابق.

[٣] أسرار البلاغة. للجرجاني ص١٠١

يَنالُ بالرِّفقِ ما يَعْيَـا الرِّجَــالُ بـِـهِ كالموتِ مُسْتَعْجِلاً يَأتي علــى مَهَــلِ

أمّا ابن الرومي فيقول في مدح صاعد بن مخْلد: [2]

فتىً رُوْحُــهُ ضَــوْءٌ بَسِــيْطٌ كِيانُــهُ ومَسْكَنُ تِلْكَ الرُّوحِ نُــورٌ مُجَسَّــدُ

صَفَا و نَفَى عَنْــهُ القَــذَى فكَأنَّــهُ- إذا ما اسْتشفّته العُقُــولُ- مُصــعَّدُ

ومثل هذا النوع من الخيال كان يطرق ذهن ابن المعتز فيلهمه صوراً مبتكــرة رائعــة، كالتي نجدها في قوله : [3]

فَعَلَّمتَــهُ كَيْــفَ التَّصَــافُحُ بالقَنَــا وكَيْفَ تُرَوَّىٰ البِيْضُ و هيَ مُحُــولُ

ويتّضح بعد هذا مدى قدرة خيال بعض شعراء الثورات على أداء وظيفته الفنّية، فقــد أوصلتنا منابع هذا الخيال الفنّي إلى الحقيقة الحياتيّة التي عاشها هؤلاء الشعراء، حيث بقــي خيالهم مرتكزاً على الحقيقة المعقولة، و لم يلجؤوا إلى إقامة علاقات بين الأشــياء تكتنفهــا الغربة و الغموض. " وتتباين المقدرة الخيالية لدى الشعراء بحسب قدراهم علــى اســتيعاب أسرار الحياة و التفاعل معها، ولذا يصح أن يقاس نجاح الشاعر أو فشــله بمــدى قدراتــه التصويرية على نقل التجربة و الإحساس بفعل ملكة الخيال." [4]

الصورة الشعرية :

الصورة الشعرية هي تجربة معاشة على أرض الواقع، وحين نعثر على صورة فإننا نعثــر من خلالها على تجربة معاشة حقاً، وبعبارة أخرى لابد للشاعر أن يكون قد رأى أو أدرك ما استطاع أن يتخيله. وحين يصوّر الشاعر فإنّه ينطلق من حادثة أو عاطفة، أو منظر، أو إحساس، أو فكرة، وفي كل حالة لا يصوغ الصّورة من فراغ، بل يكون في حالة ترقــب

---

(1) شرح ديوان مسلم بن الوليد:ص٩.

(2) ديوان ابن الرومي: ج٢/ص١٢٤.

(3) ديوان ابن المعتز: ج١/ص٣٧٠.

(4) الصورة الفّنية في شعر مسلم بن الوليد.د.عبدالله التطاوي. القاهرة:دار الثقافة للنشر و التوزيع١٩٩٧م. ج١/ص١٨ .

مضطرب للخيال، كما يرسم المنظر بالكلمات الموحية التي تعبر عن انطباعاته و خـــواطره، وهنا تتداخل الكلمات و تتداعى الذكريات تداخلاً لا ينفصم.

ومن الطبيعي أن يستغل الشاعر الصورة للتعبير عن الحالات الغامضة التي لا يمكنه التعبير عنها مباشرة، ولهذا بدت الصورة الشعريّة عند الشاعر القديم عنصراً جزئيـــاً في القصـــيدة بصورتها الكلية، وهذا ما يدعونا إلى أن ننظر إلى الصور عند الشاعر القديم من خلال المفهوم البلاغي لها، لأن شعراءنا القدامى يقفون في موازاة الشاعر الحديث الذي يعتمد على الصورة أساساً ليستكمل نقصاً ما يحسّه في اتّباع القوالب الشكلية القديمة. و بالتالي فإن نظرتنـــا إلى الشاعر القديم يجب أن تنبع من خلال هذا التصور، أعني إلى أي حد أجهد الشاعر نفسه في بناء تشكيل فني محكم للقصيدة، يحكمه فيه الوزن و القافية و التصريع و غيرها، ثم يلي ذلك جهده الفنّي و قدراته الذاتية التي تتكشف للناقد من مجموع الصور الفنّية التي تحويهـــا قصيدته، وإمكانات الترابط العضوي بين هذه الصور، مما يشكل منها – مجتمعة –لوحة فنّية كاملة.

إن تاريخ تطوّر الصورة الفنية هو تاريخ أنماط الوجود و الوعي البشريين، وهذا ما يثير الانتباه إلى أهمية الصورة في التكوين الشعري، فهذا ابن سينا يقول: " إن الشاعر يجري مجرى المصور، فكلّ منهما محاكٍ" [١] و يقول: " إن الشعر هو كلام مخيِّل." [٢]

أما الفارابي فيرى أن قوام الشعر وجوهره " أن يكون قولاً مؤلفاً مما يحاكي الأمر." [٣]

إذاً فالصورة عمدة البناء الشعري في التراث العربي، لكن المصطلح الفني الراهن لمفهـــوم الصورة غير متفق عليه من قبل الباحثين كافة، فلا ضير في إثبات مفهـــومين عـــامّين مـــن مفهومات الصورة الشعرّية، اتخذتهما دليل بحث في دراستي للصورة في شعر الثورات، الأول يرى أن " الصورة واسطة الشعر و جوهره، وكل قصيدة من القصائد وحدة متكاملة تنتظم في داخلها وحدات متعددة هي لبنات بنائها العام، وكل لبنة من هذه اللّبنـــات في صـــورة

---

[١] فن الشعر من قسم المنطق من كتاب الشفاء.لابن سينا. تحقيق:عبد الرحمن بدوي ،القاهرة١٩٥٣م.ص١٩٦

[٢] المرجع السابق:ص١٦١.

[٣] جوامع الشعر.للفارابي .تحقيق محمد سليم سالم– القاهرة١٩٧١م.ص١٧٢.

تشكّل مع أخواتها الصورة الكليّة التي هي العمل الفنّي نفسه ... إن بناء الشعر هو بناء صوري "[1]

والثاني يقول : " ..تعرف صورة ما بأنها تعبير لغوي عن تراسل بين لفظين أو تراسل بين علاقتين، وسواء كانت هذه الصورة بسيطة أم معقدة فإنها تعبر عن مشابهة.. وتعبر عن مماثلة و توحّد... فالاستعارة تمثّل انحرافاً عن العمل الوظيفي المنطقي التي تقوم به اللّغة"[2] .

١- بنية الصّورة الشّعريّة :

سأدرس تحت هذا العنوان الصور الشعرية على أساس من المماثلة أو التحويل أو الرمز، أو المبالغة في التشبيه.

إنّ معظم الصور الشعريّة في شعر الثورات تدلّ على أن ينابيعها جداول حياة حقيقية " ذاتية و اجتماعية " وفنية، كما أنها نماذج معرفية و جمالية تعكس علاقات الشاعر بأشكال الحياة من حوله، وهي جداول انسابت إلى بحر فكر كلّ شاعر مبدع، ذلك الذي أمتعنا فنيّاً و معرفياً بصور شعرية تثبت أن العلاقة بين مختلف جوانب الصورة ببناها و أنماطها، تعكس بوضوح شكل العلاقات بين الفرد و المجتمع وتبيّن نمط سلوكه و نوع العمل الذي كان يقوم به. يقول صاحب الزّنج : [3]

وخَلَا مِنْ هَـواجِسِ النَّـأْيِ قَلْـبِي ... كخُلُـوِّ الطُّلُـولِ بَعْـدَ الأَنـيسِ

واسْـتَطَرَّتْ حَمَـالِقُ القَـوْمِ للمَـو ... تِ وصَارَتْ نُفُوسُـهُمْ في الـرُّؤوسِ

فلا شك في أن الدلالات الخاصة ببنية الصورة تنبيء بصفات شخصية الشاعر و ميزاتها اجتماعياً و فنيّاً، وتدلّ على نمط الاختلاف النفسي بين الشاعر و العالم الخارجي فيرى أنّه لا يوجد أحد في الدنيا يشبهه أو يستطيع مشاركته في طموحاته الكبيرة. يقول : [4]

ومَـالِيَ في الخَلْـقِ مِـنْ مُشْـبِهٍ ... ولا في اكتسَابِ العُلا مِـنْ شَـرِيكِ

---

[1] مقّدمة لدراسة الصورة الفنيّة،د.نعيم اليافي،دمشق،وزارة الثقافة السورية١٩٨٢م.ص٤٠

[2] نحو معالجة جديدة للصورة الشعرية،د.فهد عكّام،مجلّة "التراث العربي"،العددان:١١-١٢ ،١٩٨٣م .ص٢٥٤.

[3] ذيل زهر الآداب:ص١٥٦.

[4] المصدر السابق.

و تثير علاقة مبنى الصورة بالواقع الاهتمام، مما يجعلنا نلاحظ أن صور شعر الثورات الشّعرية لا ترتفع عن الواقع، بل هي صورة مستمدة من واقع الحياة العادية.

وهذا لا يناقض من يرى أنّ الصورة الفنيّة تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع [1] ، لأن العلاقة بين الواقع و الفكرة هنا ليست علاقة تضادّ بل هي علاقة توالد غير جدلي.

وتعكس العلاقة بين ينابيع الصورة و الشاعر، العلاقة بين أجزاء الصورة التي لا يأتي نمطها البنائي عبثاً بل متناسباً مع الموضوع و المقدرة الإبداعية لدى الشاعر، فما من شك في أن هناك صوراً أرقى من غيرها في بنيتها ووظيفتها، وسيظهر ذلك من خلال الشواهد التي سنطرحها في هذا المجال.

بنى معظم شعراء الثورات صور شعرهم على أساس من المماثلة أو التحويل أو الرمز، وكانت الصور القائمة على المشابهة قليلة في شعرهم.

فالصور التي تقوم على المماثلة هي في جوهرها مجاز علاقته المشابهة، إنما الاستعارة حين يبقى المشبه و يحذف المشبه به. كقول ابن الرومي: [2]

لِمنْ تَسْتَجِدُّ الأَرْضُ بَعْدَكَ زِيْنَةً فَتُصْبِحُ في أَثْوابِهَا تَتَبرَّجُ

ففي هذا البيت صورة طرفها الأول " الأرض" أما الطرف الثاني فقد حذف.

أما الصورة التي تقوم بنيتها على التحويل فهي المجاز حين تكون العلاقة غير المشابهة، فيتم تحويل الصفة من عنصر إلى آخر لعلاقة ما قد تكون زمانية أو مكانية أو سببيّة .. إلخ، والصورة عندئذ تتصف بالدقة والإيجاز وتدل على قدرة الشاعر التخيلية. كقول الفارعة بنت طريف : [3]

حَليفُ النَّدَىٰ مَا عاشَ يَرضَىٰ بهِ النَّدَىٰ فَإنْ مَاتَ لا يَرْضَىٰ النَّدىٰ بِحَليفِ

---

[1] يرى هذا الرأي في الصورة،د.عزالدين إسماعيل في كتابه:التفسير النفسي للأدب،بيروت: دارالعودة،(د.ت).ص٦٦

[2] ديوان ابن الرومي: ج٢/ص٢٣.

[3] وفيات الأعيان: ج٥/ص٨٥- ٨٦،الأغاني: ج١٢/ص٨٥- ٨٦.

فالعلاقة الزمانية في هذا المجاز العقلي تبين أن الإيجاز في بنية الصورة أدى إلى إفاضة في الخيال المصوّر، حيث جُسِّد الندى، فأصبح محسوساً يرضى و يتّخذ الخُلفاء.

والصورة التي تعتمد الرّمز أساساً غالباً ما تكون آسرة تجذب الفكر و تشغله ،وفيها يفتن الشعراء، فمنهم من يغرب فيها، ومنهم من يبقى رمزه شفافاً، وشعراء الثورات أتوا بالرمز بلا تعمد و لا تصنع، وهو تقليدي لا جدّة فيه. حيث بنى الشعراء شكله و مضمونه بناءً يقوم على الأعراف القديمة. يقول مسلم بن الوليد: [(١)]

تَرَىٰ العُفَاةَ عُكُوفاً حَولَ حُجْرتِهِ ... يَرجُونَ أَرْوَعَ رحبِ البَاعِ بَسَّامَا

ويقول صاحب الزّنج : [(٢)]

جِسْمُ سَيْفٍ فِي جَوْفِ غِمدِ ثِيَابٍ ... صَدْرُ إِنسٍ مِنْ تَحتِهِ قَلْبُ جِنيِّ

مَيْتُ حِسٍّ وحيٌّ نَفْسٍ كَمَا الشَّمْـ ... ـسُ يُرَىٰ مَشْيُهَا بِعَيْنِ التَّظَنِّي

وإذا انتقلنا إلى الصورة التي تقوم على المشابهة المباشرة، فإننا نجدها ضعيفة عندما تعتمد على أدوات افتراضية " حين تكون أداة التشبيه ظنّ – خال – حسب ، فتضفي الشّك على المشابهة من مثل قول الشاعر محمد بن علي بن فيْد الطائي :[(٣)]

حَتَّى إذا اخْتَلَفُوا و ظَنَّ بأنَّهُ ... قَدْ عَزَّ بينَ عَسَاكِرٍ و كَتَائِبِ

دَلَفَتْ إليهِ عَسَاكِرٌ ميمونَةٌ ... يلقُونَ زَحْفاً بِالسَّوَاءِ الغَالِبِ

أو مثل قول الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي : [(٤)]

خِلْتَ أَنَّ القَضَاءَ مِنْ يَدِهِ ... وللْمنايَا مِنْ كَفِّهِ رُسُلُ

أو مثل قول الشاعر على بن محمد بن جعفر العلويّ : [(٥)]

وكَأنَّهُ قَمَرٌ تمنطَقُ في ... أُفُقِ السَّمَاءِ بِدَارَةِ البَدْرِ

---

(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد:ص٦٤.

(٢) ذيل زهر الآداب:ص١٥٥.

(٣) الطبري: ج٩/٥١٩–٥٢٠.

(٤) مقاتل الطالبيين:ص٥٥٨.

(٥) مروج الذهب: ج٤/ص١٥٢.

إلا أن هذه الأدوات قد تحقق متعة فنيّة وجمالية من خلال استعمالها ضمن سياق آخر، حيث لا تكون فضلة أو عنصر شك بل تكون عنصراً أساسياً في البناء المنظّم للصورة، ففي الصورة التالية نجد الأداة " كأنّ " مركز البنية الصورية الممتدة في إطار بيتين شعريين مشكلة أساس المقارنة التشبيهية بين لوحتين. وذلك في قول ابن الرومي: [١]

كَأَنِّيَ بِهِمْ قَدْ قِيلَ عِنْدَ بَوَارِهِمْ رَعَوا ظِمْأَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا

زُرُوعٌ سَقَاهَا اللهُ رِيّاً فَأَثْمَرَتْ عُتِيّاً فَأَضْحَتْ وهْيَ للنَّارِ تُحْصَدُ

أما المبالغة في التشبيه، فقد أتت مبالغة عفوية لا عسر فيها، حيث جعل مسلم بن الوليد ملامح البطولة والشجاعة والرزانة التي يتمتع بها مدوحه و قومه في صورة موجزة واحدة. يقول : [٢]

لَوْ لَمْ تكُونُوا "بَنِي شَيْبَانَ" مِنْ بَشَرٍ كُنْتُمْ رَوَاسِيَ أَطْوادٍ و أَعْلامَا

إن تطوّر العلاقات الداخلية ضمن الصورة يبيّن تطور أداء الشاعر الأسلوبي بين صورة وأخرى، كما تبيّن حركية العلاقات بين البنى الصوريّة الأربع " مشبّه، مشبّه به، أداة تشبيه، وجه الشبه " من حيث وجودها مجتمعة في سياق محدد، تامة أم ناقصة، مرتبة أم مقلوبة .. طبيعة الشكل البنيوي للصورة وهذا ما يسهم في تحديد نمطها ووظيفتها.

٢- أنماط الصورة الشعرية :

إن أنماط الصورة الشعرية — حسب النقد العربي القديم — هي التشبيه بأنواعه، أو الاستعارة أو الكناية أو المجاز. ولكن دراستي لبنية الصورة تمّت بناءً على هذه العناصر، أمّا أنماطها فسأدرسها تبعاً للعلاقات المعنوية ضمن تلك البنية.

ونحن نرى اهتماماً واضحاً بأنماط التصوير الشّعري في نقدنا القديم، وهذا الاهتمام انطلق من الحديث عن أنواع التشبيه، فالمبرد يرى " العرب تشبّه على أربعة أضرب، فتشبيه

---

[١] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص١٢٣.

[٢] شرح ديوان مسلم بن الوليد:ص٦٨.

مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه، وهو أخشن الكلام.."[1]

و بُلغاء العربية افتنّوا في بحث أساليب البيان و فروعه،وما زال الافتنان مستمراً حتى يومنا عند العرب وغيرهم، ولهذا يصعب تحديد أنماط صورية متعارف عليها عامة، ويسهم في صعوبة التحديد أنّ " أفكارنا واعتقاداتنا لا تنفصل تماماً عن العمليات الاستعاريّة التي هي من صنع العقل الغريزي في ارتياد الواقع و تنظيم التجربة" .[2] وهذا ما يجعل الباحث في الدراسة النظريّة لأنماط الصورة الشعرية يقع في حيرة حين يعمد إلى تبيين هذه الأنماط في شعر شاعر أو مجموعة من الشعراء.

بيد أن دراستي لصور شعر الثورات لا تعتمد على الأبحاث النظرية بقدر ما تعتمد شعر الثورات ميداناً للبحث يتمثل في الطرف الثاني، لعلاقة تحددها طبيعة حضور أداة التصوير " التشبيه " ولغاية التوضيح أو التقييم أو التزيين.. و غالباً ما يكون هذا الأمر نتيجة تراسل بين عنصرين يحدد طبيعتهما نمط الصورة.

إنّ أنماط الصورة في إطارها التقليدي موجودة في شعر الثورات، وقد ظهر هذا في الحديث عن بنيتها، أما في الإطار المعاصر الأصيل فسأدرس أنماطاً ستة للصورة في شعر الثورات. [3]

أ- الصورة الحسية:

وهي ذات طابع تقليدي، طرفاها محسوسان، يؤدي التراسل بينهما وظيفة إيحائية قد تقوم على انحراف عن الواقع، أو على مطابقة للواقع. والانحراف يمنح الصورة شحنة شعرية لا تتوافر في المطابقة، ومثالنا على ذلك الصورتان التاليتان :

يقول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن مزيد الشيباني: [4]

---

[1] الكامل في اللغة و الأدب،للمبّرد: ج٣/ص٩٢.

[2] الصورة الأدبية ،د.مصطفى ناصيف،ط٢،بيروت١٩٨١م،ص٢٩.

[3] أفدت في هذا من لمنهج د.عبد اللطيف عمران في دراسته صور أبي فراس الحمداني و ذلك في كتابه"شعر أبي فراس الحمداني،دلالاته و خصائصه الفنية".انظر ص٢٢٨ وما بعدها.

[4] شرح ديوان مسلم بن الوليد:ص١٦.

كَـبِيرُهُمْ لا تَقُـومُ الرَّاسِـيَاتُ لَـهُ   حِلْماً وطِفْلُهُمْ في هَـدْي مُكْتَـهِلِ

فالتراسل بين المحسوسين – هنا- غير حادث في الواقع، لكنه يمتع المتلقي، ويثير خياله لتقصّي أركان الصورة.

ويقول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي : [١]

يُؤيِّـدُهُ رُكْنَـانِ ثَبْتَـانِ : رَجْلُـهُ   وخَيْلٌ كَأَرْسَالِ الجَرَادِ و أَوْثَـجُ [٢]

فالتراسل بين المحسوسين لا يشكّل انحرافاً عن الواقع بل هو انعكاس طبيعي لما في نفس الشاعر و لما يمكن حدوثه في الواقع، و تشبيه كثافة الخيل بكثافة الجراد أمر لا يثير الخيـال، وإن شكّل صورة جميلة.

وللصورة الحسيّة قيمة إيحائية كما يظهر الشاهدان السابقان.

ب –الصورة التجريدية:

وتعبر هذه الصورة عن شيء محسوس أو مفهوم من المفهومات بكلمة مجردّة، وهـي نادرة في الشعر التقليدي عامة، وتتميز بغناها الإيحائي و بالسحر الذي ينتجه التراسل بين مفهومين أحدهما حسّي و الآخر مجرد أو كلاهما مجرد. فمن النمط الأول" التعـبير عـن محسوس بمجرد" يقابلنا قول يحيى بن خالد بن مروان في مدح الموفق: [٣]

أَطْفَأْتَ نِيرانَ النّفَـاقِ وقَـدْ عَلَـتْ   يَا وَاهِبَ الأَمَالِ و الآجَالِ

فقد مثّل الشاعر المعنويّ " النفاق ، الآمال ، الآجال " بالمادي المحسوس توضيحاً لـه، وفي البيت صور تتناسب أطرافها معنوياً " أطفأت، نيران، علت ، النفاق، الآمال، الآجال" و القسم الأول مرجعه حسّي " النيران " والقسم الثاني مرجعه معنـوي مجـرّد " النفـاق، الآمال، الآجال" . فكما تقوم هذه الصور على التوسع الذي يغني الإيحاء الشـعري، فهـي تقوم أيضاً على الانحراف الذي يضعنا في عالم تخيلي ثرّ.

---

[١] ديوان ابن الرومي :ج٢/ص٢٧.

[٢] أوثج:أكثف،ومكان وثيج:كثير الكلأ.(ديوان ابن الرومي :ج٢/ص٢٧).

[٣] الطبري:ج٩/ص٦٦٤- ٦٦٥.

و من النمط الثاني " التعبير عن مفهوم ما بكلمة مجرّدة " قول ابن الرومي :[1]

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السَّيْفِ والسَّيْفُ مُنْتضَىً وحِلْمٍ كحِلْمِ السَّيفِ، والسَّيفُ مُغمَدُ

فالجهل و الحلم أمران مجرّدان يشكلان صورة لا تدرك بالحواس، لكنها تثير الحـــواس بسبب قوة إيحائها التي جعلت سياق البيت صورة جميلة.

جـــ- الصورة الافتراضية :

وتعتمد هذه الصورة في بنيتها الأفعال الدّالة على الوهم، وتفترض تحقيـــق تشـــبيهات جديدة بعيدة عن الواقع، وغالباً ما تغرق أفكارها و علاقاتها في عالم غير مرئي وقد تكـــون معتمدة على قلب الوظائف و العلاقات المعنوية ضمن الصورة، فتكون تشبيهاً مقلوباً يبعث مناخاً افتراضياً.

ومثال هذا النمط قول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن مزيد الشيباني: [2]

مُوْفٍ علىٰ مُهَجٍ في يَـوْمِ ذِيْ رَهَـجِ كَأَنَّـهُ أَجَـلٌ يسـْعَىٰ إلى أَمَـلِ

يَنالُ بالرِّفقِ مَا يَعيـَا الرِّجَـالُ بـِهِ كَالموتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتي عَلَـىٰ مَهَـلِ

إنّ العلاقات الافتراضية التي يقيمها الشاعر ما بين " الأجل " و " الأمل " تعتمد على بنية جدلية مكثفة تجمع بين ضدّين جمعاً افتراضياً.

د- الصورة الانطباعية:

و لا تختلف هذه الصورة كثيراً عن الصور السابقة، فأحياناً تكون ذات طابع افتراضي، وتقوم على أساس تجريدي، كما أن للحواس أثراً ظاهراً فيها، إلا أن ما يميزها هو التأثريّـة الفردية أو الذاتية، و هذا ما يُضفي عليها الطابع الغنائي. ومثال هذا النمط من الصورة قول مسلم بن الوليد : [3]

---

(1) ديوان ابن الرومي: ج ٢ /ص١١٦٦ .

(2) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٩.

(3) شرح ديوان مسلم بن الوليد:ص١١.

يَكْسُو السُّيُوفَ نُفُوسَ النَّاكثينَ بـهِ　　　ويَجْعلُ الهَام تِيجَانَ القَنَا الذُّبلِ

ففي الشطر الأول تظهر الحسيّة المعتمدة على التجريد " يكسو .. نفوس." و في الشطر الثاني نلاحظ الطابع التجريدي للصورة " يجعلُ الهام تيجان القنا ". وفي هذه الصورة يبرز التراسل النفسي بين بنى الصورة وذات الشاعر و بين الممدوح، فالشاعر يمدح بطلاً من قوّاد الجيش العباسي فهل يخطر بباله غير السيوف والرّماح و ساحات القتال.

ومن هذا الجانب تظهر الأبعاد الذاتية و التأثرية و الفردية في الصورة الانطباعية تلك الأبعاد التي تشيع جوّاً من الغنائية.

هـ- الصورة الرمزية :

وفي هذه الصورة أيضاً تحظى الذاتية بجانب مهم. فالرمز أحياناً يأتي على شكل كناية تخصّ نمط الأداء الأسلوبي و شكل التفكير و مضمونه عند شعب من الشعوب أو شاعر من الشعراء.

والصورة الرمزية لا تظهر بشكل واضح في شعر الثورات كظهورها في الشعر العربي الحديث، وإنما غالباً ما تكون كناية تقليدية كقول ابن المعتز في مدح الموفق:[1]

فَعلَّمْتَه كيفَ التَّصَافُحُ بالقَنَا　　　وكيفَ تروّىٰ البِيضُ و هْيَ مُحُولُ

فـ" التصافح بالقنا " و " تروّى البيض " صورتان توحي الأولى باشتداد القتال، و الثانية بكثرة القتلى إيحاءً ليس بعيداً عن المباشرة، لكنه غني و جميل.

و- الصورة الوهمية :

وهي صورة تقوم على علاقات غير منتظرة، و لا تشاكل الواقع بل تتجاوزه بعلاقاتها التي تثير غربة الإحساس عند القارىء، فتبدو غامضة يصعب فهمها منعزلة عن سياقها في النص، وحامل المعنى فيها متعدد الأبعاد يقوم على نظام وهمي، لكن محتواه يدرك من خلال إثارته الخيال فيساعد على بعث إلهام ينبع مما تحت الشّعور يسهم في كشف البنيان الشكلي

(1) ديوان ابن المعتز: ج١/ص٣٧٠.

و المعنوي للصورة، مثل هذه الصورة قليل في شعر الثورات، وإذا وجد فلا يحلّق بعيداً عن الواقعين الفنّي و الحياتي.

ومثال هذا النمط من الصورة قول ابن الرومي في مدح صاعد بن مخلدْ: [1]

وَحَارَبَ عَنْ نَعْمَائِهِ رَيْبَ دَهْرِهِ   مِنَ البِرِّ و المَعْروفِ جُنْدٌ مُجَنَّدُ

فقد جعل من البر و المعروف، بالوهم،كائناً مشخّصاً. وهذه صورة تتجاوز الواقع لأنها تقوم على نظام وهمي يثير التأمل و التّفكر.

وكذلك نجد في قول مسلم بن الوليد : [2]

يَنَالُ بالرِّفقِ مَا يَعْيَا الرِّجَالُ بِهِ   كالموتِ مُسْتَعْجِلاً يأْتِي عَلى مَهَلِ

فقد جعل الموت كائناً مجسّداً، يستعجل و يتمهل، وهذا وهم، لأن الموت شيء مجرّد لا يدرك بالحواس.

وهكذا يتضح أن شعراء الثورات أغلبهم، استقوا ينابيع صورهم من حقول معنوية متعدّدة، فهناك الطبيعة بما فيها من ظواهر و مكوّنات و أحياء... و هناك المفهومات المجرّدة و القيم المعنوية إضافة إلى المحسوسات أو الأشياء الماديّة.

ويمكننا أن نقول : إن صور شعر الثورات: بنية و أنماطاً، هي جزء من المحيط الاجتماعي و الفكري الذي عاش فيه شعراء الثورات. فقد نقلت هذه الصور كثيراً من الدلالات الاجتماعية والذاتية والفكريّة و السياسية، وكانت وثيقة الصلة بالبنية الفنيّة لشعر الثورات: لغة، و خيالاً، و إيقاعاً.

---

(1) ديوان ابن الرومي : ج٢/ص١٢٤.

(2) شرح ديوان مسلم بن الوليد:ص٩.

ثالثا : اللّغة و المعجم الشعري:

تُعرّف اللغة بشكل عام أنها " تشكيل صوتي له دلالة مكانية، والشاعر حين يستخدمها أداة للتعبير، إنما يقوم بعملية تشكيل مزدوجة في وقت واحد، إنّه يشكل من الزمان و المكان معاً بنية ذات دلالة" [١].

وإذا قيل " أن اللغة لم تعد وسيلة للتعبير فحسب، بل هي خلق فنيّ في ذاته" [٢] فإن هذا يعني أن الدلالة اللغوية لا تأتي عن طريق الألفاظ أو التراكيب فحسب، بل عن طريق أساليب التشكيل الأدبي الفنيّة و عناصره، كما يعني أن للغة الشعر، أي شعر، بعداً جمالياً و آخر معرفياً.

وبناءً على هذا تكون الصورة و الخيال والإيقاع في شعر الثورات بنى لغوية مركبة من مجموع الألفاظ التي هي اللبنة الأساسية في التركيب اللغوي لهذا الشعر، فممّا لا شك فيه أن الشعر فنّ مواده الأولية الألفاظ [٣] التي تنتج سياستها فنيّاً أثراً جمالياً ذا أبعاد متنوعة و غنية " إن سياسة اللغة هي فن الكتابة" [٤].

١- الألفاظ :

وهي الوحدات التي تتركب منها العبارات عندما يضم بعضها إلى بعض، وللأدباء عناية باختيار الألفاظ في كلامهم المنثور و المنظوم، وهم يعرفون أثرها البالغ في إخراج الكلام الواضح القوي الجميل، والذي يؤثر في المتلقين ويمتعهم.

وتؤثر اللفظة الواحدة في الكلام بعامّة، من جهة موافقتها لقواعد كلام العرب و مخالفتها لها،ومن جهة دلالتها على المراد، و مستوى أدبيتها، وطولها وقصرها،

---

[١] التفسير النفسي للأدب،د.عزالدين إسماعيل.ص٥٦.

[٢] في الأدب و النقد،د.محمد مندور.القاهرة١٩٧٧م.ص٢٠.

[٣] راجع كتب النّقدالعربي القديم:الموازنة،للآمدي.تحقيق:أحمد صقر،دار المعارف بمصر١٩٦١م،ص٤٠- الصناعتين،لأبي هلال العسكري،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم و محمد علي البجاوي،دار إحياء الكتب ١٩٥٢م،ص١٣٨-العمدة لابن رشيق،تحقيق:محيي الدين عبد الحميد،د.ت،ص١١٩- ١٢٤- أسرار البلاغة،للجرجاني،ص٤.

[٤] فن الحياة، فن الكتابة- د.أسعد علي،دمشق١٩٧٧م،ص١١٢.

وجزالتها و رقتها، وألفتها و غرابتها و إيحاءاتها، ونحو ذلك.. ولاريب أن هذه التأثيرات قوية و مهمة، إذ لو خالفت لفظة من الألفاظ قواعد كلام العرب لهبط مستوى التعبير، وأصبح مُستهجناً و غير مقبول عند أصحاب الذوق، وكذا لو كانت اللفظة قاصرة عن استيعاب الدلالة على المعنى الذي أراده المبدع، فإن المعاني حينئذ ستضطرب في ذهن المتلقي و تغمض أو توحي بإيحاءات سيئة. ثم إن للفظة في الأسلوب أثراً من جهة موافقتها للنغم الذي يطلبه غرض التعبير، فالحماس مثلاً يتطلب جزالة الإيقاع .. وهكذا . وبذلك تظهر أهمية اللفظة في الصورة الفنية نجاحاً أو إخفاقاً.

" إن جمال اللغة طريق نحو شاعرية الألفاظ والمعاني،ونحو استحسان الصورة و المثال وتتضح جمالية مبنى القصيدة من مباشرة المنظر في ألفاظها و من استساغة النطق بجرس حروفها.." [1]

وبالنظر في ألفاظ شعر الثورات السياسية نجد أنها جاءت موافقة لقواعد اللغة المشهورة عند العرب،ولم يخرج عنها إلا ألفاظ يسيرة، اضطر الشعراء إليها،ومما جاء في ذلك قول غالب بن عثمان الهمداني في رثاء إبراهيم بن عبدالله بن حسن: [2]

فَـدَعَا لِـدِيْنِ مُحَمَّـدٍ ... وَدَعَـوا إلى دِيْـنِ ابْـنِ صَـايِدِ

حيث خفّف المهموز في كلمة "صايد"والأصل فيها"صائد".

ومن ذلك أيضا قول ابن المعتز في مدح الموفّق: [3]

وفِتْيَـانُ هَيْجَـا بَـاذِلِينَ نُفُوسَـهُم ... كَـأَنَّهُمْ تَحْـتَ الرِّمَـاحِ وُعُـولُ

فقد خففّ كلمة"هيجا" إذ الأصل فيها "هيجاء".

ونجد مثل ذلك عند الشاعر يحيى بن محمّد الأسلمي في قوله متحدثا عن صاحب الزنّج: [4]

فَخَـرَّ في مَأْزِقِـهِ مُسْـلِماً ... إلى أُسُـودِ الغَـابِ في المَـازِقِ

---

(١) شعر أبي فراس الحمداني"دلالاته و خصائصه الفنية"،د.عبد اللطيف عمران،ص٢٠٤.

(٢) مقاتل الطّالبيين:ص٣٨٤.

(٣) ديوان ابن المعتز: ج١/ص٣٧٠.

(٤) الطّبري: ج٩/٦٦٤.

فقد خفف كلمة " المازق " التي أصلها " المأزق ".

ومهما كانت الحال، فإن السلامة من هذا أولى وأجدر. كما يقول ابن سنان الخفاجي في أثناء حديثه عن قصر الممدود : " إن هذا وأشباهه، وما يجري مجراه- وإن لم يؤثر في فصاحة الكلمة كبير تأثير-فإني أوثر صيانتها عنه، لأن الفصاحة تنبيء عن اختيار الكلمة وحسنها و طلاوتها ولها من هذه الأمور صفة نقص، فيجب اطراحها " [١] .

و لم تسلم الألفاظ في شعر الثورات من صفة الغرابة وهذا أمر ليس بغريب، فالشعراء في هذا العصر ظلوا يستعينون بالمعجم الشعري والتراكيب اللغوية القديمة ويركزون عليها و بخاصة في موضوعات المدح والرثاء الهجاء، لكن هذه العناصر التعبيرية القديمة لا تصادفنا بطبيعة الحال إلا في ذلك النمط من القصائد المحكمة البناء، والتي نشاهدها عند شعراء من أمثال ابن الرومي و مسلم بن الوليد وابن المعتز، وهي إن وجدت في المقطعات والقصائد القصيرة فسيكون وجودها نادراً وقليلاً.

ففي قصيدة غالب بن عثمان الهمداني التي رثى فيها ابراهيم بن عبدالله بن حسن، نجد قوله : [٢]

قَادَ الجُنُودَ إلى الجُنُو دِ تَزَحُّفَ الأُسُدِ الحَوَارِدْ

حيث تبدو لفظة " الحوارد " لفظة غريبة لا تُفهم دون الرجوع إلى قواميس اللغة.

و مثل ذلك قول إبراهيم بن عبدالله بن حسن، قائد إحدى ثورات الطالبيين : [٣]

نَفْسِي فَدَتْ شَيْبَةَ هُنَاكَ وظُنْـ بُوبَاً بِهِ مِنْ قُيُودِهِ نَدَبُ

فكلمة " ظنبوب " غريبة يحتاج قارئها إلى البحث عن معناها في معاجم اللغة.

أما في القصائد الطويلة فإننا نجد أن الشاعر يحرص على الإتيان بألفاظ غريبة، لاسيّما أن شعراء هذه القصائد من فحول الشعر في العصر العبّاسي، إذ كانت الفحولة مرتبطة – على

---

(١) سر الفصاحة،ابن سنان الخفاجي،بيروت.دار الكتب العلمية،ط١، ١٩٨٢م – ١٤٠٢هـ، ص٨٤.

(٢) مقاتل الطالبيين:ص٣٨٤.

(٣) المصدر السابق:ص٢٢٨- ٢٢٩ ،الطبري: ج٨/٥٤٥- ٥٤٦.

نحو أو آخر — بمدى حصيلة الشاعر من هذه العناصر و مدى قدرتـه علـى اسـتخدامها وتحريكها في أشعاره. [1]

فهذا ابن الرومي في قصيدته التي رثى بها يحيى بن عمر الطالبي، والتي مطلعها:

أَمَامَكَ فانْظُرْ أيَّ نَهْجَيْكَ تَنْهَجُ؟ طَرِيقَانِ شَتَّى : مُسْتَقِيمٌ وأَعْوجُ [2]

يضمّن قصيدته، التي يبلغ عدد أبياتها مئة وأحد عشر بيتاً، كثيراً من الألفاظ الغريبة التي لا يتمكن المتلقي من إدراك معناها دون الرجوع إلى معاجم اللغة، فهو يقول: [3]

وكَيْفَ نُبكّي فَائِزاً عِنْدَ رَبِّهِ لَهُ في جِنَانِ الخلْدِ عَيْشٌ مُخَرْفَجُ [4]

ويقول : [5]

سَلامٌ و رَيْحَانٌ ورَوْحٌ ورَحْمَةٌ عَليكَ و مَمْدُودٌ مِنَ الظِّلِّ سَجْسَجُ [6]

ويقول :

كَأَنِّي بِهِ كاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِيْنَهُ وأَشْبَالُهُ لا يَزْدَهِيْهِ المُهَجْهِجُ [7]

فالكلمات : (مخرفج ، سجسج، المهجهج) ما هي إلا عبارة عن ألفاظ حوشيّة غريبة، تذكرنا بألفاظ الشعر الجاهلي أو شعر صدر الإسلام.

وكذلك نجد مثل هذا عند الشاعر مسلم بن الوليد. ففي قصيدته التي مدح فيها يزيد ابن مزيد الشيباني إثر انتصاره على ثورة الوليد بن طريف الشّاري و التي مطلعها:

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَليعٍ في الصِّبَا غَزِلِ وَشَمَّرَتْ هِمَمُ العُذَّالِ في العَذَلِ [1]

---

[1] في الشعر العباسي "الرؤية و الفنّ"،د.عزالدين إسماعيل.ص٤٠١.

[2] ديوان ابن الرومي: ج٢/ص٢٣.

[5] المصدر السابق.

[3] ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٣.

[4] المخرفج : الواسع . (ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣)

[5] ديوان ابن الرومي: ج٢ / ص ٢٤ .

[6] سجسج : اللّين الهواء المعتدل بين الحر والبرد. (تاج العروس : ج٦/ ص ٣٠)

[7] ديوان ابن الرومي : ج٢/ص ٢٦، المهجهج : الشديد الصياح، وهجهج الرحل : ردّه عن الشيء.

نجده يأتي بألفاظ غريبة من مثل قوله: [٢]

وَبَلْـدَةٍ لِمَطَايَـا الرَّكْـبِ مُنْضِـيةٍ أنْضيْتُها بوَجِيفِ الأَيْنُـقِ الـذُّلُلِ [٣]

وقوله: [٤]

يَقْري المنيـَّةَ أَرْوَاحَ الكُمَـاةِ كَمَـا يَقْري الضَّيُوفَ لُحُومَ الكُومِ و البُـزُلِ

وقوله : [٥]

لَو أَنَّ غَـيْرَ شُـرَيْكِيٍّ أَطَـافَ بِـهِ فَازَ" الوليدُ " بِقِدْحِ النَّاضِلِ الخَصِـلِ

فالكلمات (منضية، أنضيتها، وجيف، الكوم، البزل، الناضل، الخصل) كلّها ألفـاظ غريبة تجعل من هذه الأبيات صوراً غير واضحة للمتلقي في عصرنا هذا، إلا إذا رجـع إلى معاجم اللغة وتبيّن معاني هذه الكلمات.

على أنّه لا حجة قاطعة يمكن الإدلاء بها على أن هذه الكلمات تعدّ حوشيّة في عصـر الشاعر.

ويلحظ الفاحص لشعر الثورات السياسية تفاوتاً في درجة سـهولة الألفـاظ، حيـث تبدوالألفاظ سهلة ميسورة إذا كان الموقف عاطفياً، بمعنى أنّه قد أثار شعور الشاعر و حرّك عواطفه. فهذا الشاعر أحمد بن طاهر في قصيدته التي رثى فيها يحيى بن عمر الطالبي و الـتي مطلعها:

سَلامٌ علىٰ الإِسْـلامِ فَهْـوَ مُـوَدَّعٌ إِذَا مَا مَضَىٰ آلُ الـنَّبِيِّ فَوَدَّعُـوا [٦]

نجده قد عبر عن حزنه على قتل يحيى بألفاظ سهلة ميسورة، لا يقع المرء علـى لفظـة واحدة تحتاج إلى استخدام المعجم أو الرجوع إليه.

---

[١] ديوان مسلم بن الوليد: ص١.

[٢] المصدر السابق : ص٥.

[٣] منضية : مُتعبة، أنضيتها : قطعتها، الوجيف : ضرب من السير. (ديوان مسلم بن الوليد: ص٥)

[٤] المصدر السابق : ص١١، والكوم : الإبل العظام الأسنمة، البزل : هو الذي دخل سنته التاسعة.

[٥] المصدر السابق : ص ١٩، الناضل : المصيب ، والخصِل : مثله.

[٦] مروج الذهب : ج٤ / ص١٤٨ .

وخير دليل على هذا قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة، و التي يقول في مطلعها : [1]

ذَادَ عَـــنْ مُقْلَـــتِي لَذيـــذَ المنَـــامِ   شُـــغْلُهَا عَنْـــهُ بالـــدُّمُوعِ السِّـــجَامِ

فهي قصيدة تقع في ستة وثمانين بيتاً، قلّما نجد فيها ألفاظاً غريبة. و لا أحد يجادل في أنّ ابن الروميّ في هذه القصيدة، صدر عن عاطفة صادقة و مؤثرة، إذ ليس المقام مقام مـدح ينتظر منه النّوال، ولا بمقام رثاء لشخص قد يضطر الشاعر فيه للمجاملة و المشاركة من باب الالتزام. إنّما أثّرت هذه النكبة بابن الرومي و حركت مشاعره وأجّجت عاطفته، فأتـت قصيدته بهذه العفوية والسهولة.

هذا عن غرابة الألفاظ وسهولتها، أمّا عن وصولها إلى حدّ الابتذال، فهو كما قال ابن الأثير : " لا يكاد يخلو منه شعر شاعر، لكن منهم المقلّ و منهم المكثـر " [2] . وشـعراء الثورات من المقلّين فيما يبدو، لأنّه من السهل أن يتجنّب الشاعر عيب الابتذال، وبخاصّة إذا كان على قدر عال من الإحاطة بعلوم اللغة و قواعد البلاغة.

و أغلب الألفاظ في شعر الثورات هي ألفاظ موحية، تؤدّي المعنى المراد ثمّ توحي بغيره من المعاني التي تعمّق الدلالة الشّعوريّة، ذلك لأنّ معظم هذا الشّعر يصدر عن عاطفة جيّاشة، حيث تبسط اللفظة أثرها لتغمر النفوس بالمشاعر العميقة.

ومن ذلك قول إبراهيم بن عبدالله بن حسن :

يَا حَلَقَ القَيْـدِ مَـا تَضَـمَّنَ مِـنْ   حِلْـمٍ و بِـرٍّ يَشُـوبُهُ حَسَـبُ [3]

إنّ الكلمات (حلم، برّ، حسب) ذات دلالات واسعة، تمتد في آفاق النفس و تُشعر بما يعانيه الشاعر من حزن و ألم، وهو أمام هذا الموقف العصيب الذي يرى فيه أهله يُقـادون بالأغلال.

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٦ /ص ١٣١ .

[2] المثل السائر، ابن الأثير. تحقيق : د. أحمد الحوفي و د.بدوي طبانة، ط٢، الرياض، دار الرفاعي ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ج١ / ص٢٩٤

[3] الطبري : ج٨/ ص ٥٤٥ -٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٨ - ٢٢٩

ومن ذلك أيضاً قول أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطالبي :[1]

فَقَدْنَا العُلاَ والمجْـدُ عِنْـدُ افتِقَـادِهِمْ   وأَضْحَتْ عُرُوشُ المَكْرُمَاتِ تَضَعْضَعُ

فإننا نلمس من كلمات هذا البيت (فقدنا – العلا – المجد – عـروش المكرمـات – تضعضع) نلمس مدى تأثر الشاعر على فقْد يحيى، إذ توحي دلالات الألفاظ بمدى ذلـك التأثر.

و من الألفاظ التي استعان بها ابن الرومي في قصيدته التي رثى فيها البصرة عندما دخلها الزّنج و خرّبوها، نجد لفظة (كم) الخبريّة الدالة على التكثير، و هي كلمة قليلة الحروف، سهلة النطق، لكنّها تمنح المخبر عنه تهويلاً و تكثيراً.

أفاد ابن الرومي من هذه اللفظة إفادة حسنة، حيث أعانته على التهويل وتفخيم المعاني الواردة في قصيدته، وعلى الخصوص عندما يعمد إلى إظهار مدى الخراب الذي أحدثه الزّنج في البصرة، وبناء على ذلك فإنّ أوضح أسباب استعمال الشاعر (كم الخبرية) هو دلالتها التكثيرية، لأنّ الشاعر يحتاج إلى ذكر أشياء كثيرة من آثار هجوم الزّنج على البصـرة، في عبارات موجزة تلائم روح الشعر. وفي مثل هذه الحالة تقوم (كم) الخبرية بتأدية المعـاني الكثيفة بأسلوب شديد الإيجاز. فهو يقول : [2]

كَـمْ أَخٍ قَـدْ رَأَىٰ أَخَـاهُ صَـرِيعاً   تَرِبَ الخَدِّ بـينَ صَـرْعَىٰ كِـرَامِ؟

كَـمْ أَبٍ قَـدْ رَأَىٰ عَزِيـزَ بنيـهِ   وَهْوَ يُعْلَـىٰ بِصَـارِمٍ صَمْصَـامِ؟

كَـمْ فَتَـاةٍ بِخَـاتَمِ اللهِ بِكْـرٍ   فَضَحُوهَا جَهْـراً بِغَـيرِ اكتِتَـامِ ؟

ويستغل مسلم بن الوليد قدراته اللفظية في تصوير ممدوحه يزيد بن مزيد الشيباني و هو يتحدى النّاس بالأجل و بأدواته القتالية ، يقول : [3]

مُوْفٍ عَلَىٰ مُهَجٍ في يَـومِ ذِي رَهَـجٍ   كَأَنَّـهُ أَجَـلٌ يَسْـعَىٰ إلى أَمَـلِ

يَنَالُ بِالرِّفْقِ مَا يَعْيَـا الرِّجَـالُ بِـهِ   كالموتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَـىٰ مَهَـلِ

يَغْـدُو فَتَغْـدُو المنايـا في أسَـنَّتِهِ   شَوارِعاً تَتَحَـدَّىٰ النَّـاسَ بِالأَجَـلِ

---

[1] مروج الذهب: ج٤ / ص١٤٨ .

[2] ديوان ابن الرومي : ج٦/ ص ١٣٢ – ١٣٣ .

[3] ديوان مسلم بن الوليد : ص ٩ – ١١ .

فيزيد يوفي على المهج بالقتل، ويعمل فيها عمل الأجل في الأمل، كما يعمل عمل الموت في النفاذ، وهو رجل يأخذ أمره على مهل حتى يأتي على جميع مطالبه كالموت في تنفيذ مهمته متمهلاً.

إن مسلم بن الوليد يعرض هنا صورة تظهر فيها صنعته، كما يظهر فيها قوة نسجه، وإن كانت معانيها تظل مختفية وراء عمق اللفظ، لا هي من ذات الشاعر، ولا هي من ذات الممدوح، فلم يبق إلا أنّها من صنعة شاعر يملك ناصية فنّه.

وقد يتبادر إلى الذهن – ونحن نطالع الألفاظ الموحية – سؤال عن شيوع الألفاظ الموحية في شعر الثورات. أسبب ذلك قوة عاطفة الشاعر؟ أم سببه قوّة قدرات الشّاعر اللغوية؟ و الجواب على ذلك كما أراه، أنّ السبب هو قوّة عاطفة الشاعر، وقوة قدراته اللغوية أيضاً، بحيث تبرز اللغة عنده مرآة للعاطفة و الخيال. و هكذا هم الناس يتفاوتون في تعبيراتهم تبعاً لاختلاف خصائصهم النفسيّة و تمكنهم من المهارات اللغوية.

وتغلب الجزالة على ألفاظ شعر الثورات، لأنّ الألفاظ في هذا الشعر تسلك في كثير من الأحيان سلوك ناظمها في الحياة، أو سلوك ممدوحه، فالحركة الدؤوب والفعل المستمر هما وجه الشبه بين لغة هذا الشعر وحياة الشاعر أو الممدوح أو المرثي. ويُظهر هذا كثرة استعمال صيغ الأفعال والمشتقات والمزيد...إلخ في هذا الشعر مما يؤدي إلى حركيّة التركيب اللغوي وعدم رتابته، وإلى ثراء البنية اللغوية بعناصر الجمال.

كما أن الألفاظ و الأحداث التّي تعبر عنها يجتمعان، من جهة الاتّصال الدلالي، في حقول معنوية مترادفة، فتكثر في القصائد الألفاظ الجزلة القويّة الدالة على سير المعارك، واستمرار الطعن، والقتل والموت، والنصر والهزيمة. وقد توافر في هذا الشعر متانة معمار لغويّ حتى صار كثير منه حصوناً منيعة وقلاعاً راسخة تثبت أن فلسفة التركيب اللّغوي – هنا – تلاقت مع فلسفة البطولة و الحرب ولذّة الانتصار ،

وهذا ليس غريباً " لأنّ في الأسلوب انعكاساً لميزات شخصية الكاتب، ولكمـال إدراكـه للحياة ولنظرته إلى العالم" [1].

ففي قصيدة ابن الرومي التي رثى فيها يحيى بن عمر الطالبي و التي مطلعها:

أَمَامَكَ فانْظُرْ أيَّ نَهْجَيْـكَ تَنْـهَجُ؟ طَريقانِ شَتَّى : مُستقيمٌ و أَعْـوَجُ [2]

وفي قصيدة الفارعة بنت طريف التي رثت فيها أخاها الوليد و التي مطلعها:

بِتَـلّ نُهـَاكَىْ رَسْـمُ قَـبْرٍ كَأَنَّـهُ عَلَىٰ جَبَلٍ فَوْقَ الجِبَـالِ مُنِيـفِ [3]

وفي قصيدة مسلم بن الوليد التي يمدح فيها يزيد بن مزيد الشيباني إثر انتصاره على ثورة الوليد بن طريف الشّاري، والتي يقول في مطلعها:

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ في الصِّبا غَـزِلِ وشَمَّرَتْ هِمَمُ العُذَّالِ في العَـذَلِ [4]

وفي قصيدة مسلم أيضاً التي مدح فيها يزيد بن مزيد الشيباني عندما قتل الأخير الوليد ابن طريف الشّاري قائد إحدى ثورات الخوارج زمن الرشيد، والتي مطلعها :

طَيْفَ الخَيالِ حَمَـدْنَا مِنْـكَ إلمامَـا دَاويْتَ سُقْماً وقَدْ هَيَّجْتَ أَسْقَامَا [5]

وفي قصيدة الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي التي مدح فيها الموفّق إثر انتصاره على ثورة يعقوب بن اللّيث الصّفّار، و التي مطلعها :

نَعَبَ الغُرَابُ عَدِمْتُـه مِـنْ نَاعِـبِ وَصَبا فُؤَادِي لادِّكَـارِ حَبَـائِبي [6]

---

(1) ذات الكاتب الإبداعية وتطور الأدب. م . خرابتشينكو. ترجمة : نوفل نيوف وعاطف أبو جمرة. وزارة الثقافة السورية. ١٩٨٠م . ص ١٤٤

(2) ديوان ابن الرومي: ج٢ / ص ٢٣ .

(3) وفيات الأعيان: ج٥ / ص ٨٥ ، الكامل : ج٥ / ص ٩٨ ، الأغاني : ج١٢ / ص ٨٥.

(4) ديوان مسلم بن الوليد : ص١

(5) المصدر السابق : ص ٦١.

(6) الطبري : ج٩/ ص ٥١٩.

وفي أغلب قصائد شعر الثورات أيضاً، نجد أن الروح الحماسيّة الثّورية قد ظهرت في معظم الحقول المعنويّة حيث تشير الألفاظ في هذه القصائد و غيرها من شعر الثورات إلى دلالات تنقلك إلى جوّ المعارك وتجعلك تشعر بلذّة الانتصار.[1]

ونجد في ألفاظ شعر الثورات ظاهرة التكرار، وأكثر ما يكون في القصائد الطويلة حيث يكرر الشّاعر الألفاظ التي تحمل معاني البطولة و القوّة و الشّجاعة و دحر الأعداء، و الانتصار عليهم، أو أن تتكرر الألفاظ عنده في أكثر من قصيدة كما فعل مسلم بن الوليد عندما مدح يزيد بن مزيد الشيباني في قصيدتين، إذ كان يكرّر ألفاظاً بعينها في كلتيهما، فهو يقول في القصيدة الأولى:

لولا يزيدُ لأَضْحَىٰ الملكُ مُطَّرحاً   أو مَائِلَ السَّمكِ أو مُسْترخِيَ الطِّوَلِ[2]

بينما يقول في القصيدة الثانية:

لولا يزيدُ وأيّامٌ لَهُ سَلَفَتْ   عاشَ الوليدُ معَ الغَاوِينَ أعْوامَا[3]

ويقول في القصيدة الأولى :

سَلَّ الخليفةُ سَيْفاً مِنْ بَنِي مَطَرٍ   أَقَامَ قَائِمُهُ مَنْ كَانَ ذَا مَيلِ[4]

بينما يقول في قصيدته الثانية :

سَلَّ الخليفَةُ سَيْفاً مِنْ بَنِي مَطَرٍ   يَمْضِي فَيَخْتَرِقُ الأَجْسَادَ و الهامَا[5]

ونراه يقول في القصيدة الأولى :

لا يَرْحَلُ النّاسُ إلاَّ نَحْوَ حُجْرَتِهِ   كالبَيْتِ يُضْحِي إليهِ مُلتقَىٰ السُّبُلِ[6]

---

[1] للاطلاع على النصوص الكاملة لهذه القصائد، راجع "الفصل الخاص" وهو الفصل الأخير في هذه الدراسة.

[2] ديوان مسلم بن الوليد : ص ٧ .

[3] المصدر السابق : ص ٦٢

[4] المصدر السابق : ص ٧.

[5] المصدر السابق : ص ٦٣ .

[6] المصدر السابق : ص ١٠

ويقول في قصيدته الثانية :

تَرَىٰ العُفَاةَ عُكُوفاً حَـوْلَ حُجْرَتِـهِ يَرْجُونَ أَرْوَعَ رَحْبِ الباعِ بَسَّاما [1]

من الواضح أنّ مسلم بن الوليد يريد أن يثبت صفات القوّة و الكرم على ممدوحه فيلجأ إلى تكرار الألفاظ التي تعبر عن ذلك مما يجعل الصورة تتكرر عنده أيضاً.

ونجد مثل ذلك في قصيدة ابن الرومي التي رثى فيها يحيى بن عمر الطالبيّ، فهو يكـرر الألفاظ الدّالة على القتل والموت والدموع. فهو مثلاً يقول:

أَكُـلَّ أَوانٍ للنَّبيِّ مُحَمَّـدٍ قَتِيلٌ زَكِـيٌّ بِالـدِّمَاءِ مُضَـرَّجُ [2]

ويقول في القصيدة نفسها:

فَـإِنِّي إِلىٰ أَنْ يَـدْفِنَ القَلْـبُ دَاءَهُ لِيَقتُلُني الـدَّاءُ الـدَّفِينُ لأَحْـوَجُ [3]

ويقول أيضاً :

فَقَدْ أَلْجَمَتْهُمْ خِيْفَـةُ القَتْـلِ عَـنْكُمُ وبِالقَوْمِ حَاجٌ فِي الحَيَازِمِ حُـوَّجُ [4]

ويصوغ شعراء الثورات أكثر جملهم منطلقين من الفعل لا من الاسم، ويكثرون مـن استعمال الفعل المضارع، وذلك حرصاً منهم على إبراز مزايا الممدوحين أو المـرثيين مـن خلال أعمالهم أو أقوالهم التي يدل الفعل المضارع على استمرارها، كما يساعد هذا الفعـل الشعراء في إبراز عنصر الحركة والثورة في هذا الواقع الذي يرسمونه بكلماتهم.

والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها:

– قول أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطالبيّ : [5]

وأَضْحَوا يُرجُّـون الشَّـفَاعَةَ عِنْـدَهُ وَلَيْسَ لِمَـنْ يَرْميـهِ بِـالوِتْرِ يَشْـفَعُ

فَيُغلَـبُ مَغْلُـوبٌ، ويُقْتَـلُ قَاتِـلٌ و يُخفَضُ مَرْفُوعٌ ، ويُـدْنىٰ المرفَّـعُ

---

[1] المصدر السابق : ص ٦٤ .

[2] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ٢٣.

[3] المصدر السابق : ج٢/ ص ٢٥ .

[4] المصدر السابق : ج٢/ ص ٢٨ .

[5] مروج الذهب : ج٤ / ص ١٤٩ .

- وقول صاحب الزّنج : [1]

نَسُوقُ السُّيُوفَ بِدَفْعِ الحُتُوفِ ... وُنْكِي الجِرَاحَ بِكَفّ الجِرَاحْ

ونَسْمُو سَمَاحَاً أكُفّ السَّمَاح ... بِقِسْمِ رِمَاحٍ و بِيْضٍ صِفَاحْ

- وقول ابن الرومي في مدح صاعد بن مخْلد :[2]

يزين و يحمي وهو في السِّلم زينةٌ ... لمن يرتديه ، وهو في الحرب مِزْوَدُ

- وقول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن مزيد الشيباني : [3]

يَغْشَىٰ الوَغَىٰ وشِهَابُ الموتِ في يَدِهِ ... يَرْمِي الفَوَارِسَ والأَبْطَالِ بالشُّعَلِ

يَنَالُ بِالرِّفقِ ما يَعْيَا الرِّجَالُ بِهِ ... كالمَوتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَىٰ مَهَلِ

إن مقاييس اللّفظة المفردة التي هي جسد المعنى، ومركز دائرة التشكيل الفني في شعر الثورات تنسجم مع جمالية النقد العربي الذي وضع ميزاناً يخصّ ألفاظ الشعر الجيد. هذه المقاييس اللّفظية كانت – كما رأينا – من خصائص لغة شعر الثورات.

٢- التراكيب :

وهي الجمل و العبارات التي تكون الأبيات والقصائد، وتنشأ العبارة من مفردات تنظم بطريقة مخصوصة.

ولأثر التراكيب البالغ في إنجاح العمل الأدبي، كان لزاماً على كلّ دارس للخصائص الفنية في الشعر أن يجعلها في صميم دراسته، إذ بها نستطيع معرفة مدى سهولة التركيب والنّظم، وخلوّه من التعقيد و المعاظلة و الإغراب. وبها نكشف عن مدى التزام الدقة في صياغة الجملة حتى لا تحتمل أكثر من دلالة، كما أن تلك الدراسة توضح مدى تطبيق قواعد اللغة. يُضاف إلى هذا أن دراسة التراكيب تدلنا على مدى مراعاة مقامات التقديم و التأخير، والحذف و الذكر، ونحو ذلك.ثم إنّ من أهداف هذه الدراسة أن تبين مواطن الجمال في الصورة وموافقتها للذوق وما يتطلبه ذلك من تلاؤم الألفاظ مع المعاني وتآخي الألفاظ فيما

---

(1) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥.

(2) ديوان ابن الرومي : ج٢ /ص ١٢٤.

(3) ديوان مسلم بن الوليد : ص ٩.

بينها وانسجام نسق الكلام كله، فـ "جمال الصورة هو تناسب واعتدال في العلاقات بين أجزائها، تتوافق به مع النفس، فتنفذ إليها بمضمونها المتمثل في تلك العلاقات، فتحدث فيها انسجاماً خاصّاً، أو هزّات انفعالية خاصة، هي مصدر المتعة بالصّورة، والإحساس بجمالها".[(١)]

واللّفظة المفردة هي اللبنة الأساسية في معمار القصيدة، وللعلاقات التي تقيمها هذه اللفظة مع ما يجاورها، ومع المعنى والإيقاع بالغ الأهمية في الحكم على ما يقدمه الشاعر، ولا ننسى في هذا المجال أهمية النظام البنائي للجملة. أو القيمة البليغة لنظرية النظم، فقديماً قال الجرجاني : " وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها".[(٢)]

وشعر الثورات السياسية في العصر العباسي حريّ أن يولي كل هذه الأمور من عنايته نصيباً، وبعد التملّي الطويل من هذا الشعر وفق ما تقتضيه دراسة التراكيب، خلصت إلى عدد من الملحوظات، ويمكن ذكر أهمّها على النحو التالي:

عُني شعراء الثورات بوضوح التراكيب، وسهولة التعبير، فلا يجد المتلقي صعوبة في إدراك مقاصد الشاعر من العبارة. فهذا إبراهيم بن عبدالله بن حسن يقول: [(٣)]

كَيْفَ اعتِذَارِي إلىٰ الإلٰهِ ولَمْ ... يُشْهَرْنَ فِيكِ المَأْثُورةُ القُضُبُ
ولَمْ أَقُدْ غَارَةً مُلَمْلَمَةً ... فِيهَا بَنَاتُ الصَّرِيْحِ تَنْتَحِبُ

إن المتلقي لهذا الشعر يدرك أن إبراهيم يلوم نفسه على عدم إعلان الثورة على السلطة العبّاسية، حيث يشهر في وجوههم السّيوف و الرماح ويقتحم قصورهم على ظهور الخيل.

وهذا الشّاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي يقول: [(٤)]

في صَدْرِهِ كالوِجَارِ مِنْ يَدِهِ ... يَغِيبُ فِيهَا السِّنَانُ والفَتَلُ

[(١)] المعنى الشعري في التراث النقدي، حسن طبل، القاهرة : مكتبة الزهراء (د.ت). ص ١٦٥.

[(٢)] دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دمشق ١٩٨٣م، ص ٣٩.

[(٣)] الطبري : ج٨ / ص ٥٤٥ – ٥٤٦ ، مقاتل الطالبيين: ص ٢٢٨ – ٢٢٩.

[(٤)] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٧ – ٥٥٨ .

يَمِيْــلُ مِنْــهَا و المَــوتُ يَحْفِــزُهُ كَمَــا يَمِيْــلُ المُــرَنَّحُ الثَّــمِلُ

فمن يقرأ هذه الكلمات يدرك أن الشاعر يصف المرثي يحيى بن عمر الطالبي.

وعندما نقرأ قول علي بن محمد بن جعفر العلوي في مدح يحيى بن عمر الطالبي، حيث يقول : (١)

وَكَأَنَّــهُ قَمَــرٌ تَمَنْطَــقَ في أُفْــقِ السَّــمَاءِ بِــدَارَةِ البَــدْرِ

يَــابْنَ الــذِي جُعِلَــتْ فَضَــائِلُهُ فَلَــكَ العُــلَا و قَلَائِــدُ السُّــوَرِ

ندرك أن الشاعر يصبغ يحيى بصفات جميلة و رائعة، وذلك إعلاءً لقيمة هــذا الرجــل الثّائر.

أما الفارعة بنت طريف فيتجلّى ذلك الوضوح في التراكيب وتلك السهولة في التعبير في قصيدتها التي رثت فيها أخاها الوليد، وأغلب الظّن أنّ للعاطفة الصادقة و الملتهبة أثراً قويّاً في ذلك. فها هي تستنفر قومها ليأخذوا بثأر أخيها الذي قتله العبّاسيّون، وتــبين كيــف أن الأرض اهتزّت لمقتله، مشيرة إلى خيانة الدهر الدائمة للأكارم من الناس الذين لا يبرحــون فعل المعروف، فهي تقول : (٢)

أَلا يَــا لِقَــوْمِي لِلحِمَــامِ ولِلْبِلَــى ولِلأَرْضِ هَمَّــتْ بَعْــدَهُ بِرُجُــوفِ

أَلا يَــالِقَومِي لِلنَّوائِــبِ و الــرَّدَى ودَهْــرٍ ملــحٍّ بِــالكِرَامِ عَنِيْــفِ

كما أنّ المتلقي يدرك أنّ ما يريده مسلم بن الوليد من قوله : (٣)

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَــادَاتٍ وَثِقْــنَ بِهَــا فَهُــنَّ يتبعْنَــهُ في كُــلِّ مرْتَحَــلِ

هو أن الطير قد تعوّد أكل لحم القتلى الذين يقتلهم يزيد بن مزيد في حروبه، وفي هــذا دلالة على انتصاراته الدائمة على أعدائه.

---

(١) مروج الذهب : ج٤ / ص ١٥٢ .

(٢) وفيات الأعيان: ج٥ / ص٨٥ – ٨٦، الكامل : ج ٥/ ص ٩٨- ٩٩، الأغاني : ج ١٢ / ص ٨٥- ٨٦.

(٣) ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد : ص ١٢.

ويعمد شعراء الثورات في سبيل تقريب المعاني إلى وسائل أخرى غير سهولة اللغة، فقد يستعينون بالعناصر اللغوية الشارحة، كأسلوب النسبة، وأسلوب التفضيل، ونحوهما مما يعدّ وسيلة سهلة وسريعة لنقل مضمون الكلام، ومن ذلك قول مسلم بن الوليد : [1]

إِذَا الشُّرَيْكِيُّ لَمْ يَفْخَرْ عَلَى أَحَدٍ ... تَكَلَّمَ الفَخْرُ عَنْهُ غَيْرَ مُنْتَحِلِ

وقوله أيضاً : [2]

خَيرُ البريَّةِ آبَاءً إِذَا ذُكِرُوا ... وأَكْرَمُ النَّاسِ أَخْوالاً وأَعْمَامَا

ولا تنفصل تراكيب شعر الثورات عن الإنشائية التقليدية في الشعر العبّاسي حيث الاهتمام بالنّعوت، والمزاوجات اللفظية، والمحسنات البديعية و المعنوية كالطّباق، والجناس، وحسن التقسيم ...إلخ. ولنلاحظ هذا في الأبيات الآتية :

يقول الهيثم بن عبدالله الخثعمي :[3]

والسَّابِقَاتُ الجِيَادُ فَوْقَهُمُ ... والبِيْضُ و البَيْضُ و القَنَا الذُّبُلُ

ويقول أحمد بن طاهر : [4]

فيُغْلَبُ مَغْلُوبٌ، ويُقْتَلُ قاتِلٌ ... ويُخْفَضُ مَرْفُوعٌ، ويُدنَى المرفَّعُ

ويقول صاحب الزّنج :[5]

نَسُوقُ السُّيُوفَ بِدَفْعِ الحُتُوفِ ... وننكي الجِرَاحَ بِكَفِّ الجِرَاحْ

ونَسْمُو سَمَاحاً أَكُفَّ السَّمَاحِ ... بِقِسْمِ رِمَاحٍ وبِيْضٍ صِفَاحْ

ويقول مسلم بن الوليد : [6]

أَغرُّ أَبيضُ يغشَى البِيْضَ أَبْيَضُ لا ... يَرْضَى لمولاهُ يَومَ الرَّوعِ بالفَشَلِ

---

[1] المصدر السابق : ص ١٥.

[2] المصدر السابق : ص ٦٤.

[3] مقاتل الطالبيين: ص ٥٥٧.

[4] مروج الذهب : ج٤ / ص ١٤٩.

[5] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥.

[6] ديوان مسلم بن الوليد : ص ٨.

ويقول ابن الرومي : [1]

أَبَى اللهُ إلاّ أَنْ يَطِيبُوا وتَخْبُثُوا وأَنْ يَسْبِقُوا بالصّالحاتِ و تُفْلِحُوا

إلى غير ذلك من الأبيات الكثيرة التي تبين أن شعر الثورات لم يخرج عن الإنشائية التقليدية التي كان يتّسم بها الشّعر العبّاسي.

ومما يمكن أن نلمحه في تراكيب شعر الثورات، أنها حوت عبارات تحمل شحنة من الحكمة، تصلح بذلك أن تقال و تردّد في مقامات متشابهة للتي قالها فيها الشاعر.

من ذلك قول القاسم بن إبراهيم أخي " ابن طباطبا " :[2]

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَرَى الدُّنيا مُعَطَّلَةً بِعَيْنِ مَنْ لَمْ يَخُنْهُ الخِدْعُ و المَلَقُ

فَلْيَأْتِ دَاراً جَفَاها الأُنْسُ مُوحِشَةً مَأْهُولَةً حَشْوُهَا الأَشْلاءُ والخِرَقُ

وكذلك قول الهيثم بن عبدالله الخثعمي : [3]

والمَوْتُ مَبْسُوطَةٌ حَبَائِلُهُ والنَّاسُ نَاجٍ مِنْهُ ومُحْتَبِلُ

مَنْ تَعْتَلِقْهُ تَفُتْ بِهِ أَبَداً ومَنْ نَجَا يَوْمَهُ فَلا يَئِلِ

ومنه قول صاحب الزّنج : [4]

وإِذَا تُنَازِعُني أَقُولُ لَهَا قَرِي مَوْتٌ يُرِيحُكِ أَوْ صُعُودُ المِنْبَرِ

ما قَدْ قُضِي سَيَكُونُ فاصْطَبِري لَهُ ولَكِ الأَمانُ مِنَ الّذي لَمْ يُقْدَرِ

وكقول ابن الرومي : [5]

وليسَ البُكَا أَنْ تَسْفَحَ العَيْنُ إِنَّما أَحَرُّ البُكَاءَيْنِ البُكَاءُ المُوَلَّجُ

---

(1) ديوان ابن الرومي: ج٢ / ص ٢٩.

(2) مقاتل الطالبيين: ص ٥٥٤.

(3) المصدر السابق: ص ٥٥٩.

(4) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : م ٤ – ج٨ – ص ١٢٨.

(5) ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ٢٥ .

ومما نجد أيضاً في تراكيب شعر الثورات أنّ الشعراء وُفّقوا إلى مدى بعيد في الملاءمة بين غرض التركيب و بين صفة الأسلوب من الجزالة والقوّة. وهذه سمة غالبة على هذا الشعر، لا لشيء سوى أنه شعر يعبّر عن واقع مليء بالصراع والحروب والقتال، فهو موزع في أكثره، بين المدح و الرّثاء : مدح القادة الذين انتصروا على الثورات أو مدح قادة الثورات، ورثاء حارّ لقادة الثورات المقتولين. وكلا هذين الغرضين الشعريين يحتاج إلى التراكيب الجزلة القويّة التي تلهب مشاعر النّاس و تحفزّهم.

يقول القاسم بن إبراهيم في رثاء أخيه " ابن طباطبا" : [١]

يا شخص من لو تكون الأرض فديته	ما ضاق منّي بها ذرع و لا خلق
بَيْنَا أُرجّيكَ تَأْمِيلاً وأُشْفِقُ أَنْ	يَغْبَرَّ مِنْكَ جَبِيْنٌ وَاضِحٌ يَقَقُ

ويقول الهيثم بن عبدالله الخثعمي في رثاء أبي السرايا: [٢]

فَبِكِّهِمْ بالدِّمَاءِ إِنْ نَفَدَ الدَّمْـ	ـعُ فَقَدْ خَانَ فِيهِمُ الأَمَلُ
لا تَبْكِ مِنْ بَعْدِهِمْ عَلَى أَحَدٍ	فَكُلُّ خَطْبٍ سِوَاهُمُ جَلَلُ

ويقول أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطالبي : [٣]

فَقَدْنَا العُلا و المجدَ عِنْدَ افتِقَادِهِمْ	وأَضْحَتْ عُرُوشُ المكْرُمَاتِ تَضَعْضَعُ
فَقَدْ أَقْفَرَتْ دَارُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	مِنَ الدِّينِ والإِسْلامِ، فَالدَّارُ بَلْقَعُ

ويقول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر: [٤]

أَيَحْيى العُلا لَهفِي لِذِكْرَاكَ لهفَةً	يُباشِرُ مكواهَا الفُؤَادُ فَيَنْضَجُ

ويقول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن مزيد الشيباني : [٥]

يَفْترُّ عِنْدَ افترارِ الحَرْبِ مُبْتَسِماً	إِذا تَغَيَّرَ وَجْهُ الفَارِسِ البَطَلِ

---

[١] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٥ .

[٢] المصدر السابق : ص ٥٥٦- ٥٥٧ .

[٣] مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٨ – ١٤٩ .

[٤] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ٢٤.

[٥] ديوان مسلم بن الوليد : ص ٩.

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَـومِ ذِي رَهَـجٍ كَأَنَّـهُ أَجَـلٌ يَسْـعَى إِلى أَمَـلِ

يَنَالُ بِالرِّفقِ مَا يَعْيَـا الرِّجَـالُ بِـهِ كالموتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَـى مَهَـلِ

ويقول ابن الرومي في مدح صاعد بن مَخْلد :[1]

فَلَمّا تَـوَلَّى الأَمْـرُ، نُكِّـرَ مُنْكَـرٌ وعُرِّفَ مَعْرُوفٌ، وأُصْـلِحَ مُفْسَـدُ

وأَصْبَحَ شَمْلُ النَّـاسِ وَهْـوَ مُؤَلَّـفٌ وَعَهْدِي بِشَمْلِ النَّاسِ وَهْـوَ مُبَـدَّدُ

يريد كلا الشاعرين أن يجلي معاني الشجاعة و الكرم في ممدوحه، ويلجأ إلى الخيـال، فينتخب الألفاظ و العبارات ذات الضّجيج والفخامة.

وللصّدق الفنّي علاقة لا تنكر بجمال التعبير وتآلف عناصره، لأن الأسـلوب يسـاير أحوال النفس في اضطرابها وسكونها، وثوراتها و هدوئها،وهذا هو ما ينبغي وهو الأصـل. وإنما يتحقق الصدق الفني عند مطابقة الشعر للواقع النفسي و الشعوري عند الشـاعر [2]، ولكن قد يحدث أن يتكلّف الشاعر، ويعمل عقله في إنشاء تعابير و خلق صور، فتصـطبغ بصبغة العقل و لا تحمل عاطفة أو حركة نفس، وبناءً عليه ينفر المتلقّي ولا يجد ما يـروي ذوقه و لا ما يمتعه. وهذا ما يقودنا إلى ذكر ظاهرة ضعف التأليف و هشاشة الربط الـتي ظهرت في شعر الثورات فهذا الشعر لم يَخْلُ و لم يسلم من هذه الظاهرة، وإن كان ذلـك قليلاً.

ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلويّ في رثاء يحيى بن عمر :

يَـا بَقَايَـا السَّـلَفِ الصَّـا لِحِ و التَّجْـر السـرَّبيحِ

نَحْـنُ للأَيْـتَـامِ مِنْ بَيْـ ـنِ قَتيـلٍ و جَـرِيْحِ [3]

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ١١٧.

[2] انظر : أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، القاهرة : نهضة مصر. (د.ت)، ص ٤٢٦ .

[3] مروج الذهب : ج٤ / ص ١٥٠.

وقول الشاعر يزيد بن محمد المهلّبي في صاحب الزنج :

أَيُّهَا الخَائِنُ الَّـذِي دَمَّـرَ البَصْـ ـرَةَ أَبْشِـرْ مِـنْ بَعْـدِهَا بِـدَمَارِ
إِنْ تَقُلْ جَـدّيَ الـنَّبِيُّ فَمَـا أَنْـ ـتَ مِنَ الطَّيِّـبِينَ والأَخْيَـارِ [1]

وكذلك قول يحيى بن محمد الأسلميّ في صاحب الزّنج :

أَيْـنَ نُجُـومُ الكَـاذِبِ المَـارِقِ مَـا كَـانَ بالطِّـبِ و لا الحَـاذِقِ

وهكذا غابت المتعة لما رحل الجمال، ورحل الجمال حين لم يجد نظماً حسناً، و لم يوجد النّظم الحسن لما فقد الإحساس الشاعري.

٣- المعجم الشعري:

ولابد في هذا السياق من دراسة معجمية بسيطة لشعر الثورات، تبصـرنا بالعلاقـات الوشيجة بين ألفاظ هذا الشعر وقضاياه الأساسية، وسأختار نماذج يفيد معجمها اللّفظي في معرفة البُنى الدلالية في هذا الشعر، وفي تحديد المجال المعنوي للألفاظ.

استمد معظم شعراء الثورات ألفاظهم من معجم الحرب و القتال، وهذا أمر طبيعـي، لأنّ الواقع يفرض ذلك عليهم، فساحات القتال وكثرة القتلى وأدوات الحرب، كل ذلـك لابد أن يؤثر عليهم فينعكس في شعرهم.

فهذا إبراهيم بن عبد الله بن حسن، قائد إحدى الثورات يقول : [2]

والسَّابِقَاتُ الجِيَـادُ والأَسَـلُ الـذُّ بَّـلُ فيهَـا أَسِـنَّةٌ ذُرُبُ
حَتَّى نُـوفِّي بَـنِي نُتَيْلَـةَ بالـ ـقِسْطِ بِكَيْلِ الصَّاعِ الذي احتلبُـوا
بالقَتْـلِ قَـتْلاً وبِالأَسِـيرِ الَّـذي في القَدِّ أَسْـرَى مُصْـفُودَةٌ سُـلُبُ

إنه يذكر أدوات الحرب ونتائجها من قتل وأسر.

---

(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٤.

(٢) الطبري : ج٨ / ص ٥٤٦ ، مقاتل الطالبيين : ص ٢٢٩.

ويذكر الشاعر غالب بن عثمان الهمداني أثناء رثائه لإبراهيم بن عبدالله بـن حسـن، ألفاظاً تدلّ على القتال ووجود الحرب، فهنالك القتيل والجنود، و القنا، والسـيوف...إلخ، يقول : [1]

وَقَتِيـلُ بـَاخَمْرِىٰ الـذي — نـادىٰ فـأَسْمَعَ كَـلَّ شَـاهِدْ

قَـادَ الجنـُودَ إلى الجنـُو — دِ تزحُّـفَ الأُسْـدِ الحَـوارِدْ

بالمرْهفَـاتِ و بالقنَـا — والمبرقَـاتِ و بالرّواعـدْ

وكذلك فإن ابن الرومي عندما يرثي يحيى بن عمر الطالبي تتردّد في قصيدته ألفاظ تدل على القتال و البطولة و القتل. فهو يقول : [2]

كَـأنّي أَرَاهُ و الرّمَـاحُ تَنوشُـهُ — شَوارِعُ كَالأَشْطَانِ تُـدْلىٰ وتُخلَـجُ

كَأنّي أَراهُ إِذْ هَـوىٰ عَـنْ جَـوادِهِ — وعُفِّرَ بـالتُّربِ الجَبَينُ المشَـجَّجُ

وتظهر مثل هذه الألفاظ أيضاً عند مسلم بن الوليد أثناء مدحه ليزيد بن مزيد الشيباني فيذكر (يوم الرّوع، صمصامة، المنايا، أسنته، سرجه، ضرغاما)، يقول:[3]

أَرْدَىٰ الوليدَ هُمامٌ مِـنْ بَـنِي مَطَـرٍ — يزيدُهُ الرَّوعُ يَـومَ الـرَّوعِ إِقْـدَاما

صَمْصَامةٌ ذَكَرٌ يَعْـدُو بِـهِ ذَكَـرٌ — في كَفِّه ذَكَرٌ، يَفْـرِي بِـهِ الهامَـا

تمضِي المنايَـا كمَـا تَمضِـي أَسِـنَّتُهُ — كَأَنَّ في سَرجِهِ بَـدْراً و ضـرْغامًا

و من جهة أخرى فقد أكثر شعراء الثورات من إبراز جانب الكرم و حسـن الخلـق، وبعض الصّفات الاجتماعية المحمودة، وذلك في ممدوحهم و في مرثيهم أيضاً. فكثـرت في قصائدهم الألفاظ الدّالة على تلك الصفات.

فهذا الشاعر غالب بن عثمان الهمداني يقول في رثاء إبراهيم بن عبدالله بن الحسن :[4]

كَيفَ بعدَ المهْـدِيِّ أَوْ بَعْـدَ إِبـْرا — هيمَ نَومي علـىٰ الفِـرَاشِ الـوَثيرِ

---

[2] مقاتل الطالبين : ص ٣٨٤ .

[2] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ٢٦.

[3] ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦٥.

[4] مقاتل الطالبين : ص ٣٨٥.

وهُمُ الذّائِدُونَ عَـنْ حُـرَمِ الإسْـــــلامِ و الجَابِرُونَ عَظْـمَ الكَسِــيرِ

أما الشاعر أحمد بن طاهر عندما يرثي يحيى بن عمر الطالبي يرى أن يحيى و أمثاله مـــن الطالبيين قد زيّنوا الإسلام، ولذلك حزن عليهم الإسلام عندما قتلوا، ومن ثمّ حزن المسلمون و توقعوا أنّ الدنيا قد انتهت بنهاية يحيى و غيره من الطالبين.يقول : [1]

سَلامٌ على الإِسْـلامِ فَهْـوَ مُـوَدِّعُ ... إذا مَـا مضَـى آلُ الـنَّبيِّ فوَدَّعُـوا

فَقدنَا العُلا والمجـدَ عنـدَ افتقـادِهِمْ ... وأَضْحَتْ عُروشُ المكرُماتِ تَضَعْضَعُ

وهذه الشاعرة الفارعة بنت طريف تضع في أخيها الوليد كل صفات الكرم و الشّجاعة و السّيادة و النّبل، فتقول : [2]

تَضَـمَّنَ مَجْـداً عُـدْمَلِياً وسُـؤْدُدَاً ... وهِمَّـةَ مِقْـدامٍ ورَأْيَ حَصِـيفِ

فَتىً لا يحبُّ الـزَّادَ إلاَ مِـنَ التُّقَـى ... ولا المالَ إلاَّ مِـنْ قَنَـاً و سُيُوفِ

حَليفُ النَّدَى ما عَاشَ يَرضَى بهِ النَّدَى ... فإنْ مَاتَ لا يَرضَى النَّـدَى بحليْـفِ

ويبالغ مسلم بن الوليد في وصف يزيد بن مزيد الشيباني بالكرم والشجاعة والمـروءة، وغيرها من الصفات الاجتماعية المحمودة، فيقول: [3]

لا يَرْحَلُ النَّـاسُ إلاَّ نَحْـوَ حُجْرتِـهِ ... كالبيتِ يُضحي إليهِ مُلتقَـى السُّـبُلِ

صَافِي العِيانِ طَمُـوحُ العَـيْنِ هِمَّـتُهُ ... فَكُّ العُنَاةِ وأَسْـرُ الفَاتِـكِ الخَطِـلِ

يَأبَى لسانُك مَنْعَ الجودِ سائِلَهُ ... فَمَا يلجْلجُ بَـينَ الجُـودِ و البَخَـلِ

وكذلك فإن ابن الرومي أسبغَ على ممدوحه صاعد بن مَخْلد صفات الكرم و النّبـل و الشرف، فحشد لذلك كلّ الألفاظ الدالة على هذه المعاني. يقول : [4]

---

(١) مروج الذهب : ج٤ / ص ١٤٨ .

(٢) وفيات الأعيان: ج٥ / ص ٨٥- ٨٦ ، الكامل : ج٥/ ص ٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج١٢ / ص ٨٥-٨٦ .

(٣) ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٠ – ١٣- ٢٣ .

(٤) ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ١١٦ – ١١٧.

تجاوزَ أنْ يَسْتأنِفَ المجْدُ بالنّدَى وفي كُلِّ مااسْترْفَدْتَه فَهْوَ أجْودُ

وَمَنْ لمْ يزدْ في مَجْدِه بَذْلُ مَالِهِ - وجَادَ بهِ - فَهْوَ الجَوادُ المقلّدُ

ويستخدم ابن المعتز ألفاظاً تحمل معاني الكرم والعطاء، وإظهار حسن شخصية الممدوح، وذلك عندما يمدح الموفّق إثر انتصاره على الزّنج، فيقول: [1]

سَرِيْعٌ إلىٰ الأَعْداءِ أَمّا جَنَانُهُ فَمَاضٍ وَأمّا وَجْهُهُ فَجَمِيْلُ

يَقْرِي السُّؤَالَ العُذْرُ مِنْ بعدِ مالِهِ وَيَسْتَصْغِرُ المعرُوفَ حِينَ يُنِيلُ

وهناك ملاحظة تلحّ علي كي أذكرها، وهي تأثر شعر الثورات بألفاظ القرآن الكريم، فقد غلب على قصائد هذا الشعر بروز ألفاظ مستمدة ومقتبسة من القرآن الكريم. وسأذكر بعض الشّواهد على سبيل المثال لا الحصر.

فهذا الشاعر غالب بن عثمان الهمداني يقول : [2]

وأشَاحُوا للمَوْتِ مُحْتَبِسي الأَنْـ ـفُسِ للهِ ذِي الجَلالِ الكَبِيرِ

فأنه أخذ لفظتي " ذي و الجلال " من قوله تعالى ﴿ **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [3].

أما الشاعر الهيثم بن عبدالله الخثعمي فيقول : [4]

وَاللهُ أَمْلَىٰ لَهُمْ وَأَمْهَلَهُمْ وَاللهُ فِي أَمْرِهِ لَهُ مَهَلُ

فمن الواضح أنّه استمد كلمة " أمهلهم " من قوله تعالى ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾ [5].

---

[1] ديوان ابن المعتز: ج١ / ص ٣٧٠.

[2] مقاتل الطالبيين: ص ٣٨٥ .

[3] سورة الرحمن : الآية ٧٨ .

[4] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٧.

[5] سورة الطارق : الآية ١٧.

ونجد عند الشاعر يحيى بن خالد بن مروان قوله : [1]

يَهْوِيْ إِلى حَـرِّ الجَحِـيمِ وَ قَعْرِهَـا بِسَلاسِـلٍ قَـدْ أَوْهنَتْـهُ ثِقَـالِ
هَذَا بما كَسَبَتْ يَـدَاهُ و مَـا جَـنَىٰ وبِمَا أَتَـىٰ مِـنْ سَـيِّئِ الأَعْمَـالِ

فإنّ هذا القول يقودنا إلى تذكّر قوله تعالى : ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** ﴾ [2] ، كما يلحظ تأثره بقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ [3].

وهذا ابن الرومي في قوله : [4]

تَبيعُـونَ فيـهِ الـدِّينَ شَـرَّ أَئِمَّـةٍ فللّهِ دِيـنُ اللهِ قَـدْ كَـادَ يَمْـرَجُ

يستمد قوله " دين الله " من قوله تعالى ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ [5].

ونجده أيضاً في قوله : [6]

أَلَا خَابَ مَنْ أَنساهُ مِـنكُمْ نَصِـيْبهُ مَتَاعٌ مِنَ الـدُّنْيَا قَلِيْـلٌ و زِبْـرِجُ

يستمد بعض ألفاظه من قوله تعالى﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى**﴾[7].

كما نجد أن مسلم بن الوليد في قوله : [8]

تَشَاغَلَ النَّـاسُ بالـدُّنيا و زُخْرُفِهَـا وأَنْتَ مِنْ بَذْلِكَ المعْروف في شُـغُلِ

---

[1] الطبري : ج٩ / ص ٦٦٤ -٦٦٥ ، الكامل : ج٦ / ص ٥٤.

[2] سورة الحاقة : الآيات : ٣٠ - ٣١ - ٣٢ .

[3] سورة الطور : الآية ٢١.

[٦] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ٢٣.

[5] سورة آل عمران : الآية ٨٣.

[6] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ٢٣.

[7] سورة النساء : الآية ٧٧.

[8] ديوان مسلم بن الوليد: ص ٢٢.

يستمد ألفاظه من قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا ﴾ [1].

وختاماً، لا يخفى على من يطّلع على هذه الشريحة الصغيرة من المعجم اللّغوي لشعر الثورات ظهور الرّوح الحماسية في معظم الحقول المعنويّة حيث تشير الألفاظ إلى أفكار تذكّر بالحرب، والشجاعة ، والموت، ولذّة الانتصار.

رابعاً : الموسيقى و الإيقاع الشّعري:

موسيقى الشعر هي أوزانه وقوافيه وإيقاعاته. و " الوزن أعظم أركان حدّ الشعر وأولاها به خصوصية " [2]، و " القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر"[3]. وأما الإيقاع فهو:" فن في إحداث إحساس مستحب، بالإفادة من جرس الألفاظ، وتناغم العبارات، واستعمال الأسجاع و سواها من الوسائل الموسيقية الصائتة " [4].

والعلاقة بين الشعر والموسيقى عضوية، تنظمها ميول النفس الإنسانية ورغباتها التي يؤثر فيها من الشعر إيقاعه قبل كلّ شيء [5]، وهذا يعود إلى " ميل النّفوس إلى المتّزنات و المنتظمات" [6].

وقد وضع البلاغيون شروطاً لاختيار ألفاظ الشعر، وطريقة نظمها في الجمل و جعلوا من ذلك تلاؤم حروف اللّفظة وسلاسة أصواتها، وانسجامها مع أخواتها في الجملة، ليخرج الكلام خفيفاً على اللسان لذيذاً في السمع [1].

---

[1] سورة يونس: الآية ٢٤.

[2] العمدة .ابن رشيق : ج ١ / ص٩٩.

[3] المصدر السابق : ج١ / ص١١٠ .

[4] المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤، ط٢، ص٤٤.

[5] يقول ابن طباطبا في " عيار الشعر" ص ١٤ :"فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تمّ قبوله واشتماله عليه".

[6] جوامع علم الموسيقى " من قسم الرياضيات من كتاب الشفاء " – ابن سينا، تحقيق زكريا يوسف، الإدارة العامة للثقافة ١٩٥٦ م، ص ٢٠.

وكان هذا الاهتمام بأمر الموسيقى الشعرية يرجع إلى أهميتها في الشعر، وكونها عنصراً لا يستغنى عنه، لأن الشعر يؤثر بعوامل، من أهمها الإطراب بالصوت، وتحريك المشاعر بالنّغم.

وللموسيقى أثر بيّن في إتمام الصورة الشعرية، وجعلها ترقى إلى درجة إثارة المتلقي وإطرابه، فالصورة الشعرية كلام بليغ ينْقُل به الأديب تجربته، ويضمّنه أكبر قدر ملائم من المؤثرات التعبيرية، والموسيقا هي من تلك المؤثرات، فإن كانت الصورة في مقام حزن ساعدت الموسيقا على استدرار الحزن لدى المتلقين، وإن كان المقام مقام فرح، جاءت الموسيقا خفيفة راقصة مطربة، وهكذا، فالصورة الشعرية تعتمد على موسيقا الوزن و القافية والإيقاع لتُعين على إبراز التجربة الشّعوريّة عند الشاعر، ولتحدث التأثير و تحقق الإمتاع لدى المتلقّي.

أ- الوزن :

تعارف الشعراء العرب منذ القدم على طرق خاصة لنظم الشعر، واتّخذوا قوالب صوتية، لا يحيد عنها الشاعر إلاّ شذوذاً.

ولّما جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي، استخرج تلك الضوابط، ووضع لها القواعد، وسمّاها بحور الشعر. فهناك بحر الطويل، وهناك البسيط وهناك الوافر، وغيرها.

ولم يخرج شعر الثورات عن بحور الطويل والبسيط و الكامل والخفيف، والرمل والمنسرح و المديد والرّجز و المتقارب و الوافر.

---

[١] انظر : سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص ٦٣ وما يليها، وص ٩٢ و ما يليها.

انظر الجدول الآتي:

البحر الشعري	عدد القصائد	عدد المقطوعات	عدد الأبيات
الطويل	٧	٥	٤٨١
البسيط	٥	١	١٥٦
الكامل	٣	٣	٦٠
الخفيف	٤	٢	١٢٦
المنسرح	٢		٦٤
الرمل		٢	١٠
المديد	١		١٠
الرجز	١	٢	٤٢٤
المتقارب	١	٢	١٧
الوافر		١	١

ويمكن القول : إن بحور الطويل والبسيط والكامل تمثل واجهة أشعار شعر الثورات السياسية.

ومن الجدير بالذكر أن قصائد هذه البحور، قد جاءت مستهدفة غرضي المديح والرثاء بشكل واضح، ويمكن أن نستنبط من ذلك أنّ الشاعر كان يختار الأوزان الطويلة رغبةً في الوفاء بأغراض يتسع فيها الكلام وتطول فيها الجمل. وبخاصة مثل هذين الغرضين: المديح و الرثاء، وهما غرضان رسميان يلقيان في جمهور الناس، ويحتاجان إلى فخامة الكلام ورزانة الأوزان.

ولكن، هل كان الشاعر من شعراء الثورات يختار البحر الشعري عن عمد ووعي، أم استجابة للعاطفة بعفوية، وبدون قصد ؟!

وقبل الإجابة، يحسن الإشارة إلى موقف النّقاد من هذه المسألة، حيث افترقوا على فرقتين: فمنهم من يقول: إنّه لا علاقة بين الوزن الشعري والموضوع [1]. وهذا يعني أن الأمرين متساويان، عمد الشاعر إلى الوزن أم لم يعمد إليه. ومنهم من يرى ضرورة اختيار الشاعر للوزن قبل الشّروع في النظم، وذلك لعلاقة الوزن بالموضوع و الغرض، فهناك أوزان طويلة جادّة، وهناك أوزان خفيفة مرحة [2].

وأمّا الإجابة عن السؤال، فنأخذها من رأي شاعر وناقد، فهو بها أولى، إذ يقول حازم القرطاجني: " فحقيق عليه – يعني الشاعر – إذ قصد الرؤية أن يحضر مقصده في خياله وذهنه، والمعاني التي هي عمدة له، بالنسبة إلى غرضه ومقصده...ثمّ يضع الوزن والرويّ بحسبهما" [3]

وهذا يعني أن الشاعر من شعراء الثورات، وبخاصة شعراء الدرجة الأولى، كان يعمد عمداً إلى اختيار الوزن في أكثر شعره المتّصل بالثورات، لأنّه كان يقصد فيه الرويّة لا البديهة والارتجال، فأكثره من شعر المديح، وكما يرى حازم القرطاجني أن هناك " أعاريض فخمة رصينة تصلح لمقاصد الجدّ، كالفخر ونحوه، نحو عروض الطويل والبسيط...وأمّا المقاصد التي يقصد فيها إظهار الشجوّ والاكتئاب، فقد تليق بها الأعاريض التي فيها حنان ورقّة... وذلك نحو المديد والرمل " [4]

---

(١) من أولئك : د. عز الدين إسماعيل في كتابه " التفسير النفسي للأدب "، وكذلك عبد الفتاح عثمان في كتابه " نظرية الشعر".

(٢) من أولئك : ابن طباطبا في كتابه " عيار الشعر" وكذلك أبو هلال العسكري في كتابه " الصناعتين ".

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني : ص ٢٠٤.

(٤) المرجع السابق : ص ٢٠٥.

والواقع أن الحكم بنشوز الوزن عن الغرض أمر صعب، لأنّ البحرلا يقوم وحده في تحقيق الموسيقى، فهناك النّغم الداخلي الخفي الذي يحدث إيقاعات معيّنة. فالمعوّل عليه في مناسبة القصيدة لموضوعها ليس البحر الشعري، بل الكميّات الإيقاعية في هذا البحر. [1]

ولننظر الآن في شعر الثورات من زاوية البحر وحده، يقول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن مزيد الشيباني: [2]

طَيْفَ الخَيالِ حَمَدْنا مِنْكَ إلمامَا ... دَاوَيْتَ سُقْماً وقَدْ هَيَّجْتَ أَسْقَاما

لِلّهِ واشٍ رَعَى زَوْراً أَلَمَّ بِنَا ... لَو كَانَ يَمنعُنَا في النَّومِ أَحْلامَا

بِتْنا هُجُوداً وبَاتَ اللّيلُ حَارِسَنَا ... حَتّى إذا الفَلَقُ استَعْلَى لَهُ نَامَا

قَدْ قُلْتُ والصُّبْحُ عِنْدِي غيرُ مُغْتَبِطٍ ... مَا كَانَ أَطْيَبَ هَذَا اللّيلَ لَوْ دَامَا

هكذا بدأ مسلم قصيدته بمقدمة غزلية، والأبيات جاءت ضمن قصيدة في المديح بلغت سبعة وثلاثين بيتاً، قالها الشاعر في مدح القائد الشّهم الهمام، يزيد بن مزيد الشيباني، وهو القائد العبّاسي الذي أحرز الكثير من الانتصارات على الناهضين للسلطة العباسيّة.

وقد جاءت القصيدة على بحر البسيط التام، وتفعيلاته: [3]

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ... مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

فتوافق مع سياق المدح الذي شغل أكثر القصيدة، فاستوعب معاني المديح القائمة على التوسّع و طول العبارات، و لم نشعر بضيق البيت و قصره، كما نشعر بأنّ الوزن أوسع من عبارات المديح، بل جاءت المعاني متوازنة مع الوزن، وجاء الوزن ملائماً لموقف مديح رجل شهم من الوجهاء و الأكابر.

---

[1] وهي فواصل الزمن التي تستغرقها بين الإيقاع في النطق. للمزيد في هذا المجال راجع : " فن الشعر" لابن سينا، ص ١٦١ – و " في الأدب والنقد " لمحمد مندور، ص ٣٠ – و " في البنية الإيقاعية للشعر العربي" ، كمال أبو ديب، ط٢، بيروت ١٩٨١م.

[2] شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد:ص٦١– ٦٢

[3] بحور الشّعر العربي"عروض الخليل"،د.غازي يموت،بيروت:دار الفكر اللبناني،ط٢ ،١٩٩٢م ،ص٦٥.

ولنقرأ من القصيدة قوله : [١]

تَرَىٰ العُفَاةَ عُكُوفاً حَـوْلَ حُجْرَتِـهِ ... يَرْجُونَ أَرْوَعَ رَحْبِ البَـاعِ بَسَّـامَا

يَقُولُ: لا ونَعَمْ، في وَجْـهِ حَمْـدِهِما ... كِلتاهُما منهُ قَدْ تَمضِـي لمَـا رَامَـا

مَنِيَّةٌ في يَـدَيْ " هَـارونَ " يَبعَثُهَـا ... عَلَىٰ أَعاديهِ إِنْ سَـامَىٰ وإِنْ حَامَـا

خَـيرُ البرِيَّـةِ آبَـاءً إذا ذُكِـرُوا ... وَأَكْرمُ النَّـاسِ أَخْـوَالاً وأَعْمَامَـا

تَظَلَّمَ المَـالُ والأَعْـداءُ مِـنْ يَـدِهِ ... لا زَالَ لِلْمَـالِ و الأَعْـدَاءِ ظَلاَّمَـا

وكذلك قوله : [٢]

أَذْكَرْتَ سَـيْفَ رَسُـولِ اللهِ سُـنَّتَهُ ... وَبأْسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّىٰ ومَـنْ صَـامَا

إِنْ يَشْكُرِ النَّاسُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَـنٍ ... فَقَدْ وَسِـعْتَ بَـنِي حَـوَّاءَ إِنْعامَـا

قَطَعْتَ في اللهِ أَرْحَامَ القَرِيـْبِ كَمَـا ... وَصَلْتَ في اللهِ أَرْحَامَـاً و أَرْحَامَـا

إِذَا الخِلاَفَةُ عُدَّتْ كنْتَ أَنْـتَ لهَـا ... عِزّاً وكَانَ " بَنُو العَبَّـاسِ " حُكَّامَـا

على هذا النمط انطلق الشاعر في مديحه، وانسابت نفسه بمعان ثرّة استوعبها البحر البسيط برحابة، وأضحى الأسلوب معها مترابطاً داخل البيت في عبارة واحدة يشدّ آخرها أوّلها، وتنتهي بنهاية آخر تفعيلة في البيت. ففي المجموعة الأولى من الأبيات السّابقة يبيّن الشاعر كرم ممدوحه وجوده و سخاءه الذي بلغ أعظم حدّ، ويضمّن ذلك مدحاً لطيفاً لنسب يزيد، إذ يبيّن أنه خير النّاس و أكرمهم نسباً من جهة الآباء و من جهة الأخوال.

ثم يردف الشاعر في المجموعة الثانية من الأبيات السابقة بمعاني متصّلة بسابقاتها، وهو أن جميل صنائع يزيد قد وسعت كلّ بني البشر، ثم يمتدحه بشجاعته و قدرته القياديّة الفذّة، حيث يجعله عزّاً للخلافة العبّاسية، بينما يكون بنو العبّاس حكّاماً وملوكاً.

إنّ هذه المعاني المنثالة عبر موضوع المديح، قد حملها البحر البسيط، بفضل تفعيلاته الطويلة المكررّة. وجاء غرض المديح محقّقاً ما تقتضيه الحال من الهدوء، وبسط المعاني.

---

[١] شرح ديوان مسلم بن الوليد:ص٦٤.

[٢] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦٦ – ٦٧ .

وعلى ذلك يمكننا القول بملاءمة الوزن للغرض، ومناسبته لعاطفة الشاعر.

وبجانب قصائد البحور الطويلة في أغراض المديح و نحوه، نقرأ لشعراء الثورات قصائد و مقطوعات في الرثاء و الغزل و الفخر، صاغها شعراؤها على بحور غير تلك التي ذكرناها آنفاً (الطويل و الكامل والبسيط)، أي على بحور أخرى كالخفيف والمنسرح و الرمل و المديد والرجز وغيرها.

فهذه قصيدة إبراهيم بن عبدالله بن حسن، قائد إحدى الثورات، والتي قالها متأسياً على حال أهله و محرضاً على الثورة، والتي يقول فيها: [١]

يَا حَلَقَ القَيْدِ مَا تَضَمَّنَ مِنْ	حِلْمٍ و بِرٍّ يَشُوبُه حَسَبُ
وأُمَّهَاتٍ مِنَ العَوَاتِكِ أَخْـ	ـلَصْنَكَ بِيضٌ عَقَائِلٌ عُرُبُ
كَيْفَ اعتِذَارِي إلى الإلَهِ و لَمْ	يُشْهَرْنَ فِيكِ المَأْثُورَةُ القُضُبُ

فالقصيدة على البحر المنسرح، وتفعيلاته : [٢]

مستفعلن مفعولات مفتعلن	مستفعلن مفعولات مفتعلن

لقد تساوت عبارات الشاعر مع وزن البحر، ولذلك فلا يبدو أي نشوز بين الوزن و الغرض، أو بين الوزن و العاطفة، فمما لا شكّ فيه أنّ عاطفة الشاعر في هذه القصيدة ملتاعة و حارّة وملتهبة، وتأثره شديد على حال أهله، مما أدّى إلى ضيق و قلق و اضطراب، ولهث في الأنفاس، فجاءت عباراته خفيفة، تتناسب مع حالته النّفسية المضطربة الثائرة، فهداه ذلك كلّه إلى هذا الوزن القصير الخفيف.

ومما ينبغي ذكره هنا، أن الميل نحو الاتجاه القائل بأن لكل غرض بحراً يناسبه، لا يعني أن نفرض على الشّاعر إطاراً معيّناً من الوزن، فإن في الأمر سعةً، والشعراء قد نظموا على كلّ الأوزان في كلّ الأغراض [٣] .

---

[١] الطبري : ج٨ / ص٥٤٥-٥٤٦ ، مقاتل الطالبيين: ص ٢٢٨- ٢٢٩.

[٢] أوزان الشعر و قوافيه، د. محمد أبو الفتوح شريف، دبي : دار القلم،ط ١، ١٩٨٨م، ص٩٠ .

[٣] انظر : موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، بيروت :دار القلم – ط ٤ – ص١٩٥.

ففي شعر الثورات مقطوعات نظمها الشعراء على بحور طويلة، كالطويل والكامل والبسيط، وذلك في أغراض العتاب والغزل والوصف، وجاءت متوائمة متّفقة. فهذا صاحب الزّنج في مقطوعته التي يخاطب فيها بني العبّاس معاتباً إياهم على توليتهم للأتراك و محذراً من إشعال نار الفتنة بين العبّاسيين و الطالبيين الذي ادّعى النسب إليهم، يقول: [١]

بني عَمّنَا لا تُوقِدُوا نَارَ فِتنَةٍ ... بَطيءٍ عَلىٰ مَرِّ اللَّيَالِي خُمودُهَا

بَنِي عَمّنَا إنّا وأنتُمْ أنامِلٌ ... تَضَمّنَها مِنْ راحَتَيْهَا عُقُودُهَا

بَنِي عَمّنَا ولّيْتُمُ التُّرْكَ أمْرَنَا ... بَدِيئاً وأعْقَاباً و نَحْنُ شُهُودُها

فالمقطوعة من بحر الطويل، انسابت عاطفة الشاعر فيها مع تفعيلات هذا البحر الطويلة. إنّ موضوع العتاب يحتاج إلى شرح و عبارات طويلة، وقد كان بحر الطويل بتفعيلاته الممتدة حرياً باستيعاب التعبير المنساب، المتوازي مع حركات النفس الهادئة المتأملة.

وهناك مقطوعة لصاحب الزّنج في الغزل، نظمها على بحر الطويل أيضاً ، ونراه يقول في هذه المقطوعة : [٢]

ولمّا تبيّنْتُ المنَازلَ بالحِمَىٰ ... و لمْ أقْضِ منْها حاجَةَ المتَورِّدِ

زَفَرْتُ إليهَا زَفْرةً لو حَشَوْتُها ... سَرَابيلَ أبْدانِ الحديدِ المسَرَّدِ

لرقّتْ حواشِيها، وظَلّتْ متونُهَا ... تَلينُ كمَا لانَتْ لِدَاودَ في اليَدِ

كما أن له بيتين، يصف فيهما حواره مع نفسه، نظمهما على بحر الكامل، يقول فيهما: [٣]

وإذَا مَا تُنازِعُني أقُولُ لهَا قَري ... مَوْتٌ يُريحُكِ أو صُعُودُ المنْبرِ

مَا قَدْ قُضِي سَيَكُونُ فاصْطَبِري لهُ ... ولَكِ الأَمَانُ مِنَ الّذي لمْ يُقْدَرِ

---

[١] ذيل زهر الآداب: ص ١٥٦- ١٥٧ .

[٢] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : م ٤ – ج٨ – ص ١٢٨.

[٣] المصدر السابق .

وفي هذا ردّ على من يقول بمناسبة بحر دون غيره لموضوع من الموضوعات، فقد نظم شعراء الثورات موضوعات متشابهة على أبحر مختلفة، وموضوعات مختلفة على أبحر متشابهة، فالمعوّل عليه في مناسبة موسيقا القصيدة لموضوعها ليس البحر الشعري، بل الكميّات الإيقاعية في هذا البحر. ولهذا ميّز قدامى النّقاد العرب بين الوزن و الإيقاع تمييزاً يقوم على النّغم و تقسيم الزمان بالحروف، فقال ابن فارس مفرّقاً بين العروض و الإيقاع" " إنّ أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض و صناعة الإيقاع، إلاّ أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنّغم، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف" [١].

ب-القافية :

" القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر" [٢] ، وهي " عبارة عن الحرفين الساكنين اللّذين في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة، ومع المتحرّك الذي قبل السّاكن الأول" [٣].

وتظهر أهميّة القافية من جهة كونها أصواتاً تتكرّر في نهايات الأبيات، مشكّلة جزءاً أصيلاً من موسيقا الشعر، يتردّد في لحظات زمنية منتظمة [٤] .

وفي القافية حرف واحد يتردّد في نهايات أبيات القصيدة وبه تعرف القصيدة، ويسمّى هذا الحرف : الروي، فإذا كان هذا الحرف راءً مثلاً، قلنا قصيدة رائية.

و القافية " كلّ ما يلزم الشاعر إعادته في سائر الأبيات من حرف و حركة. هذا هو المفهوم من تسميتها قافية، لأن الشاعر يقفوها أي يتبعها ، فتكون قافية بمعنى مقفوّة"[٥]. وهذا يدلّ على أثرها في تنظيم دقّات الإيقاع، وقيادتها النّغم في اتجاه واحد، فيحس الشاعر بحاجته إليها، وإلى تنويع استعمالها لإغناء موسيقا شعره التي هي صورة عن غنى انفعالاته

---

[١] الصاحبي في فقه اللغة ، لابن فارس، القاهرة ١٩١٠م ، ص ٢٣٠.

[٢] النغم الشعري عند العرب، محمد عبد المنعم خفاجي، الرياض: دار المرّيخ، (د.ت)، ص ٢٣١ .

[٣] العمدة ، ابن رشيق القيرواني: ج ١/ ص ١١٠.

[٤] انظر : موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص ٢٨٩ .

[٥] المعيار في أوزان الأشعار، والكافي في علم القوافي، لأبي بكر الشنتريني الأندلسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دمشق ١٩٧م. مكتبة دار الملاح. ص ١١٥ .

وتنوّعها، عدا عن أن القافية تسهم في ثراء الثروة اللّفظيّة للشاعر حين تضطرّه إلى إحياء مفردات خارج الاستعمال اليومي، فيبعثها من جديد، ويتداولها بشكلها القديم، كما تضطره إلى التصرّف في أبنية اللّغة تصرّفاً يدفعه إليه انفعاله. يقول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبيّ: [1]

وَكَيْفَ نُبَكِّي فائِزاً عِنْدَ رَبِّهِ ... لَهُ فِي جِنَانِ الخُلْدِ عَيْشٌ مُخَرْفَجُ

سَلامٌ ورَيْحَانٌ ورَوْحٌ ورَحْمَةٌ ... عَليكَ و مَمْدُودٌ مِنَ الظِّلِّ سَجْسَجُ

إِذَا شِيْمَ بِالأبْصَارِ أَبْرَقَ بيضُهُ ... بَوارِقُ لا يَسْتَطِيعُهُنَّ المُحَمَّجُ

ومَا بِكُمْ أَنْ تَنْصُرُوا أوليَاءَكُمْ ... ولكنْ هَنَاتٌ في القُلُوبِ تَنَجْنَجُ

إنّ القافية اضطرت ابن الرومي إلى استخدام مفردات غريبة، هي خارج الاستعمال اليومي، و يحتاج من يقرؤها إلى شرحها أو العودة إلى معاجم اللغة ليتبين معناها.

و إذا أردنا أن نتبين موسيقا شعر الثورات، فلا غنى لنا عن الكلام على أنواع القافية، و عيوبها وأحرف رويّها، وما يترتب على ذلك من إسهامها في تحقيق التأثير في المتلقين.

فأما أنواع القافية، فمن حيث الإطلاق و التقييد [2] ، جاء في شعر الثورات قصيدتان و مقطوعة واحدة على قافية مقيّدة، وأولى القصيدتين هي قصيدة غالب بن عثمان الهمداني التي يرثي فيها إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قائد إحدى ثورات الطالبيين و التي يقول فيها: [3]

وَقَتِيلُ بَاخَمْرَى الَّذي ... نَادى فَأَسْمَعَ كُلَّ شَاهِدْ

قَادَ الجُنُودَ إلى الجُنُو ... دِ تَزَحُّفَ الأُسْدِ الحَوَارِدْ

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ صَرِيـ ... ـعِ غَيْرِ ممهُودِ الوَسَائِدْ

([1]) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٣ – ٣٠، والمخرفج : الواسع. سجسج: اللين الهواء المعتدل. المُحمج : الغائر العينين. النجنجة: التحريك و التقليب. (ديوان ابن الرومي : ج٢ /ص ٢٣ – ٣٠)

([2]) القافية المطلقة: هي التي رويها متحرك. و القافية المقيدة هي التي رويها ساكن. (انظر: ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص ١١٩)

([3]) مقاتل الطالبيين: ص ٣٨٤ –٣٨٥.

أما القصيدة الثانية ذات القافية المقيّدة، فهي قصيدة صاحب الزّنج التي يفتخر فيها بنفسه و بمن معه، فيقول: [1]

لَقَدْ عَلِمَتْ هَاشِمٌ أَنَّنَا ... صِبَاحُ الوجُوهِ غَدَاةَ الصِّياحْ

وأَنَّا إذا زَعْزَعَتْ في الوَغَى ... ذُيولُ الرِّيَاحِ ذُبُولُ الرِّمَاحْ

نَسُوقُ السُّيُوفَ بِدَفْعِ الحتُوفِ ... وننكي الجِرَاحَ بِكَفِّ الجِرَاحْ

والمقطوعة ذات القافية المقيّدة هي لابن المعتز، وهي التي يمدح فيها الموفّق ويذكر إصابته بالجرح الذي أصابه في إحدى معاركه مع الزّنج، يقول فيها: [2]

يَا نَاصِرَ الإِسْلامِ عِشْ ... واسْلمْ عَلَى رَيْبِ الزَّمنْ

شَقَّ الجُمُوعَ بِسَيْفِهِ ... وشَفَى حَزَازاتِ الإِحَنْ

دَامِي الجِرَاحِ كَأَنَّهَا ... وَرْدٌ تَفَتَّحَ في غُصُنْ

وأما بقية قصائد و مقطوعات شعر الثورات فتنتهي بقوافي مطلقة، وهذا أمر معتاد عند الشعراء، فإنهم لا ينظمون على الروي الساكن إلاّ قليلاً، ويعلّل إبراهيم أنيس هذه الظاهرة بأن الروي السّاكن إنما يلائم القصيدة التي تُغنّى، لأنّ السكون يساعد على مدّ الصوت بالرويّ [3] . لكن هذا التعليل غير مقنع فيما يبدو لي، لأن الأصل في الشعر العربي أن يكون وثيق الصلة بالترنّم، حتى ولو لم يكن للغناء في المحافل، ثمّ إن الرويّ المتحرّك لا يعيق عن التّغنّي بالشعر، لأن الحركة تمد و تشبع فيظهر السكون.

---

[1] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥.

[2] ديوان ابن المعتز : ج١ / ص ٣٨٨

[3] انظر : موسيقا الشعر، ابراهيم أنيس، ص ٢٨٩.

هذا ويمكن تقسيم شعر الثورات ذي القوافي المطلقة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قوافيه مجرّدة من الرّدف و التأسيس [(١)]، ويشمل إحدى عشرة قصيدة ، وأربع مقطوعات، منها القصيدة التي مطلعها: [(٢)]

يَــا دارُ دارَ غُــرورٍ لا وفَــاءَ لهَــا حيثُ الحوادِثُ بــالمكْرُوهِ تَسْــتَبِقُ

وقصيدة ابن الرومي التي مطلعها: [(٣)]

أَمَامَكَ فانْظُرْ أيَّ نَهْجَيْــكَ تنْــهَجُ؟ طَريقانِ شَــتَّى: مُسْــتَقيمٌ وأَعْــوَجُ

والثــانــي : قوافيه مردفة، ويشمل ثماني قصائد، وأربع مقطوعات. منها القصيدة الــتي مطلعها: [(٤)]

بِتَــلٍّ نُهَــاكَى رَسْــمُ قَــبْرٍ كَأنَّــهُ عَلَى جَبَــلٍ فَــوْقَ الجِبَــالِ مُنِيْــفِ

وقصيدة الزّط التي مطلعها: [(٥)]

يا أَهْلَ بَغْــدَادَ مُوتُــوا دَامَ غَــيْظُكُمُ شَــوْقاً إلى تَمْــرِ بَــرْنِيٍّ و شُــهْريزِ

أما الثالث : فقوافيه مؤسسة، ويشمل ثلاث قصائد، ومقطوعة واحدة. منها القصيدة الــتي مطلعها : [(٦)]

نَعَبَ الغُرابُ عَدِمتُــهُ مِــنْ نَاعِــبِ وصَــبا فُــؤَادِي لادّكَــارِ حَبَــائِبِي

وقصيدة مسلم بن الوليد التي مطلعها: [(٧)]

طَيفٌ الخَيالِ حَمَــدْنَا مِنْــكَ إلمامَــا داويْتَ سُقْماً و قَدْ هَيَّجْتَ أَسْــقَاما

[(١)] الردف: حرف لين ساكن قبل الروي. والتأسيس : ألف يفصلها عن الروي حرف واحد متحرك (انظر : ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص ١١٥ -١١٦)

[(٢)] مقاتل الطالبيين : ص٥٥٣.

[(٣)] ديوان ابن الرومي: ج٢ / ص ٢٣-٣٠، مقاتل الطالبيين: ص ٦٤٦ -٦٦٢.

[(٤)] وفيات الأعيان: ج٥ /ص٨٥-٨٦، الكامل : ج٥/ ص٩٨-٩٩، الأغاني: ج١٢/ ص٨٥-٨٦.

[(٥)] الطبري : ج٩/ ص ١٠-١١.

[(٦)] المصدر السابق: ج٩/ص ٥١٩-٥٢٠.

[(٧)] شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ٦١- ٦٨.

و أما أنواع القافية من جهة عدد الحروف المتحركة فيها، فهي ثلاثة أقسام:

الأول : المتواتر [١] ، وفيه إحدى عشرة قصيدة، وست مقطوعات، ومنها المقطوعة الـتي يقول فيها صاحب الزّنج : [٢]

وإنّـــا لَتُصْـــبِحُ أسْـــيافُنا   إذَا مــا اصْــطَبَحْنا بيَــومٍ سَــفُوكِ
مَنَــابِرُهُنَّ بُطُــونُ الأكُــفّ   و أغْمَــادُهُنَّ رؤُوسُ الملــوكِ

وكذلك القصيدة التي مطلعها: [٣]

ذَادَ عَــنْ مُقلَــتِي لذيــذَ المنــام   شــغلُها عنْــهُ بالــدُّموعِ السِّــجَامِ

و الثاني : المتدارك [٤] ، وفيه خمس قصائد، وثلاث مقطوعات. ومنها المقطوعة الـتي مطلعها : [٥]

وإذَا تُنَــازِعُني أقُــولُ لهَــا قَــرِي   مَــوْتٌ يُريحُــكِ أو صُــعُودُ المِنْــبرِ

والقصيدة التي مطلعها : [٦]

أبَــيْنَ ضُــلُوعِي جَمْــرَةٌ تتوقَّــدُ   عَلَىٰ مَا مَضَىٰ أَمْ حَسْــرَةٌ تتجَــدّدُ ؟

أمّا الثالث : فالمتراكب [٧] ،وفيه خمس قصائد فقــط. ومنــها القصــيدة الــتي مطلعها: [٨]

مَا ذِكْرُكَ الدِّمنَــةَ القِفَــارَ و أهْــــلُ الــدَّارِ إمَّــا نــأوكَ أو قَرُبُــوا

---

[١] هو أن يقع متحرك واحد بين ساكني القافية.(انظر : ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص ١٢١) .

[٢] ذيل زهر الآداب: ص ١٥٦.

[٣] ديوان ابن الرومي : ج٦ / ص١٣١- ١٣٦ .

[٤] هو أن يتوالى حرفان متحركان بين ساكني القافية.(انظر : ميزان الذهب، أحمد الهاشمي،ص١٢١) .

[٥] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: م ٤ –ج٨ – ص١٢٨ .

[٦] ديوان ابن الرومي: ج٢/ ص١١١ - ١٢٧ .

[٧] هو أن يتوالى ثلاثة حروف متحركة بين ساكني القافية. (انظر ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص١٢١) .

[٨] مقاتل الطالبيين: ص ٢٢٨-٢٢٩، الطبري " ج٨ / ص٥٤٥-٥٤٦.

وقصيدة مسلم بن الوليد التي مطلعها: (١)

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَليعٍ في الصِّبا غَـزِلِ وَشَمَّرَتْ هِمَمُ العُـذَّالِ في العَـذَلِ

و أما عيوب القافية في شعر الثورات، فهي قليلة جداً، وقد لا تخرج عمّا يأتي :

أ- سناد الحذو: " وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الرويّ المتحرك " (٢) ، وذلك في سبع قصائد، منها قصيدة إبراهيم التي يقول فيها: (٣)

ما ذِكْرُكَ الدِّمْنَـةَ القِفَـارَ و أَهْـ ـلُ الـدَّارِ إمَّـا نَـأَوْكَ أَوْ قَرُبُـوا

إِلاَّ سَفَاهَاً وقَـدْ تَضَـرَّعَكَ الشَّيْـ ـبُ بِلَـوْنٍ كَأنَّـهُ العَطَـبُ

فقافية القصيدة في البيت الأول هي (قربوا)، ورويّها (الباء)، وحركة ما قبل الروي (الضمّة) لكن الشاعر غيّر هذه الحركة إلى (الفتحة) في البيت الثالث ، فقال : (٤)

وَ مَرَّ خَمْسُونَ مِـنْ سِـنِيكَ كَمَـا عَـدَّ لَـكَ الحاسِـبُونَ إِذْ حَسَـبُوا

كما غيّر هذه الحركة إلى (الكسرة) في البيت الرابع، فقال : (٥)

فَعِدِّ ذِكْـرَ الشَّـبابِ لَسْـتَ لَـهُ و لا إِليـكَ الشَّـبَابُ مُنْقَلِـبُ

ثم أخذ يراوح بين هذه الحركات الثلاث (الضمة والفتحة والكسرة).

و يتضح أثر سناد الحذو في موسيقا الصورة الشعرية عندما نكرر قراءة هذين البيتين من قصيدة القاسم بن إبراهيم في رثاء أخيه " ابن طباطبا " قائد إحدى ثورات الطالبيين، يقول فيها : (٦)

مَاذَا تَضَمَّنْتَ يَا ذَا اللَّحْدِ مِنْ مَلِـكٍ لَمْ يَحْمِـهِ مِنْـكَ عِقْيَـانٌ و لا وَرِقٌ

بَلْ يَا أَيُّهَا النَّازِحُ المرمُـوسُ يَصْحَبُهُ وَجْدٌ و يَصْحَبُهُ التَّرْجِيْـعُ و الحُـرَقُ

---

(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد:ص ١ — ٢٣ .

(٢) انظر : ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص١٢٥ .

(٣) الطبري : ج ٨ / ص ٥٤٥ ، مقاتل الطالبيين : ص ٢٢٨.

(٤) المصدران السابقان .

(٥) المصدران السابقان .

(٦) مقاتل الطالبيين: ص٥٥٤ .

وندرك حينئذ اختلاف النغمة، " ولاشك أن التزام حركة بعينها قبل الروي، مما يكسب القافية نغماً و موسيقا" [1] . و أما اختلاف الحركات فيقلّل من انســجام الأصــوات و انتظامها في نسق واحد.

و مع أن سناد الحذو شائع في الشعر العربي، و لم يجد فيه الشعراء من بأس [2] ، إلاّ أن اجتنابه يحقق توالي الحركات المتشابهة في أواخر الأبيات، وهذا التشابه طريقة سهلة لإطراب السامع، ومسلك جميل لشدّ انتباهه، و على الخصوص في البحور الطويلة، فإن السامع يرتاح للنّغمة المتكررة في آخر البيت، لكونها تشكّل فاصلة واضحة في السمع. [3]

ب–و من عيوب القافية في شعر الثورات، الإقواء : وهو تحريك الــرويّ بحــركتين مختلفتين غير متباعدتين [4] . و قد وقع هذا العيب في مقطوعة واحدة فقط لصاحب الزّنج وهي التي يقول فيها : [5]

عَلَيْكَ سَــلاَمُ اللهِ يَــا خَــيْرَ مَــنْزِلٍ خَرَجْنَا و خَلَّفْنَاهُ غيرَ ذَمِيمِ

فَإِنْ تَكُــنِ الأَيَّــامُ أَحَــدثْنَ فُرقَــةً فَمَنْ ذَا الذي مِــنْ رَيْبِــهِنَّ سَــلِيمُ

فمن الواضح اختلاف حركة الرويّ في البيتين، إذ هو مكسور في البيت الأول، بينمــا نراه مضموماً في البيت الثاني.

هذا عن القافية، فماذا عن الرويّ ؟

استعمل شعراء الثورات سبعة عشر حرفاً من حروف الهجــاء وجعلوهــا رويّــاً في قصائدهم. وهذه الحروف حسب أكثرها استعمالاً هي : اللام، والراء، والميم، والــدال،و

---

[1] موسيقا لشعر، إبراهيم أنيس، ٢٩٤.

[2] انظر : المرجع السابق .

[3] للاطلاع على قصائد بها سناد الحذو، راجع القصائد الآتية : قصيدة الهيثم الخثعمي في رثاء أبي السرايا، وقصيدة علي بن محمد العلوي في مدح يحيى بن عمر الطالبي، وقصيدة ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي، وقصيدة مسلم ابن الوليد في مدح يزيد بن مزيد الشيباني والتي مطلعها: أجررت حبل خليع في الصّبا غزل.......

[4] انظر : ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص ١٢٣.

[5] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: م ٤ – ج٨ – ص١٢٧؛ معجم الشعراء، للمرزباني، ص ١٣٠

القاف،و الباء، والحاء، والنون، والعين، والجيم، والفاء، والزاي، والياء، والسين، والهاء، والصاد، والكاف.

ونستنتج من ذلك أنّ شعراء الثورات لم يحيطوا بحروف الهجاء كلّها، حيث أهملوا جزءاً منها ليس ببسيط.

ولا أعتقد أن إهمال شعراء الثورات لهذه الحروف جاء من قبيل العجز، إذ لو أرادوا أن ينظموا على أي منها لاستطاعوا، لكن هذه الحروف أُهمل استعمالها من قبل شعراء العربيّة جميعهم، وإقلال الشعراء منها لا يرجع إلى استعصائها و عجزهم عن النظم عليها، كما لا يرجع إلى ثقل فيها بقدر ما يرجع إلى أنها نادرة الورود في أواخر كلمات العربية. [1]

ج – **الإيقاع** : لا يخفى أن بحور الشعر أنظمة موسيقية، يبني عليها الشعراء قصائدهم و مقطوعاتهم. وتكون القصائد في موضوعات شتّى وأغراض متباينة، وتتضمن القصيدة الواحدة ألواناً من الصّور في موضوعات مختلفة تعكس مشاهد واقعية أو نفسية.

وبناء على ذلك فإن الحكم بقدرة الشاعر على الملاءمة بين الموسيقى و الغرض العام[2] ، يبقى حكماً تنقصه الدقّة. و من أجل ذلك كان من الضرورة الغوص إلى موسيقا أدق، إلى موسيقا تستظلّ بظل الوزن، إلى موسيقا تهتم بصوت التفعيلة، ونغمة الكلمة، وتتحسس جرس الحروف، وتصغي إلى صوت الحرف المضعّف، وتعنى بأهمية المد، وتبين أثر التنوين، وتكشف سرّ التكرير في حروف اللفظة، و في ألفاظ الجملة، وتبرز أسباب الزحافات و العلل، وتلقي الضوء على نغمة الجناس، وتعرض كل ما يتعلق بالقيم الموسيقية غير الوزن والقافية المجرّدين.

إن الموسيقا التي تعنى بكلّ هذه الأشياء هي موسيقا الإيقاع [3] . ودراسة الإيقاع مهمة جداً في كشف قدرة الشاعر على بناء الصورة الشعرية المؤثرة، لأن الإيقاع يعكس

---

[1] انظر : موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص ٢٧٦ .

[2] أعني المديح أو الوصف أو الرثاء، ونحوها.

[3] ويرادفها اصطلاح (الموسيقا الداخلية) الذي قال به (كودول)، وغيره. (انظر: بناء القصيدة، يوسف بكار، بيروت: دار الأندلس، ط٢، ١٩٨٢، ص١٩٣ و ما يليها).

حركات النفس العميقة، ويسهم في إبراز المشاعر الخفية، ويعين على تقرير الصورة في نفس المتلقي و تأثره بها.

وإن أبرز الملامح الإيقاعية في شعر الثورات، فخامة الأصوات وجزالتها، وشدّة وقعها على الآذان، وبخاصة أنّها مشاهد حماسة وقتال، تضمّنت الرثاء و المديح.

و من أهم الوسائل التي سلكها الشعراء في ذلك: الحروف المشددة. فإن تشديد الحرف الفخم يزيد من فخامته، ومن ذلك قول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي : [1]

أَكُـلُّ أَوَانٍ للنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... قَتِيلٌ زَكِيٌّ بالدّماءِ مُضَرَّجُ ؟

لِمَنْ تَسْتَجِدُّ الأَرْضُ بَعْدَكَ زِيْنَةً ... فَتُصْبِحُ في أَثْوابِهَا تَتَبَرَّجُ

أَلا أَيُّهَا المستَبْشِرُونَ بِيَومِهِ ... أَظَلَّتْ عليكُمْ غُمَّةٌ لا تُفَرَّجُ

ومن ذلك أيضاً قول صاحب الزّنج : [2]

وَ لَمَّا تَبَيَّنْتُ المنَازِلَ بِالحِمَىٰ ... ولَمْ أَقْضِ مِنْها حَاجَةَ المتَوَرِّدِ

زَفَرْتُ إِلَيْهَا زَفْرَةً لَو حَشَوْتُهَا ... سَرَابِيلَ أَبْدَانِ الحديدِ المُسَرَّدِ

لَرقَّتْ حَوَاشِيهَا، وظَلَّتْ مُتُونُهَا ... تَلِينُ كَمَا لانَتْ لِدَاودَ في اليَدِ

حيث وقع التشديد على أكثر من حرف، وأظهرها حرف الراء.

و من المعلوم أن الراء حرف تكراري [3] ، يرفرف اللسان حين النطق به، وهذا يعطيه صفة الفخامة والقوة، ثم إن الراء حرف مجهور، ينحبس النّفس معه ثم ينطلق محدثاً ذلك الصوت المتكرر.

ويزيد من فخامة الراء حاجتها للجهد العضلي [4]، وهي في ذلك ليست كالحاء و الهاء مثلاً. و " كلما زادت الطاقة المبذولة في نطق الصوت، ازدادت سعة ذبذبته، وازداد علوّه ". [1]

---

[1] ديوان ابن الرومي: ج٢ / ص ٢٣- ٣٠.

[2] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: م ٤- ج٨ – ص١٢٨ .

[3] انظر: الأصوات اللغوية، محمد علي الخولي، الرياض، مكتبة الخريجي، ط١، ١٤٠٧هـ، ص٩٥ .

[4] انظر : دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٠، ١٩٨٣م، ص ٢٨١.

هذه الفخامة وتلك الجلجلة جاءت ملائمة للغرض الحسي، وعوناً جيداً في تصوير عظم الكارثة عند ابن الرومي، وأدوات الحرب عند صاحب الزّنج، لأن مقام الحماسة يستلزم فخامة المقال.

واستعان الشعراء كذلك بأحرف المد، في تحقيق نوع من التفخيم، وذلك أن مما جُبل عليه الإنسان أن يمد اللفظة، ويركز على نبرة المدّ فيها، ليزيد من أثرها على السامع. و بطبيعة الحال، فإن أغلب شعر الثورات كان مديحاً، ومن عادة المدائح أن تُلقى أمام الممدوح، والإلقاء يحتاج إلى تنغيم الكلام، وإبراز الإيقاعات المهمة فيه، لأن ذلك يعين على تصوير المعاني والمشاعر، وإثارة السّامعين.

وعلى ذلك يمكن الترجيح أن شعراء الثورات كانوا يمدّون أصواقم بالكلمات التي يوحي مدّها بزيادة المعنى و المبالغة فيه، وبخاصة الكلمات الوصفية.

ومن ذلك قول الفارعة بنت طريف : [٢]

بِتَلِّ نُهَاكَىٰ رسْمُ قَبْرٍ كَأَنَّهُ عَلىٰ جَبَلٍ فَوْقَ الجِبَالِ مُنِيْفِ

أَلَا يَا لِقَوْمِي للنَّوائِبِ والرَّدَىٰ ودَهْرٍ مُلِحٍّ بِالكِرَامِ عَنِيْفِ

عَلَيهِ سَلامُ اللهِ وَقْفَاً فَإِنَّنِي أَرَىٰ الموتَ وَقَّاعَاً بِكُلِّ شَرِيفِ

حيث تصف الشاعرة أخاها المقتول فترى أنه كالجبل الذي قُتل عنده و دُفن وأنه رجل شريف كريم.

وموطن الشاهد هنا هو ألفاظ (منيف، عنيف، شريف). فإن إطالة الصوت بالياء فيها يزيد في دلالاتها، فتزداد الهيبة والهول في (منيف و عنيف) مع صوت الكلمة المدوّي، ويشعر السامع بهيبة المرثي وعظمته.

وهكذا، فإن زيادة المدّ في (شريف) يعطي إيحاءً بنبل ذلك الرجل وشهامته. ومن ذلك أيضاً، قول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن مزيد الشيباني: [٣]

---

[١] معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، الرياض: مطابع الفرزدق، ط١، ١٤٠٢ هـ، ص٥٦.

[٢] وفيّات الأعيان: ج٥ / ص٨٥ -٨٦، الكامل : ج٥/ص ٩٨-٩٩، الأغاني: ج١٢/ ص٨٥-٨٦

[٣] شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص٦٦.

أَذْكَرْتَ سَـيْفَ رَسُـولِ اللهِ سُـنَّتَهُ وَبَأْسَ أَوَّلِ مَنْ صَلّىٰ ومَـنْ صَـاما

إنْ يشْكُرِ النّاسُ ما أُوْليتَ مِنْ حَسَـنٍ فَقَدْ وَسِعْتَ "بني حَـوّاءَ" إِنْعامَـا

إن لفظتا (صاما و إنعاما) قد مدّتا بالألف، وهذا ما زاد في دلالتيهما، وأعطاهما فخامة ألقت بظلالها على أذن المتلقي فزاد التأثر عنده.

وكما استعان الشعراء بالمدّ لتحقيق فخامة الصورة فقد استعانوا بالتنوين، وذلك مـن خلال وقوعه في بعض ما يسند للممدوح من الصفات، كقول مسلم بن الوليد: (١)

مُوفٍ عَلَىٰ مُهَجٍ في يومِ ذي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَىٰ إلىٰ أَمَلِ

وكذلك قوله: (٢)

مَنِيَّـةٌ في يَـدَي هَـارونَ يَبعثُهَـا عَلَىٰ أَعَاديهِ إنْ سَـامىٰ و إنْ حَامَـا

حيث تصدّرت لفظتا (موفٍ و منيّةٌ) صدري البيتين، واللفظتان من أشرف صـفات المديح و أفخمها.

وعندما نرهف الحس الموسيقي لأثر التنوين هنا، نجده يشبه الانفجار الذي يـرن معـه الصوت مكسبا اللفظة نوعاً من القوة، وبخاصة في لفظة " موفٍ " حين ساعدت الواو والفاء مع التنوين في إضفاء مسحة جلال على اللفظة.

و من ملامح الإيقاع، أن ألفاظ شعر الثورات جاءت متوسطة في طولهـا، ولم تـرد كلمات كثيرة الحروف إلاّ نادراً. ولا ريب أن اعتدال طول اللّفظة يعين على تحقيق خفّـة الكلام و عدم استثقاله، فالكلام الثقيل على النطق يثقل في السمع، ويدعو إلى نفور السامع وعدم اهتمامه بالتعبير.

---

(١) المصدر السابق:ص ٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٦٤.

ومن النادر في شعر الثورات قول شاعر الزّط في قصيدته اليتيمة : [1]

لنَسْـفعنّكُمْ سَـفْعاً يُـذِلّ بـهِ ... رَبُّ السَّريرِ ويُشْجي صَاحِب التّيْـزِ

فلفظة (لنسفعنكم)مكونة من تسعة أحرف مع التشديد (التضعيف). ومع ذلك جاءت غير مستثقلة في النطق و السمع، فمخارج حروفها متباعدة و الذّوق لا يمجّها.

ثم إن زيادة حروفها أفاد في قوّة معناها، وبذلك توافقت مع هدف الصورة الذي أراد الشاعر به أن يبرز حجم الثأر الذي ينوي الزّط أخذه من أهل بغداد.

ومن ذلك أيضاً ، قول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي: [2]

كَأنّي بـهِ كَاللّيْـثِ يَحْمِـي عَرِيْنَـه ... وأَشْـبالَهُ لا يَزْدَهِيْـهِ المُهَجْهَـجُ

فلفظة (المُهجْهج) مكونة من سبعة أحرف. ومع ذلك جاءت غير مستثقلة في النطق والسمع، بل إن تكرار حروفها أعطاها جرساً موسيقيا أوحى بمعناهاالذي يدل على كثرة الصّياح.

وهناك ظاهرة بارزة في شعر الثورات، هي الجناس[3] . وقد كان عنصراً مساعداً في إبراز قيمة الصورة الشعرية، حيث تناسقت ألفاظه، وتناسبت أصواته، وأفاد في تقوية معنى الصورة الفنية.

ومن ذلك قول الشاعر أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطالبي: [4]

أَتَجْمَعُ عَيْنٌ بـينَ نَـومٍ و مَضْـجَعٍ ... ولابْنِ رَسُولِ اللهِ في التُّـرْبِ مَضْجَعُ

قَواطِعُكُمْ في التُّـرْكِ غَـيرُ قَواطِـعٍ ... ولكِنَّـها في آلِ أَحْمَـدَ تَقْطَـعُ

---

[1] الطبري: ج٩ / ص ١١.

[2] ديوان ابن الرومي: ج ٢/ ص ٢٦ .

[3] الجناس: فن بديعي كثير الفروع، وفي تعريفه اختلاف كثير، لكنه يدور حول جمع لفظين متشابهين في الحروف مختلفين في المعنى.(انظر : المثل السائر: ج ١/ ص ٣٧٩، وكذلك : الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق :د. عبد الحميد الهنداوي: مؤسسة المختار، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، ص ٣٣٣)

[4] مروج الذهب: ج١/ ١٤٨-١٤٩

فقد جانس الشاعر بين (مضجع) و (مضجع)، وبين (قـواطعكم) و (تقطـع) جناساً لطيفاً، تساوت فيه الحروف مع سلاسة في الصوت، ووضوح في المعنى وتنـاغم في الألفاظ.

ومن ذلك أيضاً قول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي: [١]

وليسَ البُكَا أَنْ تَسْفَحَ العَـيْنُ إِنَّمَـا أَحَـرُّ البُكَـاءَيْنِ البُكَـاءُ المُـوَلَّجُ

إِذا كُرَّ في إعراضِهِ الطَّرْف أَعْرَضَـتْ حَرَاجٌ تحارُ العَـيْنُ فيهَـا فَتَحْـرَجُ

فقد جانس بين (البكا) و (البكاءين) و (البكاء)، وبين (أعراضه) و(أعرضت)، وبين (حراج) و (تحرج) جناساً جيّداً، جاءت فيه الكلمات سلسةً في أصواتها، واضحة في معانيها، متناغمة في ألفاظها.

ومن ملامح الإيقاع في شعر الثورات، تناسب أصوات اللفظة الواحدة، فلا نكاد نجـد لفظة اجتمعت فيها حروف متقاربة في مخارجها، بشكل يجعل النطق بها عسيراً، وهذا يوافق ما درج عليه العرب، فإنهم يكرهون ما يؤدي إلى ثقل النطق باللفظة [٢]، ولا شـكّ في أنه " كلّما تباعد الحرفان المتجاوران في المخرج أو الصفة سهل النطق وتلاءمت الحروف"[٣] ، وكلّما تقاربا صعب النطق، وتنافرت الإيقاعات.

ومما تقاربت حروفه قول ابن الرومي : [٤]

لَقَـدْ أَلجْمـوكُمْ في حَبائِـلِ فِتْنَـةٍ وَلَلْملجِـوكُمْ في الحَبائِـلِ أَلْجَـجُ

فقد أورد كلمة (للملجوكم)، حيث يصعب النطق باللامين المتجاورتين، وبخاصـة أن اللاّم من الحروف التي يحتاج نطقها إلى جهد عضلي، وهذا دليل على رداءة الإيقاع. ولا ريب أنه عائق دون انسياب الموسيقا وتحقيقها للتأثير في النفوس.

---

[١] ديوان ابن الرومي: ج٢/ ص ٢٥-٢٧.

[٢] انظر : سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص ٥٧، ٦٤.

[٣] موسيقا الشعر، ابراهيم أنيس، ص ٣٥.

[٤] ديوان ابن الرومي: ج ٢ /ص ٢٣.

وجاءت ألفاظ شعر الثورات متناسبة الأصوات داخل الجملة، فلا نجد جملاً متنافرة الألفاظ بسبب تكرار الأصوات و تقاربها، فلا نعثر على نحو ما يمثل به البلاغيون و النّقاد في قولهم : [١]

وقَبْر حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ   ولَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

حيث تصعب قراءة البيت دون استعداد، وذلك لثقل أصواته التي تقاربت و تكررت.

ومما تناسبت إيقاعاته في شعر الثورات، قول مسلم بن الوليد: [٢]

مَاتُوا وَ أَنْتَ غَلِيلٌ في صُدُورِهُمُ   وكَانَ سَيْفُكَ يُسْتَشْفَى مِنَ الغُلَلِ

فالكلمات ذات أصوات متناسقة، وإيقاعات سهلة، فلو أخذنا كل لفظة على حدة وجدناها سهلة النطق، عذبة في السمع، ثمّ إذا نظرنا إلى الألفاظ مجتمعة لم نواجه أصواتاً متنافرة، وذلك أن كلمات البيت قد خلت من الحروف المتجاورة ذات النّغمات المتقاربة، فالحروف الحلقية [٣] قليلة و متفرقة وهي الهمزة في (أنت)، والغين في (غليل) و في (الغُلل)، والهاء في (صدورهم). وأما الحروف التي تخرج من أقصى الحنك [٤] ، فهي الكاف في (سيفك). و أما حروف الصّفير [٥] فهي حرفان، السين في (سيفك) و الشين في (يستشفى).

وهكذا لا نجد شيئاً غير معتاد في أصوات الصورة في شعر الثورات. وهو سبب أساس في خفة الكلام على السمع. وهو أحد الظواهر الشّعرية المعتادة عند الشّعراء، إذ لا يكون الشاعر شاعراً من غير ذوق وحس يميز به.

ولكن هل يتعارض هذا مع ما فعله بعض شعراء الثورات أحياناً في المواقف الحماسيّة، عندما حشدوا عدداً كبيراً من الحروف الجزلة ؟ أظن أنّه لا يتعارض ، لأن حشد تلك

---

[١] انظر، سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص٩٨.

[٢] شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ١٩.

[٣] انظر: الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس، القاهرة: مكتبة الأنجلو، ط١٩٩٠،٤م ، ص ٨٧.

[٤] انظر : المرجع السابق، ص٨٤.

[٥] انظر : المرجع السابق، ص ٧٤.

الأصوات يعطي إيقاعاً صاخباً ملائماً لروح الحماس والحرب أو شدّة الحزن، ومن ذلك قول أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطالبي: [١]

فَقَدْنَا العُلا و المجدَ عِنْـدَ افتِقَـادِهِمْ وأَضْحَتْ عُرُوشُ المكرُمَاتِ تَضَعْضَعُ

فحرف الفاء في (فقدنا) و في (افتقادهم)، والميـم في (المجد) و في (افتقادهم) وفي (المكرمات) حروف شديدة وعالية النبرات، ثم إن القاف في (فقدنا) و (افتقادهم) هي حرف مقلقل، والقلقلة تعطي نبرة شديدة و قوية. [٢]

ونجد أيضاً حرف الراء في (عروش) و (المكرمات) باهتزازه القوي الذي ترتعش معه الحنجرة.

ولا تخفى شدة (الضّاد) التي تكررت ثلاث مرات في الشطر الأخير، وكل واحـدة منها تحتاج إلى نوع من الترتيب في نطقها، وضغط اللسان إلى أعلى الحنك الأعلى، وحصر الصوت بينهما لإخراج صوت الضاد الغليظ.

إنّ قوة تلك الحروف المجتمعة في بيت واحد، لم تكن مخالفة لموضوع الصورة بل متوافقة معه، وهي بتلك الحال عنصر إيجابي في امتياز الصورة الشعرية.

و لم يخل شعر الثورات من ألفاظ موحية، لها إيقاعات خاصّة، لأن إيحاء الألفاظ يعـود بالدرجة الأولى إلى الطبـع، فإن الشاعر إذا جعل شعره مطيّة لعاطفته، ظهرت فيه الإيحاءات و الظلال، أما إذا أقصيت العاطفة جفّت الألفاظ و قل التأثير.

ولا نزعم أن قلّة الألفاظ الموحية تسقـط من قيمة الشعـرفـي كل أحوالـه، فـإن " الكلمات القوية النافذة، والكلمات العذبة، تماثل تماماً الكلمات الموحيـة في كـثير مـن الأحيان"[٣].

---

[١] مروج الذهب: ج٤ / ص ١٤٨.

[٢] انظر: التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تحقيق : علي البواب، الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٩١.

[٣] الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى السحرتي،جدة: تهامة للنشر،ط٢، ١٤٠٤هـ، ص٦٢ .

ومن الألفاظ ذات الإيقاعات الموحية في شعر الثورات، ما تضمنته هذه الصورة التي يرسمها مسلم بن الوليد لممدوحه، فهو يوفي على أعدائه بالقتل في أيام المعارك ذات الغبار الكثيف، وكأنه في ذلك الموت الذي يأتي على الأمل فيقضي عليه.

يقول : [١]

مُوفٍ عَلىٰ مُهَجٍ في يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَىٰ إِلىٰ أَمَلِ

حيث عبّر الشاعر بألفاظ منونة، أعطت للصورة إيقاعاً خاصاً، فألقى بظلاله على هذه الألفاظ لتوحي بجوّ المعركة، حيث الغبار و أصوات حوافر الخيل وقعقعة السلاح.

وختاماً يوضّح لنا شعر الثورات، والنّقد العربي في مجال موسيقا الشّعر، أن التناغم الموسيقي الجميل في القصيدة يعتمد على عوامل عدّة، هي الوزن والقافية والإيقاع، بالإضافة إلى انفعال الشاعر، بحيث تتناسب نغمة القصيدة مع طبيعة الشاعر النّفسية مع المشاعر التي يثيرها الغرض المطروق . و هذا ما أقرّه أديب باحث حين قال " والمعادلة الموسيقية في القصيدة معادلة نفسيّة "[٢].

---

[١] شرح ديوان مسلم بن الوليد :ص ٩.
[٢] الشعر حديث جداً، د. أسعد علي، دمشق : دار السؤال، ط ٣ ،١٩٨٥م ، ص ٤٧ .

فصل خاص

النصوص الكاملة لشعر الثورات

١- ثورات الطالبيين :

أولاً : ثورة إبراهيم بن عبد الله بن حسن في البصرة :

١ – قصيدة إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قائد ثـورة الطـالبيين في البصـرة سـنة ١٤٥هـ :

مناسبة القصيدة :

عندما أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببني الحسن وبعض نسائهم فأخرجوا من المدينة إلى العراق ، ثم أودعهم السجن ، قال إبراهيم هذه الأبيات : [1]

ما ذكـرك الدمنـة القفـار وأهــــ ـــل الـدار إمـا نـأوك أو قربـوا

إلا سـفاهاً وقـد تفرعـك الشـــ ـيـب بلـون كأنـه العطـب [2]

ومـر خمسـون مـن سـنيك كمـا عـد لـك الحاسـبون إذ حسـبوا

فعـدِّ ذكـر الشـباب لسـت لـه ولا إليـك الشـباب منقلـب

إني عـرتني الهمـوم فاحتضـر الـــ ـهم وسـادي فالقلـب منشـعب

واستُخرِج النـاس للشـقاء وخُلِّـــ ـفت لـدهرٍ بظهـره حـدب

أعـوج يسـتعذب اللئـام بـه ويحتويـه الكـرام إن سـربوا [3]

نفسي فـدت شـيبة هنـاك وظُنـــ ـبوباً بـه مـن قيـوده نـدب [4]

والسـادة الغـر مـن بنيـه فمـا روقـب فيـه الإلـه والنسـب

يا حلـق القيـد مـا تضـمن مـن حلـم وبـر يشـوبه حسـب

وأمهـات مـن العواتـك أخـــ ـلصنك بـيض عقائـل عُـرُب

كيـف اعتـذاري إلى الإلـه ولم يُشْـهَرن فيـك المـأثورة القضـب !

ولم أقـد غـارة ململمـةً فيهـا بنـات الصـريح تنتحـب

والسـابقات الجيـاد والأسـل الـذُّ بَّـل فيهـا أسـنة ذرب

---

[1] الطبري : ج٨/ص ٥٤٥ – ٥٤٦ ، مقاتل الطالبيين ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ ، والقصيدة من بحر المنسرح .

[2] العطب : القطن .

[3] البيت في مقاتل الطالبيين : أعوج استعدت اللئام به ويحنو به الكرام إن شربوا

[4] الظنبوب : حرف الساق من قدم ، أو عظمه .

حــتى نــوفي بــني نتيلــة بالــــ	قسط بكيل الصاع الــذي احتلبــوا [1]
بالقتـــل قـــتلا وبالأســير الـــذي	في القـدِّ أسـرى مصـفودة سـلب
أصبح آل الرسـول أحمـد في النــــ	ـــاس كـذي عُـرَّة بـه جـرب
بؤسـاً لهـم مـا جنـت أكفهـم	وأي حبـل في أمـة قضـبوا !
وأي حبـل خـانوا المليـك بـه	شُـدَّ بميثـاق عقـده الكـذب

٢ – أبيات لإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قالها في زوجته بحيرة بنت زياد الشيبانية : [2]

ألم تعلمي يـا بنـت بكـر تشـوقي	إليك وأنت الشخص ينعم صـاحبه
وعلقت ما لو نيط بالصخر من جـوى	لهدّ من الصخر المنيـف جوانبـه
رأت رجلاً بـين الركـاب ضـجيعه	سـلاح ويعبـوب فباتـت تجانبـه
تصـدُّ وتسـتحيي وتعلـم أنـه	كـريم فتـدنو نحـوه فتلاعبـه

٣ – بيتان لإبراهيم بن عبد الله بن حسن في زوجته رقية بنت محمد بن عبد الله : [3]

خليلي من قيس دعـا اللـوم واقعـدا	يسـرّ كمـا ألا أنـام وترقـدا
أبيت كـأني مسـعر مـن تـذكري	رقيـة جمـراً مـن غضـاً متوقـدا

٤ – بيتان لإبراهيم في أخيه " النفس الزكية " : [4]

الله يعلـم أني لـو خشـيتهم	وأوجس القلب من خوفٍ لهـم فزعـا
لم يقتلـوه ولم أسـلم أخـي لهـم	حتى نمـوت جميعـاً أو نعـيش معـا

---

[1] في مقاتل الطالبيين : " .. بني ثبيلة ؟؟ " ونتيلة : هي أم العباس وضرارا بني عبد المطلب . (تاج العـروس : ج ١٥/ ص٧١٥)

[2] مقاتل الطالبيين : ص ٣١٥ – ٣١٦ ، والأبيات من البحر الطويل .

[3] الطبري : ج٧ / ص ٥٤٣ ، والبيتان من البحر الطويل .

[4] مقاتل الطالبيين : ص ٣٤٢ ، والبيتان من البحر البسيط .

٥ – قصيدة غالب بن عثمان الهمداني في رثاء إبراهيم بن عبدالله بن حسن :

مناسبة النص :

عندما قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وانتهت ثورته ، تأثر الناس مـــن أتباعـــه كثيراً ، وكان من بينهم الشاعر غالب الهمداني حيث قال في رثاء إبراهيم : [(١)]

وقتيـــــل بـــــاخمرى الـــــذي	نـــادى فـــأسمع كـــل شـــاهد[(٢)]
قـــــاد الجنــــود إلى الجنـــــو	د تزحـــف الأســـد الحـــوارد [(٣)]
بالمرهفـــــــات وبالقنـــــــا	والميرقـــــــات وبالرواعـــــــد
فـــــدعا لـــــدين محمـــــد	ودعـــوا إلى ديـــن ابـــن صـــايد [(٤)]
فرمـــــاهم بلبـــــان أبـــــ	ـــلق ســـابق للخيـــل ســـائد
بالســـيف يفـــري مصـــلتا	هامـــاتهم بأشـــد ســـاعد
فـــأتيح ســـهم قاصـــد	لفـــؤاده بـــيمين جاحـــد
فهـــوى صـــريعاً للجبيـــ	ــن ولـــيس مخلـــوق بخالـــد
وتبـــــددت أنصـــــاره	وثـــوى بـــأكرم دار واحـــد
نفســـي فـــداؤك مـــن صريـــ	ـــع غـــير ممهـــود الوســـائد
وفـــدتك نفســـي مـــن غريـــ	ـــب الـــدار في القـــوم الأباعـــد
أي امـــرئ ظفـــرت بـــه	أبنـــاء أبنـــاء الولائـــد [(٥)]
فأولئـــك الشـــهداء والصـــ	ـــبر الكـــرام لـــدى الشـــدائد
ونجـــار يثـــرب والأبـــا	طـــح حيـــث معـــتلج العقائـــد
أقـــوت منـــازل ذي طـــوى	فبطـــاح مكـــة فالمشـــاهد
والخيـــف منـــهم فالجمـــا	ر بموقـــف الظعـــن الرواشـــد
فحيـــاض زمـــزم فالمقـــا	م فصـــادر عنـــها ووارد

(١) مقاتل الطالبيين : ص ٣٨٤ – ٣٨٥ ، والأبيات من بحر مجزوء الكامل .

(٢) باخمرى : قرية قريبة من الكوفة ، قتل فيها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الطالبي . (انظر : الفخري ص ١٦٢)

(٣) الحوارد : الغواضب .

(٤) ابن الصائد : الذي كان يظن أنه الدجال .

(٥) الولائد : جمع وليدة ، وهي الأمة .

فســـــــــويقتان فينبـــــــــــع فبقيـــــع يثـــــرب ذي اللحائـــــد

أمســـت بلاقـــع مـــن بـــني الــــ ـــــحسن بـــن فاطمـــة الأراشـــد

٦ – قصيدة ثانية لغالب بن عثمان الهمداني في رثاء إبراهيم ، يقول فيها : [1]

كيف بعـد المهـدي أو بعـد إبـرا هيم نـومي علـى الفـراش الـوثير

وهم الذائدون عـن حـرم الإســـ ـــلام والجـابرون عظـم الكسـير

حـاكموهم لمـا تولـوا إلى اللـــ ـــه لمصـقولة الشـفار الـذكور [2]

وأشاحوا للمـوت محتبسـي الأنـــ ـــفس لله ذي الجـلال الكـبير

أفـردوني أمشـي بأعضـب مجبـو باً سـنامي والحـرب ذات زفـير [3]

غيـل فيهـا فوارسـي ورجـالي بعـد عـز وذل فيهـا نصـيري [4]

ليـتني كنـت قبـل وقعـة باخمــ ـــرى توفيـت عـدتي مـن شـهور

وليـاليّ مـن سـنيَّ البـواقي وتكملـت عـدة الــتعمير

كنت فيمن ثوى ثويت تعـود الطـــ ـــير لحمـي مبـيَّن الـتعفير

ومجـال الخـيلين منـا ومنـهم وأكـف تطـير كـل مطـير

قول مستبسـل يـرى المـوت في الله رباحـاً رئبـال غـاب عقـير [5]

قـد تلبثـت بالمقـادير عنـهم ملبث الـرائحين عـن ذي البكـور [6]

إذ هـم يعثـرون ، في حلـق الأو داج حـولي في قسـطل مسـتدير [7]

---

[1] مقاتل الطالبيين : ص ٣٨٥ – ٣٨٦ ، والقصيدة من بحر الخفيف .

[2] مصقولة الشفار الذكور : يعني بها السيف المذكر ، وفي القاموس : " المذكر من السيوف : ذو الماء " .

[3] الأغضب : من الجمال : القصير اليد ، مجبوباً سنامي : مقطوعاً سنامي (تـاج العـروس : ج٢ /ص ٢٤٢ + ج١/ص ٣٤٧)

[4] غيل : الغيلة : الخديعة والاغتيال (تـاج العروس : ج١٥/ص٥٦١) ، عقير : الجزور المنحور (تاج العروس : ج٧/ص٢٤٨)

[5] رئبال : من تلده أمه وحده . والأسد (تاج العروس : ج١٤ / ص ٢٥٩) .

[6] ذو البكور : من يأتي باكراً . (تاج العروس : ج٦ / ص ١٠٨- ١٠٩) .

[7] الأوداج : ما أحاط بالحلقوم من العروق . (تاج العروس : ج٣ / ص ٥٠٧) .

ثانياً : ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا في الكوفة :

١ – قصيدة القاسم بن إبراهيم ، وهو أخو " ابن طباطبا " ، يرثي فيها أخاه " ابن طباطبا " :

مناسبة النص :

وصل نبأ وفاة " ابن طباطبا " إلى أخيه القاسم ، حيث كان في المغرب ، فبكى وانتحب ، ثم رثاه بقصيدة يقول فيها : [1]

يا دار دار غرور لا وفاء لها ... حيث الحوادث بالمكروه تستبق

أبرحت أهلك من كدّ ومن أسف ... بمشرع شربه التصدير والرنق

فإن يكن فيك للآذان مستمع ... يصبي ومرأى تسامى نحوه الحدق

فأي عيشك إلا وهو منتقل ... وأي شملك إلا هو مفترق

من سرّه أن يرى الدنيا معطلة ... بعين من لم يخنه الخدع والملق

فليأت داراً جفاها الأنس موحشة ... مأهولة حشوها الأشلاء والخرق

قل للقبور إذا ما جئت زائرها ... وهل يزار تراب البلقع الخلق ؟

ماذا تضمنت يا ذا اللحد من ملك ... لم يحمه منك عقيان ولا ورق

بل أيها النازح المرموس يصحبه ... وجد ويصحبه الترجيع والحرق

يهدى لدار البلى عن غير مقلية ... قد خط في عرصةٍ منها له نفق

وبات فرداً وبطن الأرض مضجعه ... ومن ثراها له ثوب ومرتفق

نائي المحل بعيد الأنس أسلمه ... برّ الشفيق فحبل الوصل منخرق

قد أعقب الوصل منك اليأس فانقطعت ... منك القرائن والأسباب والعلق

يا شخص من لو تكون الأرض فديته ... ما ضاق مني بها ذرع ولا خلق

بينا أرجيك تأميلاً وأشفق أن ... يغبرّ منك جبين واضح يقق

أصبحت يحثى عليك الترب في جدث ... حتى عليك بما يحثى به طبق

إن فجعتني بك الأيام مسرعة ... فقل مني عليك الحزن والأرق

فأيما حدث تخشى غوائله ... من بعد هلكك يغنيني به الشفق

---

[1] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٣ – ٥٥٥ ، والقصيدة من البحر البسيط .

٢ – قصيدة الهيثم بن عبد الله الخثعمي في رثاء أبي السرايا :

مناسبة القصيدة :

عندما قتل أبو السرايا ، انتهت ثورته ، وتفرقت جماعته ، وكان من بين هؤلاء من يعطي لأبي السرايا قيمة عالية رفيعة ، ومن هؤلاء الشاعر الهيثم الخثعمي الذي جعل أبا السرايا في أبياته رجلاً عظيماً يجب أن يهابه الموت ، وتخشاه المنون ، فنراه يقول : [1]

وسل عن الظاعنين ما فعلوا	وأين بعد ارتحالهم نزلوا
ياليت شعري والليت عصمة من	يأمل ما حال دونه الأجل
أين استقرت نوى الأحبة أم	هل يرتجى للأحبة القفل
ركب ألحت يد الزمان على	إزعاجهم في البلاد فانتقلوا
بني البشير النذير الطاهر الطهر	الذي أقرت بفضله الرسل
خانهم الدهر بعد عزهم	والدهر بالناس خائن ختل [2]
بانوا فظلت عيون شيعتهم	عليهم لا تزال تنهمل
واستبدلوا بعدهم عدوهم	بئس لعمري بالمبدل البدل
يا عسكراً ما أقل ناصره	لم تشفه من عدوه الدول
فبكم بالدماء إن نفد الدمـ	ـع فقد خان فيهم الأمل
لا تبك من بعدهم على أحد	فكل خطب سواهم جلل
أخوهم يفتدي صفوفهم	زحفاً إليهم وما بها خلل
في فيلق يملأ الفضاء به	كأنما فيه عارض وبل
رماهم الشيخ من كنانته	والشيخ لا عاجز ولا وكل [3]
بالخيل تردى وهن ساهمة	تحت رجال كأنها الإبل
والسابقات الجياد فوقهم	والبِيض والبَيض والقنا الذبل [4]

[1] مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٦ – ٥٥٧ ، والقصيدة من بحر المسرح .

[2] ختل : مخادع . (تاج العروس: ج١٤ / ص ١٩١) .

[3] وكل : رجل وكل : أي عاجز يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه . (تاج العروس: ج١٥/ص٧٨٥) .

[4] البيض : يعني السيوف ، البيض : واحدتها البيضة وهي الحديد (تاج العروس: ج١٠/ص٢٠) .

والرجـــل يمشـــون في أظلتـــها — كمـا تمشّـى المصـاعب البـزل [١]

واليزنيـــات في أكفهـــم — كأنمـا في رؤوسـها الشّـعل[٢]

حـتى إذا مـا التقـوا علـى قـدر — والقـوم في هـوة لهـم زجـل

شـدوا علـى عتـرة الرسـول ولم — تثنـيهم رهبـة ولا وهـل [٣]

فمـا رعـوا حقـه وحرمتـه — ولا استرابوا في نفـس مـن قتلـوا

والله أملـى لهـم وأمهلـهم — والله في أمـره لـه مهـل

* * *

بل أيهـا الراكـب المخـب أو النـا — عـي أبـن لي لامّـك الهبـل [٤]

ما فعل الفارس المحـامي إذا مـا الـ — ـحرب بـدت أنيابها العصـل[٥]

أ أنـت أبصـرته علـى شـرف — لله عينـاك أيهـا الرجـل

مـن فـوق جـذع أنـاف شـائلةً — ترمـى إليهـا بلحظهـا المقـل

إن كنـت أبصـرته كـذاك فمـا — أسـلمه ضـعفه ولا الفشـل

ولـو تـراه عليـه شـكته — والمـوت دان والحـرب تشـتعل [٦]

في مـوطن والحتـوف مشـرعة — فيهـا قسـي المنـون تنتضـل [٧]

والقـوم منـهم مضـرج بـدم — وموثـق أسـره ومنجـدل

وفـائظ نفسـه وذو رمـق — يطمـع فيـه الضـباع والحجـل

---

[١] الرجل : رجل راجل أي مشاء (تاج العروس: ج١٤/ص٢٦٧) ، المصاعب البزل : الجمال الحديثة السن (تاج العروس: ج١٤/ص ٥١) .

[٢] اليزنيات : رمح يزني منسوب إلى ذي يزن أحد ملوك الأذواء في اليمن : (لسان العرب ، بيروت : دار صـادر ١٩٩٣م ، ج١٣/ص ٤٥٦) .

[٣] وهل : وهل : ضعف وفزع وجبن . (تاج العروس: ج ١٥ / ص ٧٨٧) .

[٤] المخبّ : الخبّ : الخداع والخبث والغش والفساد . (تاج العروس: ج١/ ص٤٤٧) .

[٥] العصل : العصل : الاعوجاج في صلابة . (تاج العروس: ج١٥ / ص ٤٩٣) .

[٦] : الشكة بالكسر : السلاح . (القاموس المحيط : ج٣/ص ٤٢١) .

[٧] تنتضل : انتضل منه نضلة أي احتار . (تاج العروس: ج٣ / ص ٤٢١) .

في صدره كالوجار من يده ... يغيب فيها السنان والفتل [1]

يميل منها والموت يحفزه ... كما يميل المرنّح الثمل

في كفه عضبة مضاربها ... وذابل كالرشاء معتدل

لخلت أن القضاء من يده ... وللمنايا من كفه رسل

يا رُبَّ يوم حمى فوارسه ... وهو لا مرهق ولا عجل

كأنه آمن منيته ... في الروع لما تشاجر الأسل

في موطن لا يقال عاثره ... يغصّ فيه بريقه البطل [2]

أبا السرايا نفسي مفجّعة ... عليك والعين دمعها خضل [3]

من كان يغضي عليك مصطبراً ... فإن صبري عليك مختزل

هلا وقال الردى الجبان إذا ... ضاقت عليه بنفسه الحيل

أم كيف لم تخشك المنون ولم ... يرهبك إذ حان يومك الأجل

فاذهب حميداً فكل ذي أجل ... يموت يوماً إذا انقضى الأجل

والموت مبسوطة حبائله ... والناس ناج منهم ومحتبل [4]

من تعتلقه تفت به أبداً ... ومن نجا يومه فلا يئل [5]

---

[1] الوجار : الجرف الذي حفره السيل (تاج العروس: ج٧/ص٥٨٥) الفتل : اندماج في مرفق الناقة وبيون عن الجنب (تاج العروس: ج١٥/ص ٥٦٥) .

[2] الأبيات في مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٧ – ٥٥٨ .

[3] الأبيات في مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٨ – ٥٥٩ .

[4] محتبل : احتبل : علق ، ويقال احتبله الموت احتبالاً . (تاج العروس : ج١٤ / ص ١٣٨) .

[5] لا يئل : أي لا يخلص .

٣- أبيات لمحمد بن إبراهيم ، قالها بعد تخلي نصر بن شبيب عن نصرته : [(١)]

سـنغنى بحمـد الله عنـك بعصـبة يهشون للـداعي إلى واضـح الحـق

طلبت لك الحسـنى فقصـرت دونها فأصبحت مذموماً وزلت عن الصـدق

جروا فلهم سـبق وصـرت مقصـراً ذميماً بما قصرت عـن غايـة السـبق

وما كـل شـيء سـابق أو مقصـر يـؤول بـه التقصـير إلا إلى العـرق

٤ – بيت للحسن بن هذيل ، قاله في إحدى المعارك ، حيث كان من أنصار ثورة " ابن طباطبا " : [(٢)]

من لم يمت عبطـة يمت هـرمـاً المـوت كأس والمـرء ذائقهـا

٥ – أبيات لأبي السرايا ، قائد ثورة ابن طباطبا ، بعد موته ، قالها معاتباً فيها الكوفيين ، لأنهم بدؤوا يميلون إلى هرثمة بن أعين قائد جيوش العباسيين : (٣)

ومارست أقطـار الـبلاد فلـم أجـد لكم شبها فيما وطئـت مـن الأرض

خلافـاً وجهـلاً وانتشـار عزيمـة ووهناً وعجزاً في الشـدائد والخفـض

لقد سبقت فـيكم إلى الحشـر دعـوة فلا عـنكم راض ولا فـيكم مرضـي

سأبعد داري من قلـى عـن ديـاركم فـذوقوا إذا وليـت عاقبـة الـبغض

٦ – بيتان للتميمي ، قالها في قتل الحسن بن سهل لأبي السرايا : [(٤)]

ألم تـر ضـربة الحسـن بـن سـهل بسـيفك يـا أمـير المؤمنيـا

أدارت مـرو رأس أبي السـرايا وأبقـت عـبرة للعابرينـا

---

(١) مقاتل الطالبيين : ص٥٢٠ – ٥٢١ ، والأبيات من البحر الطويل .

(٢) المصدر السابق : ص ٥٢٧ ، والبيت من البحر البسيط .

(٣) المصدر السابق : ص ٥٤٦ ، والأبيات من البحر الطويل .

(٤) الطبري : ج٨ / ص ٥٣٥ ، والبيتان من البحر الوافر .

ثالثاً : ثورة يحيى بن عمر الطالبي في الكوفة :

١ – قصيدة الشاعر : أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر :

مناسبة القصيدة :

لما قتل يحيى بن عمر حزن الناس عليه حزناً عميقاً ؛ لأنه اتصف بصفات طيبة ، جعلت الناس يحترمونه ويحبونه ، وكان ممن حزن على مقتل يحيى الشاعر أحمد بن أبي طاهر ، فقال هذه الأبيات : [١]

سلام على الإسلام فهو مودّع ... إذا ما مضى آل النبي فودعوا

فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم ... وأضحت عروش المكرمات تضعضع

أتجمع عين بين نوم ومضجع ... ولابن رسول الله في الترب مضجع

فقد أقفرت دار النبي محمد ... من الدين والإسلام ، فالدار بلقع

وقُتِّل آل المصطفى في خلالها ... وُبدّد شمل منهم ليس يُجمع

ألم تر آل المصطفى كيف تصطفي ... نفوسهم أم المنون فتتبع

بني طاهر واللؤم منكم سجية ... وللغدر منكم حاسر ومقنع

قواطعكم في الترك غير قواطع ... ولكنها في آل أحمد تقطع

لكم كل يوم مشرب من دمائهم ... وغلتها من شربها ليس تنقع

وما حكم للطالبيين شرع ... وفيكم رماح الترك بالقتل شرّع

لكم مرتع في دار آل محمد ... وداركم للترك والجيش مرتع

أخلتم بأن الله يرعى حقوقكم ... وحق رسول الله فيكم مضيّع

وأضحوا يرجون الشفاعة عنده ... وليس لمن يرميه بالوتر يشفع

فيغلب مغلوب ، ويقتل قاتل ... ويخفض مرفوع ، ويُدنى المرفع

---

[١] مروج الذهب : ج٤ / ص ١٤٨ – ١٤٩ ، والقصيدة من بحر الطويل .

٢ – قصيدة لأحد شعراء العصر [١] الذي ثار فيه يحيى بن عمر الطالبي ، قالها في رثاء يحيى :

مناسبة القصيدة :

لما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً ، ورثاه القريب والبعيد ، وحزن عليه الصغير والكبير [٢]، وجزع لقتله قائل هذه الأبيات وحزن على فقده ، فقال : [٣]

بكت الخيل شجوها بعد يحيى — وبكاه المهند المصقول

وبكته العراق شرقاً وغرباً — وبكاه الكتاب والتنزيل

والمصلى والبيت والركن والحجر — جميعاً لهم عليه عويل

كيف لم تسقط السماء علينا — يوم قالوا : أبو الحسين قتيل

وبنات النبي يندبن شجواً — موجعات ، دموعهن تسيل

ويؤبّن للرزية بدراً — فقده مفظع عزيز جليل

قطّعت وجهه سيوف الأعادي — بأبي وجهه الوسيم الجميل

وليحيى الفتى بقلبي غليل — كيف يؤذي بالجسم ذاك الغليل

قتله مذكر لقتل علي — وحسين ، ويوم أودى الرسول

فصلاة الإله وقفاً عليهم — ما بكى موجع وحنّ ثكول

٣ – أبيات للشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني [٤]، يرثي فيها يحيى بن عمر فيقول : [٥]

يا بقايا السلف الصا — لح والتجر الربيح

نحن للأيام من بيـ — ـن قتيل وجريح

خاب وجه الأرض كم — غيّب من وجه صبيح

آه من يومك ما أو — داه للقلب القريح

---

[١] لم أعثر على اسم الشاعر الذي قال هذه الأبيات ، وهي من بحر المديد .

[٢] مروج الذهب : ج٤ / ص ١٤٩ .

[٣] المصدر السابق : ج٤ / ص ١٤٩ – ١٥٠ .

[٤] لقب بـ " الحماني " نسبة إلى مكان إقامته وهو " حمان " في الكوفة " (انظر مروج الذهب :ج٤/ص ١٥٠)

[٥] مروج الذهب : ج٤ / ص ١٥٠ ، والأبيات من بحر مجزوء الرمل .

٤ – أبيات لعلي بن محمد بن جعفر العلوي ، يمدح فيها يحيى بن عمر ، ويفتخر بنسبه الذي يرجع إلى بيت النبي ﷺ ، يقول فيها : [١]

قد كان حين بدا الشباب به	يقق السوالف حالك الشعر [٢]
وكأنه قمر تمنطق في	أفق السماء بدارة البدر
يابن الذي جعلت فضائله	فلك العلا وقلائد السور
من أسرة جعلت فضائلهم	للعالمين مخايل النظر
تتهيب الأقدار قدرهم	فكأنهم قدر على قدر
والموت لا تشوى رميته	فلك العلا ومواضع الغرر

٥ – أبيات للشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي ، يرثي فيها يحيى بن عمر ، فيقول : [٣]

فإن يك يحيى أدرك الحتف يومه	فما مات حتى مات وهو كريم
وما مات حتى قال طلاب نفسه :	سقى الله يحيى إنه لصميم
فتى آنست بالروع والبأس نفسه	وليس كمن لاقاه وهو سنوم [٤]
فتى غرّة لليوم وهو بهيم	ووجه لوجه الجمع وهو عظيم
لعمرو ابنه الطيّار إذ نتحت به	له شيم لا تحتوي ونسيم [٥]
لقد بيضت وجه الزمان بوجهه	وسرّت به الإسلام وهو كظيم [٦]
فما انتجبت من مثله هاشمية	ولا قلبته الكف وهو فطيم

---

[١] مروج الذهب : ج٤ / ص ١٥٢ ، وهي من بحر الرمل .

[٢] يقق : شديد البياض .(القاموس المحيط : ج٣ / ص ٣٩٥) .

[٣] مقاتل الطالبيين : ص ٦٦٣ ، وهي من بحر الطويل .

[٤] سنوم : الجمل الضخم السنام . (تاج العروس : ج١٦ / ص ٣٦٩) .

[٥] تحتوي : احتواه : كرهه ولم يوافقه . (تاج العروس : ج١٩ / ص٢٩٨) .

[٦] كظيم : مكروب قد أخذ الغمّ بكظَمِه أي نفَسِه .(تاج العروس : ج١٧/ص ٦٢٠) .

٦ – بيتان لأبي هاشم الجعفري ، قالها لابن طاهر عند مقتل يحيى بن عمر الطالبي : [١]

يـــا بـــني طـــاهر كلـــوه وبيـــاً إن لحـــم الـــنبي غـــير مـــريّ

إن وتـــراً يكـــون طالبـــه اللـــــ ـــــه لـــوتر نجاحـــه بـــالحريّ

٧ – بيتان لعلي بن محمد بن جعفر العلوي ، في رثاء يحيى : [٢]

تضوّع مسكاً جانب القـبر إذ ثـوى وما كـان لـولا شـلوه يتضـوّع

مصـــارع فتيـــان كـــرام أعـــزّة أتيح لـيحيى الخـير منـهن مصـرع

٨ – وله بيتان في رثاء يحيى ، يقول فيها : [٣]

إن لقـــومي مـــن أحســـاب قـــومكم بمسجد الخيـف في بحبوحـة الخيـف

ما علق السـيف منـا بـابن عاشـرة إلا وهمتـه أمضـى مـن السـيف

٩ – وله أبيات في رثاء يحيى ، يفتخر فيها ، فيقول : [٤]

لعمري لـئن سـرت قـريش بهلكـه لمـا كـان وقافـاً غـداة التوقـف

فـإن مـات تلقـاه الرمـاح فإنـه لمن معشـر يشـنون مـوت التـرف

فلا تشتموا فالقوم مـن يبـق منـهم على سـنن منـهم مقـام المخلّـف

لهم معكـم إمـا جـدعتم أنـوفكم مقامات مـا بـين الصـفا والمعـرّف

تـراث لهـم مـن آدم ومحمـد إلى الثقلين مـن وصـايا ومصـحف

---

[١] الطبري : ج٩ / ص٢٧٠ ، مروج الذهب : ج٤ / ص١٤٨ ، والبيتان من البحر الخفيف .

[٢] مروج الذهب : ج٤ / ص١٥٠ ، والبيتان من البحر الطويل .

[٣] المصدر السابق :ج٤ / ص ١٥١ ، والبيتان من البحر البسيط .

[٤] المصدر السابق : ج٤ / ص١٥٢ ، والأبيات من البحر الطويل .

١٠ – قصيدة ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر ، وهي من غرر ما قيل في رثاء يحيى بن عمر ، وقد اخترت منها هذه الأبيات : [١]

أمامك فانظر أي نهجيك تنتهج ؟	طريقان شتى : مستقيم وأعوج
ألا أيهذا الناس : طال ضريركم	بآل رسول الله فاخشوا أو ارتجوا
أكل أوان للنبي محمد	قتيل زكي بالدماء مضرّج ؟
أبيت إذا نام الخليّ كأنما	تبطّن أجفاني سيال وعوسج [٢]
أيحيى العلا لهفي لذكراك لهفة	يباشر مكواها الفؤاد فينضج
لمن تستجد الأرض بعدك زينة	فتصبح في أثوابها تتبرج
ألا أيها المستبشرون بيومه	أظلت عليكم غمة لا تفرَّج [٣]
أكلكم أمسى اطمأن مهاده	بأن رسول الله في القبر مزعج ؟ [٤]
كأني به كالليث يحمي عرينه	وأشباله لا يزدهيه المهجهج
يكر على أعدائه كرّ ثائر	ويطعنهم سلكى ولا يتخلّج [٥]
كدأب علي في المواطن قبله	أبي حسن ، والغصن من حيث يخرج [٦]
فحُبَّ به جسما إلى الأرض إذ هوى	وحُبَّ به روحاً إلى الله تعرج

---

[١] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص٢٣ – ٣٠ ، مقاتل الطالبيين : ص ٦٤٦ – ٦٦٢ .
اخترت من القصيدة هذه الأبيات وتركت للمستزيد الرجوع إلى المصدرين المذكورين آنفاً ، والقصيدة تقع في (١١١) مئة وأحد عشر بيتاً ، وهي من البحر الطويل .

[٢] السيال : نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه اللبن . والعوسج : شجر كثير الشوك .

[٣] الغمة : الحزن والكرب . لا تفرج : لا تنجلي .

[٤] المهجهج : الشديد الصياح ، وهجهج الرجل : رده عن الشيء .

[٥] السلكى : الطعنة المستقيمة . تتخلج : تميل ذات اليمن وذات اليسار .

[٦] يقول : دأبه في ذلك دأب علي من قبله في المواطن الحرجة ، وإنما هو فرع من تلك الدوحة الباسقة .

٢ – ثورات الخوارج في العراق :

أولاً : ثورة الوليد بن طريف الشاري في الجزيرة والموصل :

١ – قصيدة الفارعة بنت طريف أخت الوليد في رثائه : [1]

بتلّ نهاكى رسم قبر كأنه	على جبلٍ فوق الجبال منيف
تضمن مجداً عدملياً وسؤدداً	وهمة مقدام ورأي حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقاً	كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى	ولا المال إلا من قناً وسيوف
ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم	معاودة للكرّ بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ، ولم تقم	مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوماً لورد كريهة	من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب ، والحرب لاقح	وسمر القنا ينكزنها بأنوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى	فإن مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا	فديناك من فتياننا بألوف
وما زال حتى أزهق الموت نفسه	شجىً لعدو أو نجا لضعيف
ألا يا لقومي للحمام وللبلى	وللأرض همّت بعده برجوف
ألا يا لقومي للنوائب والردى	ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب إذ هوى	وللشمس لما أزمعت بكسوف
ولليث كل الليث إذ يحملونه	إلى حفرة ملحودة وسقيف
ألا قاتل الله الحشى حيث أضمرت	فتى كان للمعروف غير عيوف
فإن يك أرداه يزيد بن مزيد	فرُبّ زحوف لفّها بزحوف
عليه سلام الله وقفاً فإنني	أرى الموت وقّاعاً بكل شريف

[1] وفيات الأعيان : ج٥ / ص ٨٥ – ٨٦ ، الكامل : ج٥/ ص٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج١٢ / ص ٨٥-٨٦ ، وقد أورد مصطفى الشكعة هذه القصيدة في كتابه : " رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية " ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣م ، ص ٣٦٨ ، وكان فيها اختلاف في الترتيب وزيادة في الأبيات ، والقصيدة من البحر الطويل .

٢ – أبيات للفارعة بنت طريف ، قالتها بعد مقتل أخيها الوليد : [1]

يـــا بـــني وائـــل لقـــد فجعـــتكم | مـــن يزيـــد ســـيوفه بالوليـــد
لو ســـيوف ســـوى ســـيوف يزيـــد | قاتلتـــه لاقـــت خـــلاف الســـعود
وائـــل بعضـــها يقتـــل بعضـــا | لا يفـــل الحديـــد غـــير الحديـــد

٣ – للوليد بن طريف ، يخاطب العباسيين : [2]

أنا الوليـــد بن طـــريف الشـــاري | قســـــورة لا يصطلى بنـــــاري

جوركم أخرجنـــي من داري

٤ – للوليد بن طريف ، يخاطب يزيد بن مزيد الشيباني : [3]

ســـتعلم يـــا يزيـــد إذا التقتينـــا | بشـــطّ الـــزاب أي فـــتى يكـــون

٥ – ليزيد بن مزيد الشيباني ، يردّ على الوليد بن طريف : [4]

تجهّـــز يـــا وليـــد فقـــد أتينـــا | ســـراعاً للقتـــال وللجـــلاد
فلســـت لمزيـــد إن لم ترونـــا | نجالـــدكم كأنـــا جســـر واد

(1) وفيات الأعيان : ج٥ / ص ٣٧٢ ، والأبيات من البحر الخفيف .

(2) تاريخ الموصـــل : ج٢ ، ص ٢٨٠ ، الأغـــانـــي : ج١٢ / ص٨٧ ، وفيـــات الأعيـــان : ج٥ / ص٨٦ ، ضحى الإسلام : ج٣ / ص ٣٤٠ ، والشعر من البحر الكامل .

(3) تاريخ الموصل : ج٢ / ص ٢٨٢ ، الكامل :ج٥ / ص٩٧ ، والبيت من البحر الوافر .

(4) تاريخ الموصل : ج٢ ، ص ٢٨٢ ، والبيتان من البحر الوافر .

٧ – **قصيدة مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن مزيد الشيباني عند انتصاره على الوليد بن طريف الشاري ، حيث يذكر مسلم بن الوليد شيئاً عن الوليد بن طريف وثورته فيقول :** [١]

أجررت حبل خليع في الصبا غزل ... وشمرت همم العذال في العذل
كيف السلو لقلب راح مختبلاً ... يهذي بصاحب قلب غير مختبل [٢]
لولا مداراة دمع العين لانكشفت ... مني سرائر لم تظهر ولم تخل [٣]
ماذا على الدهر لو لانت عريكته ... وردَّ في الرأس مني سكرة الغزل
يا مائل الرأس إن الليث مفترس ... ميل الجماجم والأعناق فاعتدل
حذار من أسد ضرغامة بطل ... لا يولغ السيف إلا مهجة البطل [٤]
لولا يزيد لأضحى الملك مُطَّرحاً ... أو مائل السمك أو مسترخي الطوِّلِ [٥]
سلَّ الخليفة سيفاً من بني مطرٍ ... أقام قائمة من كان ذا ميل
ينال بالرفق ما يعيا الرجال به ... كالموت مستعجلاً يأتي على مهل
اسلم يزيد فما في الدين من أود ... إذا سلمت وما في الملك من خلل
لولا دفاعك بأس الروم إذ بكرت ... عن عترة الدين لم تأمن من الثكل
ويوسف البرم قد صبَّحت عسكره ... بعسكر يلفظ الأقدار ذي زجل
غافصته يوم عبر النهر مهلته ... وكان محتجزاً في الحرب بالمهل [٦]
والمارق ابن طريف قد دلفت له ... بعسكر للمنايا مسبل هطل
لما رآك مجداً في منيته ... وأن دفعك لا يسطاع بالحيل
شام النزال فأبقيت اللقاء له ... مقدم الخطو فيها غير متّكل
ماتوا وأنت غليل في صدورهم ... وكان سيفك يستشفى من الغلل
لو أن غير شريكي أطاف به ... فاز الوليد بقدح الناضل الخصل
فافخر فما لك في شيبان من مثل ... كذاك ما لبني شيبان من مثل

---

[١] شرح ديوان مسلم بن الوليد : من ص ١ حتى ص ٢٣ ، القصيدة تقع في تسعة وسبعين بيتاً ، وقد اخترت منها هذه الأبيات ، وهي من البحر البسيط .

[٢] مختبلا : أي مخبولاً يعشق من لا يعشقه .

[٣] لم تخل : أي لم تظن بي .

[٤] يولغ : أي يُلعِقُه الدّم .

[٥] مطّرحاً : أي مخذولاً .

[٦] غافصته : فاجأته وأخذته على حين غرة منه .

٨ – قصيدة مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن مزيد الشيباني ، وذلك عندما قتل الوليد ابن طريف الشاري ، وأرسل رأسه إلى الخليفة هارون الرشيد ، حيث يذكر فيها الوليد بن طريف ، فيقول : [١]

طيف الخيال حمدنا منك إلماما ... داويت سقماً وقد هيجت أسقاما

قد قلت والصبح عندي غير مغتبط ... ما كان أطيب هذا الليل لو داما

عندي سرائر حب ما يزال لها ... تذكار عهد وما يقسرفن آثاما

لولا يزيد وأيام له سلفت ... عاش الوليد مع الغاوين أعواما

سلّ الخليفة سيفاً من بني مطر ... يمضي فيخترق الأجساد والهاما

كالدهر لا ينثني عمن يهم به ... قد أوسع الناس إنعاماً وإرغاما

حمى الخلافة والإسلام فامتنعا ... كالليث يحمي مع الأشبالِ آجاما

أكرم به وبآباء له سلفوا ... أبقوا من المجد أياماً وأياما

ترى العفاة عكوفاً حول حجرته ... يرجون أروع رحب الباع بساما [٢]

منية في يدي هارون يبعثها ... على أعاديه إن سامى وإن حاما [٣]

أردى الوليد همام من بني مطرٍ ... يزيده الروع يوم الروع إقداما

صمصامة ذكر يعدو به ذكرٌ ... في كفه ذكر ، يفري به الهاما

تمضي المنايا كما تمضي أسنته ... كأن في سرجه بدراً وضرغاما

لا يستطيع يزيد من طبيعته ... عن المنية والمعروف إحجاما

أقسمت ما نمت عن قهر الملوك ولا ... كان الخليفة عن نعماك نواما

أذكرت سيف رسول الله سنته ... وبأس أول من صلى ومن صاما

إن يشكر الناس ما أوليت من حسنٍ ... فقد وسعت بني حواء إنعاما

قطعت في الله أرحام القريب كماً ... وصلت في الله أرحاماً وأرحاما [٤]

كم بلدة بك حل الركب جانبها ... وما يلم بها الركبان إلماما

ووقعة لك ظل الملك مبتهجاً ... فيها ومات لها الحساد إرغاما

رددت فيها إلى الإسلام مظلمة ... سوى الإله به " فهراً " و " هماما "

لو لم تكونوا بني شيبان من بشر ... كنتم رواسي أطوادٍ وأعلاما

---

[١] شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦١ حتى ٦٨ ، والقصيدة تتكون من سبعة وثلاثين بيتاً . وقد اخترت منها هذه الأبيات ،وهي من البحر البسيط .

[٢] العفاة : جمع عافٍ ، وهو الزائر .

[٣] يريد أن من سامى هارون في ملكه بعث إليه يزيد فكفاه أمره ، وكذلك إن أراد هارون حماية ملكه فإنه يبعث يزيد أيضاً .

[٤] يعني بذلك قتله " الوليد بن طريف الشيباني " ، فقد كان ابن عمه أي من قبيلته .

ثانياً : ثورة مساور الشاري في الموصل :

١ – بيت لحوثرة بن مساور الشاري ، يقول فيه : [١]

أنـــا الغـــلام البجلـــي الشـــاري   أخـــرجني جـــوركم مـــن داري

٢ – أبيات لحوثرة بن مساور ، يقول فيها : [٢]

فجعـــت العـــراق ببنـــدارها   وحـــزتُ الـــبلاد بأقطارهـــا

وحلـــوان صـــبحتها غـــارة   فقبلـــت أغـــرار غرارهـــا

وعقبـــة بالموصـــل أحجرتـــه   وطوقتـــه الـــذل في كارهـــا

---

[١] الكامل : ج٥ / ص ٣٣٤ ، والبيت من البحر الكامل .

[٢] المصدر السابق : ج٥ / ص ٣٣٦ ، والأبيات من البحر المتقارب.

٣ – ثورة يعقوب بن الليث الصّفّار حين دخل العراق :

١ – قصيدة الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي يمدح فيها الموفّق ، ويذكر أمر الصّفّار ، يقول فيها : [١]

نعب الغراب عدمته من ناعب	وصبا فؤادي لادّكار حبائبي
نادى ببينهم فجادت مقلتي	لزيال أرحلهم بدمعٍ ساكب
بانوا بأتراب أوانس كالدّمى	مثل المها قبّ البطون كواعب
فأولئكن غرائر تيممنني	بسوالف وقوائمٍ وحواجب
لولي عهد المسلمين مناسب	شرفت وأشرق نورها بمناصب
ومراتب في ذورة لا ترتقى	أكرم بها من ذروة ومراتب
ولقد أتى الصّفّار في عددٍ لها	حسن فوافتهن نكبة ناكب
جلب القضاء إليه حتفاً عاجلاً	سقياً ورعياً للقضاء الجالب
أغواه إبليس اللعين بكيده	واغتره منه بوعد كاذب
حتى إذا اختلفوا وظنّ بأنه	قد عزّ بين عساكر وكتائب
دلفت إليه عساكر ميمونة	يلقون زحفاً باللواء الغالب
في جحفل لجب تُرى أبطاله	من دراع أو رامحٍ أو ناشب
وبدا الإمام براية منصورة	لمحمد سيف الإله القاضب
وولي عهد المسلمين موفق	بالله أمضى من شهاب ثاقب
وكأنه في الناس بدر طالع	متهلل بالنور بين كواكب
لما التقوا بالمشرفية والقنا	ضرباً وطعن محارب لمحارب
ثار العجاج وفوق ذاك غمامة	غرّاء تسكب وبل صوب صائب
فلّ الجموع بحزم رأي ثاقب	منه وأفرد صاحباً عن صاحب
لله درّ موفق ذي بهجة	ثبت المقام لدى الهياج مواثب
يا فارس العرب الذي ما مثله	في الناس يعرف آخر لنوائب
من فادح الزمن العضوض ومن لقا	جيش لذي غدرٍ خؤون غاصب

---

[١] الطبري : ج٩ / ص ٥١٩ – ٥٢٠، والقصيدة من البحر الكامل .

٢ – أبيات ليعقوب بن الليث الصفار ، ينكر فيها على العباسيين إهمالهم أمر صاحب الزَّنج ، يقول : [١]

خراســـان أحويهـــا وأعمـــال فـــارس	وما أنا مـــن ملـــك العـــراق بـــآيس
إذا ما أمور الدين ضـــاعت وأهملـــت	ورثت فصارت كالرســـوم الـــدوارس
خرجـــت بعـــون الله يمنـــاً ونصـــرة	وصاحب رايات الهدى غـــير حـــارس

(١) مروج الذهب : ج٤ / ص ٢٠١- ٢٠٢ ، والأبيات من البحر الطويل .

٤- ثــورة الزّط :

١ – قصيدة شاعر لم يذكر اسمه ، يخاطب فيها أهل بغداد ويبين أثر غارات الزّطّ علـى نخيل بغداد ويعيب على العباسيين توليتهم قيادة الجيش للأتراك ، يقول : [1]

يا أهـل بغـداد موتـوا دام غـيظكم ... شـوقاً إلى تمـر بـرنيّ وشـهريز
نحـن الـذين ضـربناكم مجـاهرة ... قسـراً وسـقناكم سـوق المعـاجيز
لم تشكروا الله نعمـاه الـتي سـلفت ... ولم تحوطـوا أياديـه بتعزيـز
فاستنصروا العبد مـن أبنـاء دولـتكم ... من يا زمان ومـن بلـج ومـن تـوز
ومن شناس وأفشـين ، ومـن فـرج ... المعلمـين بـديباج وإبريـز
واللابسي كيمخار الصين قد خرطـت ... أردانـه درز بـرواز الـدخاريز
والحاملين الشُّكَىْ نيطـت علائقهـا ... إلى منـاطق خـاصٍ غـير مخـروز
فـوارس خيلـها دهـم مودّعـة ... علـى الخـراطيم منـها والفراريـز
مسـخّرات لهـا في المـاء أجنحـة ... كـالآبنوس إذا استحضـرن والشـيز
مـتى ترومـوا لنـا في غمـر لجتنـا ... حـذراً نصـيدكم صـيد المعـافيز
أو اختطافاً وإزهاقاً كمـا اختطفـت ... طـير الـدّحال حثاثـاً بالمنـاقيز
ليس الجلاد جـلاد الـزّطّ فـاعترفوا ... أكـل الثريـد ولا شـرب القـواقيز
نحن الـذين سـقينا الحـرب درّهـا ... ونقنقنـا مقاسـاة الكـواليز
لنسـفعنكم سـفعاً يـذل لـه ... ربّ السرير ويشجي صـاحب التيـز
فابكوا على التمر أبكـى الله أعيـنكم ... في كل أضـحى وفي فطـر ونـيروز

٢ – أبيات للشاعر دعبل بن علي الخزاعي ، قالها في حرب عجيف بن عنبسة مع الزّطّ، يقول : [2]

لم أرصـفاً مثـل صـف الـزّطّ ... تسـعين منـهم صـلبوا في خـطّ
مـن كـل عـالٍ جذعـه بالشـطّ ... كأنـه في جذعـه المشـتطّ
أخـو نعـاس جـدّ في التمطّـي ... قـد خـامر النـوم ولم يغـطّ

---

[1] الطبري : ج٩ / ص ١٠ – ١١ ، والأبيات من البحر البسيط .

[2] ديوان دعبل الخزاعي ، تحقيق : د.عبد الكريم الأشتر ، ص ١٧٩ ، الكامل للمبرد : ج٣ / ص٣٨ . والأبيات من البحر الكامل .

٥- ثورة الزَّنج :

١- قصيدة يحيى بن محمد الأسلمي في مدح الموفق عند انتصاره على الزَّنج : [١]

أقول وقد جاء البشير بوقعةٍ   أعزّت من الإسلام ما كان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما   أبيح حماهم خير ما كان جازيا
تفرّد إذ لم ينصر الله ناصر   بتجديد دين كان أصبح باليا
وتشديد ملك قد وهى بعد عزّه   وإدراك ثارات تبير الأعاديا
وردّ عمارات أُزيلت وأُخربت   ليرجع فيء قد تخرّم وافيا
ويرجع أمصار أُبيحت وأُحرقت   مراراً فقد أمست قواء عوافيا
ويشفي صدور المؤمنين بوقعة   يقرّ بها منّا العيون البواكيا
وُيتلى كتاب الله في كل مسجد   ويُلقى دعاء الطالبين خاسيا
فأعرض عن أحبابه ونعيمه   وعن لذّة الدنيا وأقبل غازيا

٢ – قصيدة يحيى بن محمد أيضاً في مدح الموفق إثر انتصاره على الزَّنج : [٢]

عني اشتغالك إني عنك في شغل   لا تعذلي من به وقر عن العذل
لا تعذلي في ارتحالي إنني رجل   وقف على الشد والأسفار والرحل
فيم المقام إذا ما ضاق بي بلد   كأنني لحجال العين والكلل
ما استيقظت همة لم تلف صاحبها   يقظان قد جانبته لذة المقل
ولم يبت أمناً من لم يبت وجلاً   من أن يبيت له جار على وجل

---

[١] الطبري : ج٩ / ص ٦٦٣ – ٦٦٤ ، الكامل : ج٦ / ص ٥٣ – ٥٤ ، والقصيدة من البحر الطويل .

[٢] الطبري : ج٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل : ج٦ / ص ٥٤ – ٥٥ ، والقصيدة من البحر البسيط .

٣ – قصيدة يحيى بن خالد بن مروان في مدح الموفق بعد انتصاره على ثورة الزّنج : [١]

يابن الخلائف من أرومة هاشم — والغامرين الناس بالإفضال

والذائدين عن الحريم عدوهم — والمعلمين لكل يوم نزال

ملك أعاد الدين بعد دروسه — واستنقذ الأسرى من الأغلال

أنت المجير من الزمان إذا سطا — وإليك يقصد راغب بسؤال

أطفأت نيران النفاق وقد علت — يا واهب الآمال والآجال

لله درك من سليل خلائف — ماضي العزيمة طاهر السربال

أفنيت جمع المارقين فأصبحوا — متلددين قد أيقنوا بزوال

أمطرتهم عزمات رأي حازم — ملأت قلوبهم من الأهوال

لما طغى الرّجس اللعين قصدته — بالمشرفي وبالقنا الجوّال

وتركته والطير يحجل حوله — متقطع الأوراج والأوصال

يهوي إلى حَرّ الجحيم وقعرها — بسلاسل قد أوهنته ثقال

هذا بما كسبت يداه وماجنى — وبما أتى من سيء الأعمال

أقررت عين الدين ممن قاده — وأدلته من قاتل الأطفال

صال الموفق بالعراق فأفزعت — من بالمغارب صولة الأبطال

---

[١] الطبري : ج٩ /ص ٦٦٤ – ٦٦٥ ، الكامل : ج٦ ،/ ص ٥٤ والقصيدة من البحر الكامل .

٤ – قصيدة يحيى بن خالد بن مروان في مدح الموفق أيضاً عند انتصاره على الزَّنج : [١]

أبن لي جواباً أيها المترل القفر ... فلا زال منهلاً بساحاتك القطر

أبن لي عن الجيران أين تحملوا ... وهل عادت الدنيا ، وهل رجع السَّفر

وكيف تجيب الدار بعد دروسها ... ولم يبق من أعلام ساكنها سطر

منازل أبكاني مغانيّ أهلها ... وضاقت بي الدنيا وأسلمني الصبر

كأنهم قوم رغا البكر فيهم ... وكان على الأيام في هلكهم نذر

وعاثت صروف الدهر فيهم فأسرعت ... وشر ذوي الأصعاد ما فعل الدهر

فقد طابت الدنيا وأينع نبتها ... بيمن ولي العهد وانقلب الأمر

وعاد إلى الأوطان من كان هارباً ... ولم يبق للمعلون في موضع إثر

بسيف ولي العهد طالت يد الهدى ... وأشرق وجه الدين واصطلم الكفر

وجاهدهم في الله حق جهاده ... بنفس لها طول السلامة والنصر

٥ – قصيدة صاحب الزَّنج يفتخر فيها بنفسه وبمن معه : [٢]

لقد علمت هاشم أننا ... صباح الوجوه غداة الصياح

وأنا إذا زعزعت في الوغى ... ذيول الرياح ذبول الرماح

نسوق السيوف بدفع الحتوف ... وننكي الجراح بكف الجراح

ونسمو سماحاً أكف السماح ... بقسم رماح وبيض صفاح

وقرم صجناه في داره ... بكل أقب ونهد وقاح

فغودر بعد عناق الملاح ... ضجيج النجيع مسرح الجراح

كليل الأنين مذال الجبين ... مهين السلاح مهيض الجناح

صلى نور عيني بنور الأقاح ... وراح الأكف بماء وراح

فما طول عشقي مزاح الملاح ... بمشتغل عن صياح الصباح

---

[١] الطبري : ج٩ /ص ٦٦٥ ، الكامل : ج٦ ،/ ص ٥٤ والقصيدة من البحر الطويل .

[٢] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ ، والقصيدة من البحر المتقارب .

٦ – قصيدة صاحب الزَّنج يتحدث فيها عن نفسه : [١]

أسمعـــاني الصـــياح بـــالإمليس	وصـــياح العيرانـــة العيطمـــوس [٢]
واتركـــاني مـــن قـــرع مزهـــر ريّـــا	واختلاف الكـــؤوس بالخنـــدريس [٣]
لـــيس تـــبنى العـــلا بـــذاك وهـــذا	لكن الضـــرب عنـــد أزم الضـــروس
عيّفتْ عـــن كـــل اللبانـــات نفســـي	وسمـــت نحـــو غـــير ذاك حدوســـي
وخلا مـــن هـــواجس النـــأي قلـــبي	كخلـــو الطلـــول بعـــد الأنـــيس
واســـبطرّت حمـــالق القـــوم للمـــو	ت وصارت نفوسهم في الـــرؤوس [٤]
رُبَّ سيد يحمـــي الخمـــيس بعضـــبٍ	ويجلـــي ظـــلام ليـــل الخمـــيس
عمّمتـــه يمـــنى يـــديّ بعضـــب	تركـــت جنبـــه كجنـــب العـــروس
تخبرنـــك الكمـــاة عـــن غـــدواتي	في غـــداة الـــوغى أبـــا قـــابوس
فســـلوا عـــامراً وعـــارض لمـــا	أن لقـــوا بـــالفجور والتـــدليس
أتـــروني أقـــر بـــالنوم غمضـــاً	يـــا عبيـــد الصـــليب والنـــاقوس

---

(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ ، والقصيدة من البحر الخفيف .

(٢) الإمليسة والإمليس هي الفلاة ليس فيها نبات ، العيرانة : هي الناقة الصلبة تشبيها بعير الوحش ، والألف والنون زائدتان ، العطيموس : هي الناقة التامة الخلق .

(٣) الخندريس : يونانية ومعناها الخمرة القديمة المعتقة .

(٤) اسبطرت : امتدت أو أسرعت ، حمالق : الحُملاق والحِملاق والحملوق : العين أو باطن أجفانها (جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تحقيق د. رحاب عكاوي ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩)

٧ – قصيدة صاحب الزَّنج يفتخر فيها بنفسه : [١]

مـــا تغطّـــي عســـاكر الليـــل مـــني ... ما تجلّـــي مضـــاحك الصـــبح عـــني

جسم سيف في جوف غمـــد ثيـــابٍ ... صدر إنس مـــن تحتـــه قلـــب جـــني

ميت حسن وحيّ نفسٍ كما الشمـــــ ... ـــس يـــرى مشـــيها بعـــين الـــتظني

شمـــــري إذا اســـــتقل بعــــزم ... لم يعـــــرج بليـــــتي ولـــــو أني [٢]

مـــا ينـــال الكـــرى ســـويداه إلا ... حســـوة الطـــائر الـــذي لا يـــثني

إن رماه خطب قـــرى الخطـــب رأي ... فيـــه روع النجـــا وحكـــم التـــأني

كـــم ظـــلام جعلتـــه طيلســـاني ... صـــاحبي همـــتي وقلـــبي مجـــني

كم حبال قطعـــت في وصـــل أخـــرى ... تاركاً ما أخـــاف مـــن ســـوء ظـــني

مســـــتخف بـــــذا وذاك وهــــذا ... لم أسمـــع نـــدامتي قـــرع ســـني

أنـــا روض الربيـــع في كـــل زهـــر ... فيلســـوف الزمـــان في كـــلّ فـــن

٨ – قصيدة صاحب الزَّنج يخاطب فيها بني العباس : [٣]

بـــني عمّنـــا لا توقـــدوا نـــار فتنـــةٍ ... بطيء علـــى مـــرّ الليـــالي خمودهـــا

بـــني عمّنـــا إنـــا وأنـــتم أنامـــل ... تضـــمّنها مـــن راحتيهـــا عقودهـــا

بـــني عمّنـــا ولّيـــتم التـــرك أمرنـــا ... بـــديئاً وأعقابـــاً ونحـــن شـــهودها

فأقســـم لا ذقـــت القـــراح وإن أذق ... فبلغـــةُ عـــيش أو يبـــار عميـــدها

– بيت لصاحب الزَّنج ، يقول فيه : [٤]

أتحســـب عبـــد القـــيس أني نســـيتها ... ولست بناســـيها ولا تاركـــاً ثـــأري

---

[١] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ ، والقصيدة من البحر الخفيف

[٢] الشِمِيِّر والشَمَّري والشِمَّري : المجِدّ الماضي في الأمور ، المجرب (جمع الجواهر ، تحقيق : د. رحاب عكـاوي ، ص٢٢٨)

[٣] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ – ١٥٧ ، والأبيات من البحر الطويل .

[٤] التنبيه والإشراف للمسعودي : ص ٣٥٦ ، والبيت من البحر الطويل .

٩ – أبيات لصاحب الزّنج في الغزل : [١]

ولمـــا تبينـــت المنـــازل بـــالحمى ... ولم أقـــض منـــها حاجـــة المتـــورّد

زفـــرت إليهـــا زفـــرة لـــو حشـــوتها ... ســـرابيل أبـــدان الحديـــد المســـرّد[٢]

لرقّت حواشـــبها ، وظلّـــت متونهـــا ... تلين كما لانـــت لـــداود في اليـــد [٣]

١٠ – أبيات لصاحب الزّنج يتوعّد فيها باقتحام قصور الخلافة العباسية : [٤]

لهف نفســـي علـــى قصـــور ببغـــدا ... د وما قد حوتـــه مـــن كـــل خـــاصٍ

وخمـــور هنـــاك تشـــرب جهـــرا ... ورجـــال علـــى المعاصـــي حـــراص

لســـت بـــابن الفـــواطم الزّهـــر إن لم ... أقحم الخيـــل بـــين تلـــك العـــراص

١١ – أبيات لصاحب الزّنج يفتخر بها : [٥]

وإنـــــا لتصـــــبح أســـــيافنا ... إذا مـــا اصْـــطَبَحْنا بيـــوم ســـفوك

منـــا بـــرهنّ بطـــون الأكـــفّ ... وأغمـــــادهن رؤوس الملـــــوك

ومـــالي في الخلـــق مـــن مشـــبه ... ولا في اكتساب العـــلا مـــن شـــريك

١٢ – بيتان لصاحب الزّنج يخاطب فيهما نفسه : [٦]

وإذا تنـــازعني أقـــول لهـــا قـــري ... مـــوت يريحـــك أو صـــعود المنـــبر

ما قد قضي ســـيكون فاصـــطبري لـــه ... ولك الأمـــان مـــن الـــذي لم يقـــدر

---

[١] شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد : م٤ – ج٨ – ص ١٢٨ ، والمقطوعة من البحر الطويل .

[٢] سرابيل : ج سربال : وهو القميص أو الدرع (تاج العروس : ج١٤ / ص ٣٤٣) ، أبدان : ج . بـدن وهـي الدرع القصيرة ، المسرد : الدرع (تاج العروس : ج٥ / ص١٥) .

[٣] حواشبها : حوشب : منتفخ الجنبين . (لسان العرب : ج ١ ،/ ص٣١٨) .

[٤] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٧ ، معجم الشعراء ، للمزرباني : ص ١٣٠ – ١٣١ ، وهناك اختلاف بين المصدرين في رواية بعض الألفاظ .

[٥] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ ، والمقطوعة من البحر المتقارب .

[٦] شرح نهج البلاغة : م٤ – ج٨ – ص١٢٨ ، والمقطوعة من البحر الكامل .

١٣ – بيتان لصاحب الزَّنج قالهما عندما هرب من قصره في اليوم الذي قتل فيه : [١]

عليــك ســلام الله يــا خــير مــترل خرجنــا وخلفنــاه غــير ذمــيم

فــإن تكــن الأيــام أحــدثن فرقــة فمن ذا الــذي مــن ريبــهن ســليم

١٤ – أبيات لصاحب الزَّنج ، يبيّن فيها مذهبه في الحياة ، يقول : [٢]

قتلــــت النــــاس إشــــفاقاً علــى نفســي كــي تبقــى

وحــــزت المــــال بالســـيف لكــي أنعــم لا أشــقى

فمـــن أبصـــر مثـــواي فـــلا يظلـــم إذن خلقـــا

فـــوا ويلـــي إذا مـــا مـــت عنـــد الله مـــا ألقـــى

أخلـــــداً في جـــــوار الله أم في نـــــاره أُلقـــــى

١٥ – أبيات ليحيى بن محمد الأسلمي ، يتحدث فيها عن صاحب الزَّنج ، فيقول : [٣]

أيــن نجــوم الكــاذب المــارق مــا كــان بالطّــبّ ولا الحــاذق

صــبّحه بــالنّحس ســعد بــدا لســيّد في قولــه صــادق

فخــرّ في مأزقــه مســلماً إلى أســود الغــاب في المــازق

وذاق مــن كــأس الــرّدى شــربة كريهــة الطّعــم علــى الــذّائق

١٦ – أبيات ليزيد بن محمد المهلبي ، في صاحب الزَّنج : [٤]

أيّها الخائن الــذي دمّــر البــصــ ـــرة أبشــر مــن بعــدها بــدمار

إن تقــل جــدي الــنبي فمــا أنــ ـــت مــن الطيّــبين والأخيــار

قد نفى الله في الكتــاب ابــن نــوح حــين كــان ابنــه مــن الكفّــار

---

[١] شرح نهج البلاغة : م٤ – ج٨ – ص ١٢٧ ، معجم الشعراء للمرزباني ، ص١٣٠ ، والمقطوعة من البحر الطويل

[٢] شعر الحرب في أدب العرب ، د . زكي محاسني : ص ١٦٦ ، والأبيات من بحر الهزج .

[٣] الطبري : ج٩ / ص ٦٦٤ ، والأبيات من البحر السريع .

[٤] ذيل زهر الآداب : ص ١٥٤ ، والأبيات من البحر الخفيف .

١٧ – قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة بعد اقتحام الزّنج لها وتخريبها : [1]

ذاد عـــن مقلـــتي لذيـــد المنـــام ... شـــغلها عنـــه بالـــدموع الســـجام

أي نوم من بعد مـا حـل بالبصـــ ... ـــرة مـــن تلكـــم الهنـــات العظـــام؟

أي نوم من بعد مـا انتـهك الزنـــ ... ـــج جهـــاراً محـــارم الإســـلام ؟

إن هـــذا مـــن الأمـــور لأمـــر ... كـــاد أن لا يقـــوم في الأوهـــام

أقـــدم الخـــائن اللعـــين عليهـــا ... وعلـــى الله أيمـــا إقـــدام

وتســـمى بغـــير حـــق إمامـــاً ... لا هـــدى الله ســـعيه مـــن إمـــام

بينمـــا أهلـــها بأحســـن حـــال ... إذ رمـــاهم عبيـــدهم باصـــطلام

دخلوهـــا كـــأنهم قطـــع الليـــ ... ـــل إذا راح مـــدلهم الظـــلام

إذ رمـــوهم بنـــارهم مـــن يمـــين ... وشمـــال وخلفهـــم وأمـــام

كـــم أب قـــد رأى عزيـــز بنيـــه ... وهـــو يُعلـــى بصـــارم صمصـــام

كـــم رضـــيع هنـــاك قـــد فطمـــوه ... بشبا الســـيف قبـــل حـــين الفطـــام

كـــم فتـــاة مصـــونة قـــد ســـبوها ... بـــارزاً وجههـــا بغـــير لثـــام

أيـــن ضوضـــاء ذلـــك الخلـــق فيهـــا ... أيـــن أســـواقها ذوات الرخـــام؟

أين تلـك القصـور والـدور فيهـا ... أيـــن ذاك البنيـــان ذو الإحكـــام ؟

بـــدلت تلكـــم القصـــور تـــلالاً ... مـــن رمـــادٍ ومـــن تـــراب ركـــام

أي خطـــب وأي رزءٍ جليـــلٍ ... نالنـــا في أولئـــك الأعمـــام ؟

واحيـــائي مـــن الـــنبي إذا مـــا ... لا مـــني فـــيهم أشـــد الملام

وانقطـــاعي إذا هـــم خاصـــموني ... وتـــولّى الـــنبي عنـــهم خصـــامي

مثّلـــوا قولـــه لكـــم أيهـــا النـــا ... س إذا لامكـــم مـــع اللـــوّام

أمـــتي أيـــن كنـــتم إذ دعـــتني ... حـــرة مـــن كـــرائم الأقـــوام

صـــرخت : " يـــا محمـــداه " فهـــلاّ ... قـــام فيهـــا رعـــاة حقـــي مقـــامي

انفـــروا أيهـــا الكـــرام خفافـــاً ... وثقـــالاً إلى العبيـــد الطّغـــام

إن قعـــدتم عـــن اللّعـــين فـــأنتم ... شـــركاء اللّعـــين في الآثـــام

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٦ / ص ١٣١ – ١٣٦ ، والقصيدة تقع في ٨٦ بيتاً ، وقد اخترت منها هذه الأبيـات ، وهي من البحر الخفيف .

١٨ – قصيدة ابن الرومي التي يمدح فيها الموفق وصاعد بن مخلد شريك الموفق في الانتصار على الزَّنج ، وهي طويلة جداً ، ولذلك اخترت منها هذه الأبيات : [1]

أبين ضلوعي جمرة تتوقد ... على ما مضى أم حسرة تتجدد ؟

وطاغ عهدنا أمره وهو حادث ... جليل فأمسى أمره وهو معهد

تمادت به الطغوى ولم يدر أنه ... يسوّغ أكالاً له ثم يزرد

فصادف قتّال الطغاة بمرصد ... قريب ، وهل يخلو من الله مرصد ؟

أتيح له من ذي الغناءين صاعد ... مِصَاع ومكر أعجميّ مولد

فعجمته كتمانة أين عهده ... وتوليده عرفانه أين يعمد

رماه بحولٍ لا يطاق وقوة ... وليٌّ بكلتا العدّتين مؤيد

رأى صيده من أفضل الصيد كلّه ... على أنه من شرّ ما يتصيّد

فبثّ له تلك الحبائل حازم ... من القوم كيّاد قديماً مكيّد

موفّق آراء ، وزير موفّق ... يعاضده ، والركن بالركن يعضد

أبا أحمد : أبليت أمة أحمد ... بلاء سيرضاه ابن عمك أحمد

بك ارتجع الإسلام بعد ذهابه ... وعاد منار الدين وهو مشيّد

قتلت الذي استحيا النساء وأصبحت ... وئيدته في السبر والبحر توأد

حصرت عميد الزَّنج حتى تخاذلت ... قواه ، وأودى زاده المتزود

فظلّ – ولم تقتله – يلفظ نفسه ... وظلّ – ولم تأسره – وهو مقيّد

تفرّق عنه بالمكائد جنده ... وتزدادهم جنداً ، وجيشك محصد

ولكن بغى حتى نُصِرْتَ فلم تكن ... تنقّصُه إلا وأنت تزيّد

فما رمته حتى استقل برأسه ... مكان قناة الظهر أسمر أجرد

حدوت به نحو النجاة كأنما ... محجّتها البيضاء سحل ممدّد

فلما أبى إلا البوار شللته ... إلى النار ، بئس المورد المتورَّد

---

[1] ديوان ابن الرومي : ج٢ / ص ١١١ – حتى ص ١٢٧ ، وعدد أبيات القصيدة (٢٨٢) بيتاً ، وهي من البحر الطويل .

١٩ – قصيدة ابن المعتز التي يمدح فيها الموفق بعد انتصاره على ثورة الزَّنج : [١]

بكاه علـــى مـــا في الضـمير دليـــل	ولكـــنّ مـــولاه عليـــه بخيـــل
ولي كبـــد أمســـى يقطعهـــا الهـــوى	ودمع عصى الأجفـــان فهـــو يســـيل
رأيتُـــكِ لا تجـــزين طـــول صـــبابتي	ومـــا ذاك بـــين العاشـــقين جميـــل
فهـــل لي إلا أن أمـــوت بحبـــها	ضـــياعاً ولا يـــدري بـــذاك ســـبيل
إليك امتطينا العيس تـــنفخ في الـــبرى	ولليل طـــرف بالصـــباح كحيـــل [٢]
ولمـــا طغـــى فعـــل الـــدعي رميتـــه	بجيش يفل الخطـــب وهـــو جليـــل [٣]
صباح يسيل البيض في ظلـــم الـــدجى	وليل عـــريض في النـــهار طويـــل [٤]
وفتيـــان هيجـــا بـــاذلين نفوســـهم	كـــأنهم تحـــت الرمـــاح وعـــول [٥]
فعلمتـــه كيـــف التصـــافح بالقنـــا	وكيف تروى البيض وهي محـــول [٦]
ســـريع إلى الأعـــداء أمـــا جنانـــه	فمـــاضٍ وأمـــا وجهـــه فجميـــل

٢٠ – أبيات لابن المعتز يمدح فيها الموفق ويذكر إصابته بالجرح الذي أقعده فترة عـــن قيادة الجيوش العباسية أثناء حربه مع الزَّنج : [٧]

يـــا ناصـــر الإســـلام عـــش	واســـلم علـــى ريـــب الـــزمن
شـــق الجمـــوع بســـيفه	وشـــفى حـــزازات الإحـــن
دامـــي الجـــراح كأنهـــا	ورد تفـــتح في غصـــن

---

[١] ديوان ابن المعتز : ج١ / ص ٣٦٩ – ٣٧٠ ، وهي من البحر الطويل .

[٢] امتطينا : ركبنـــا . العيس : النوق . البرى : الحلقات في الأنوف . (ديوان ابن المعتز ، شرح : مجيد طراد ، ج١ / ص ٣٦٩) .

[٣] يفل : يكسر . الخطب : المصاب . (ديوان ابن المعتز : ج١ / ص٣٧٠) .

[٤] البيض : السيوف .

[٥] الهيجاء : الحرب . وعول : جمع وعل : تيس الجبل ،له قرنان قويان منحنيان كسـيفين أحـدبين . والوعـل : الشريف . (ديوان ابن المعتز : ج١ / ص٣٧٠) .

[٦] القنا : الرماح . محول : عطش . (ديوان ابن المعتز : ج١ / ص٣٧٠) .

[٧] ديوان ابن المعتز : ج١ / ص٣٨٨ . وهي من البحر الكامل .

٢١ – أرجوزة ابن المعتز التي قالها في الخليفة العباسي " المعتضد بالله " ، وقد ذكر فيها أمر الموفق وابنه العباس مع ثورة الزّنج ، يقول فيها : [١]

فلم يزل بالعلوي الخائن ... المهلك المخرب للمدائن
والبائع الأحرار في الأسواق ... وصاحب الفجار والمراق
وقاتل الشيوخ والأطفال ... ومنهب الأرواح والأموال
ومهلك القصور والمساجد ... ورأس كل بدعة وقائد
حتى علا رأس القناة رأسه ... وزال عنه كيده وبأسه
شيخ ضلال شر من فرعون ... لحيته كذنب البرذون
إمام كل رافضي كافر ... من مظهر مقالة وساتر
يلعن أصحاب النبي المهتدي ... إلا قليلاً عصبة لم تزدد
فكفر الناس سواهم عنده ... فلعنة الله عليه وحده
ما زال حياً يخدع السودانا ... ويدعي الباطل والبهتانا
وقال سوف أفتح السوادا ... وأملك العباد والبلادا
ويدخلون عاجلاً بغداذا ... فلم ير الكذاب ذا ولاذا
صاحبَ قوماً كالحمير جهله ... وكل شيء يدعيه فهو له
وقال إني أعلم الغيوبا ... لم ير فيهم عالماً مجيباً
وبعضهم يريد منه نفقه ... ويترك الدين عليه صدقه
فخرب الأهواز والأبله ... وواسطاً قد حل فيها جله
وترك البصرة في رماد ... سوداء لا توقن بالميعاد
وأطعم الزنوج أطفال الناس ... مكيدة أعظم به من قاس
فواحد يشدخ بالعمود ... وواحد يدخل في السفود
وارتفعت أيدي العباد شرعاً ... بعد الصلاة جمعاً فجمعا
أغرى به الله هزبراً ضيغما ... إذا رأى أقرانه تقدما
قد جرب الحروب حتى شابا ... فإن دعاه حادث أجابا
فلم يزل عاماً وعاماً ثانياً ... وثالثاً يكابد الدواهيا
حتى قضى الله له بالفتح ... من بعد طول تعب وكدح

---

[١] ديوان ابن المعتز : ج١ / ص٤٠٢ – ٤٠٥ .

خاتمة البحث

هذا الذي تقدم دراسة لشعر الثورات السياسية في العراق ، من بداية الدولة العباسية حتى نهاية ثورة الزنج وفق منهج اقتضته طبيعة الموضوع ، فكان في خمسة فصول بعد مقدمة أشرت فيها إلى أهمية هذا الموضوع في الدراسة الأدبية ، وأبنت الأسباب التي دعتني إلى اختياره موضوعاً لهذه الدراسة ، وتحدثت بعد هذا عن منهج البحث الذي قامت على أساسه هذه الرسالة ، وفصلت القول في الدراسات الحديثة المتصلة بهذا الموضوع ، وأشرت إلى ما أفاده البحث من بعضها ، وتابعت القول بذكر أهم المصادر والمراجع التي عدت إليها فأخذت من بعضها ما يكشف الطريق ويفيد البحث وطويت بعضها الآخر .

وتحدثت في الفصل الأول عن الثورات ودوافعها الفكرية والاجتماعية ، فأوضحت نشدان هذه الثورات بشكل مباشر وغير مباشر للإصلاح والتنبيه إلى العيوب التي ينبغي للسلطة العباسية تجنبها والعدول عنها . وخلصت إلى أن ثورات الطالبيين وكذلك ثورات الخوارج ، إنما كان صراعها مع العباسيين يأخذ شكل الصراع بين دولة الدّين ودولة الدنيا ، إذ كان الطالبيون وكذلك الخوارج يريدون أن يقيموا دولة تستند على الدين ، يعمها العدل والمساواة بين الحاكم والرعية . في حين أن الثورات الأخرى كانت تسعى إلى السلطة والسيطرة المباشرة على مقدرات الدولة كثورة يعقوب بن الليث الصفار ، وثورة الزط ، وثورة الزنج .

كما أنني وصلت في هذا الفصل إلى أن الخصومة بين العباسيين والطالبيين لم تنسهم روابط القرابة التي كانت تجمع بينهم ، وقد أشرت إلى المواقف التي وقفها الطرفان ، إذ كانت مشرفة تسجل لهم ، وتسمو بهم فوق صراعهم لتثبت أن هذه الأمة أمة حيوية يسعى أبناؤها دائماً إلى الأفضل والأكمل .

وجعلت الفصل الثاني لدراسة الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات ، فوجدت أن هذا الشعر توزع على أربعة اتجاهات كان أبرزها الحملة على الخصوم وتكفيرهم وهو ما أطلقت عليه اسم (الهجاء السياسي) ، فقد بينت فيه عمق الصراع الدموي حول الخلافة بين العباسيين وخصومهم السياسيين . كما كان (الرثاء السياسي) الاتجاه الآخر البارز بين

هذه الاتجاهات ، حيث راح الشعراء يرثون قادتهم الذين سقطوا في ساحات هذا الصراع الأليم . وكان ابن الرومي من الذين تألموا لما أصاب الطالبيين ، وقد اعتبرت هذا منه صورة لموقف غاضب ، ومتنفساً لثورته النفسية على النظام كله .

وظهر عنصر جديد في هذا الرثاء هو رثاء المدن التي لحقها الخراب والدمار جراء الصراع السياسي بين العباسيين وخصومهم أصحاب الثورات . وقد كانت قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة خير مثال على ذلك الرثاء الذي حمل شحنات كبيرة من صدق العاطفة وحرارتها .

وكان الفصل الثالث مداراً للحديث عن دلالات شعر الثورات : السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية . ففي الدلالات السياسية تحدثت عن الواقع السياسي للسلطة العباسية ، وخلصت إلى أن الصراع القومي بين العرب والأتراك قد انعكس على شعر الثورات ، فكان الشعراء يعبرون من خلاله عن غضبهم لسيطرة العناصر الأجنبية على حكم الدولة ، ويبرزون استياءهم من اعتماد السلطة العباسية على القادة الأتراك ، وإبعادها للعرب الذين هم أصل الدعوة الإسلامية ، والحريصون على دولتهم ، إذ لا يبني الدولة ويحميها غير أهلها وأبنائها . وقد استشهدت بالأمثلة التي تؤكد رفض الناس للسيطرة الأجنبية على شؤون الدولة .

أما في الدلالات الاجتماعية والاقتصادية ، فبينت أن ما كانت تعانيه الطبقة العامة من حرمان وعوز ، إلى جانب سوء النظام الاقتصادي الذي أنَّ بسببه المعدمون وتحملوا الكثير من العنت والأذى ، كان سبباً في سخطهم وانضمامهم إلى كل ثورة تنشد العدل الاجتماعي أو تدعيه . كما أبرزت أن تدهور الحالة السياسية والاقتصادية أدى إلى استفحال نظام الإقطاع واستغلال الرقيق وغير الرقيق بشكل يرفضه الدين وتأباه القيم الإنسانية . وهذا ما ساعد على قيام أخطر ثورة في مواجهة السلطة العباسية ألا وهي ثورة الزنج . فعلى الرغم من وصولنا إلى نتيجة مفادها أن صاحب الزنج كان يسعى إلى السلطة ليس غير ، وأنه اتخذ من الزنج وسيلة لتحقيق هدفه ، إلا أننا نقر بأن سوء معاملة الزنج واستغلالهم أبشع استغلال جعلهم ينضوون تحت لواء هذه الثورة زرافات ووحدانا .

وتناولت في الفصل الرابع الخصائص الفنية لشعر الثورات ، فتحدثت عن وحدة القصيدة العضوية والموضوعية ، ووصلت إلى أنه ليس ضرورياً أن تحقق المقطوعات الشعرية الوحدة العضوية ، كما أن القصائد الطويلة لا تفتقر إلى هذه الوحدة في كثير من الأحيان ، وأوردت أمثلة من شعر الثورات لقصائد ومقطوعات تحققت فيها الوحدة العضوية ، كما أتيت بأمثلة على قصائد لم تحقق هذه الوحدة ، وإنما ظهرت فيها وحدة تجميعية تقوم على انتقال غير متسلسل منطقياً بين أقسام القصيدة .

أما الوحدة الموضوعية فقد تحققت في معظم قصائد ومقطوعات شعر الثورات ، فكانت بناء منتظماً أساسه الانسجام بين الوحدة والتنوع ، بعيداً عن التصنع والتكلف .

وانتقلت إلى الحديث عن الخيال والصورة الشعرية ، فأوضحت العلاقة بين المعنى والصورة ، وأهميتها في توضيح الفكرة وتقوية المعنى ، وأثرها في إضفاء جمال العرض وكمال البناء على القصيدة . كما بينت أن الخيال الشعري مراتب أو درجات ، يدل تعددها على عبقرية الشاعر ، وعلى حسن توظيفه أحاسيسه وشعوره . وقد مثلت لكل درجة من درجات الخيال بقصيدة من شعر الثورات . وقد قدم لنا ابن الرومي خاصة صوراً بارعة الأداء جميلة التعبير . وواضح أنه كان يتعامل مع هذه الصور تعامل فنان مقتدر دقيق الحس والخيال . متخذاً من الصورة وسيلة يقدم عن طريقها معانية وأفكاره ليضمن لها الوضوح وقوة التأثير والدلالة . ولينقل من خلالها انفعالاته وعواطفه .

وتحدثت بعد هذا عن لغة شعر الثورات ، فوجدت أن ألفاظ هذا الشعر قد جاءت موافقة للقواعد المشهورة عند العرب ، ولم يخرج عليها إلا ألفاظ يسيرة ، اضطر الشعراء إليها . كما وصلت إلى أن ألفاظ هذا الشعر لم تسلم من صفة الغرابة ، وذلك لأن الشعراء في العصر العباسي ظلوا يستعينون بالمعجم الشعري والتراكيب اللغوية القديمة . ووجدت أن ظاهرة التكرار قد وجدت في شعر الثورات ، وبخاصة في القصائد الطويلة ، وكان الاقتباس من القرآن الكريم أحد خصائص المعجم الشعري لشعر الثورات ، إذ غلب على قصائد هذا الشعر بروز ألفاظ مستمدة من القرآن الكريم ، وقد أوردت أمثلة على ذلك .

وختمت هذا الفصل بالحديث عن الأوزان والقوافي في شعر الثورات . فالأوزان من أهم أركان الشعر وقد تعددت أنغامها لميل النفوس إلى التغيير والتجديد ، ونفورها من الرتابة واللون الواحد . وأشرت إلى أن حازماً القرطاجني – وهو من رجال القرن السابع – كان من أقدم من بحث في موضوع العلاقة بين الوزن والغرض والشعري ، ولكنني خالفته في رأيه فرأيت أن المعول عليه في مناسبة القصيدة لموضوعها ليس البحر الشعري ، بل الكميات الإيقاعية في هذا البحر . وقد تبين لي من نتائج الإحصاء الذي أجريته على شعر الثورات ، أن أوزان الطويل والبسيط والكامل بالإضافة إلى الرجز تمثل واجهة قصائد هذا الشعر ، وأن الشعراء قالوا في معظم البحور الأخرى باستثناء المضارع والمقتضب والمتدارك والمجتث . واتضح لي أن اختيار الشعراء للأوزان الطويلة كان بسبب تناولهم غرضي المديح والرثاء بشكل واضح .

وأخيراً . . فعسى أن يكون هذا البحث إسهاماً في دراسة التراث الشعري القديم ، واستجلاء لبعض جوانب الحياة العربية من خلال هذا التراث . وإنني لا أدعي الكمال في هذا العمل ، لكن أرجو ألا أحرم أجر الاجتهاد ....

والله ولي التوفيق ،،،،،،،،،،،،،

المصادر والمراجع

(أ)

١- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، بـــيروت : دار المسيرة ، د . ت .

٢- أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ، د . علي عبد الرحمن العمرو ، ط١ ، ١٣٩٩ هـــ - ١٩٧٩ م .

٣- أخبار الراضي بالله والمتقي بالله من كتاب الأوراق ، الصولي ، نشر : ج هيورث . د ن ، القاهرة : مطبعة الصاوي ، ١٩٣٥ م .

٤- الأخبار الطوال ، الدينوري ، بيروت : دار المسيرة ، د . ت .

٥- أدباء العرب في الأعصر العباسية ، بطرس البستاني ، بيروت : ١٩٣٤ .

٦- أدب الخوارج ، د. سهير القلماوي ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥ م .

٧- أدب السياسية في العصر الأموي ، د . أحمد الحوفي ، بيروت : دار القلم ، د .ت .

٨- الأدب في ظل الخلافة العباسية ، د . علي جميل مهنا ، الـــدار البيضـــاء : مطبعـــة النجاح الجديدة ، ط١ ، ١٩٨١ م .

٩- الأدب المفرد ، البخاري ، مصر ، ١٣٤٠ هـــ .

١٠- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، القـــاهرة : ١٣٢٠ هـــ .

١١- أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي ، القاهرة: نهضة مصر، د .ت.

١٢- الأسس النفسية للإبداع الفني ، د. مصطفى سويف ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٧٠ م .

١٣- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ط ٤ ، ١٩٩٠ م .

١٤- الأصوات اللغوية ، محمد علي الخولي ، الرياض : مكتبة الخريجي ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ .

١٥- الإعجاز والإيجاز ، الثعالبي ، المطبعة العمومية بمصر ، ط ١ ، ١٨٩٧ م .

١٦- أعيان الشيعة ، العاملي ، طبعة بيروت ، ط٢ ، د . ت .

١٧- الأغاني ، طبعة بيروت : دار الثقافة ، د . ت . وطبعة مصر : مطبعة التقدم ، تصحيح : الشيخ أحمد الشنقيطي ، د . ت .

١٨- الاغتراب ، ريتشارد شاخت ، ترجمة : كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت : ١٩٨٠ م .

١٩- الاغتراب في الشعر العباسي ، د . سميرة سلامي ، دمشق : دار الينابيع ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

٢٠- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، د . حسن الباشا ، مطبعة لجان البيان العربي ، القاهرة : ١٩٥٧ م .

٢١- أنساب الأشراف ، البلاذري ، الجزء الثالث ، تحقيق : عبد العزيز الدوري ، بيروت : ١٩٧٧ م . والقسم الثاني من الجزء الرابع ، تحقيق : ماكس شلو سنجر ، القدس : الجامعة العبرية ، ١٩٣٨ .

٢٢- أوزان الشعر وقوافيه ، د . محمد أبو الفتوح شريف ، دبي : دار القلم ، ط١ ، ١٩٨٨ م .

٢٣- الإيضاح ، الخطيب القزويني ، تحقيق : د . عبد الحميد الهنداوي ، القاهرة : مؤسسة المختار ، ط١ ، ١٩٩٩ م .

(ب)

٢٤- البؤساء في عصر الإسلام ، محمود كامل فريد، مصر ،مطبعة التقدم ، ١٩٢٥م .

٢٥- بحور الشعر العربي " عروض الخليل " ، د . غازي يموت ، بيروت : دار الفكر اللبناني ، ط ٢ ، ١٩٩٢ م .

٢٦- البخلاء ، الجاحظ ، دمشق : مطبعة ابن زيدون ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

٢٧- البدء والتاريخ ، المقدسي ، منسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي ، بغداد : مكتبة المثنى ، ومصر : مؤسسة الخانجي ، ١٩١٩ م .

٢٨- البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق : د . عبد الله التركي ، الرياض : دار عالم الكتب ، ٢٠٠٣ م .

٢٩- بلدان الخلافة الشرقية ، غي لسترنج ، ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، بغداد : المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٤ م .

٣٠- بناء القصيدة ، يوسف بكار ، بيروت : دار الأندلس ، ط٢ ، ١٩٨٢ م .

٣١- البيان والتبين ، الجاحظ ، تحقيق : حسن السندوبي ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٢٧ م .

(ت)

٣٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، تحقيق : علي شيري ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٤ م .

٣٣- التاج في أخلاق الملوك ، الجاحظ ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، القاهرة : المطبعة الأميرية ، ط١ ، ١٩١٤ م .

٣٤- تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت : ١٣٩١ – ١٩٧١ م .

٣٥- تاريخ ابن خياط ، خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم العمري ، الرياض : دار طيبة للنشر ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٣٦- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، د . حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ط٧ ، ١٩٦٥ م .

٣٧- التاريخ الإسلامي العام ، د . علي إبراهيم حسن ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، د . ت .

٣٨- تاريخ الأمم الإسلامية " الـدولة العباسية " الشيخ محمد الخضـري ، تقـديم ومراجعة : د . أحمد حطيط ، بيروت : دار الفكر اللبناني ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

٣٩- تاريخ بغداد ، البغدادي ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٧ م .

٤٠- تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجي زيدان ، القاهرة : ١٩٠٢ — ١٩٠٦ م .

٤١- تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، آدم متز ، ترجمة : د . عبد الهادي أبو ريدة ، مصر ، د . ت .

٤٢- تاريخ الخلفاء السيوطي ، تحقيق : سعيد محمود عقيل ، بيروت : دار الجيـل ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٤٣- تاريخ الدولة العربية ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة : أبو ريدة ، القـاهرة : لجنـة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ م .

٤٤- تاريخ الرسل والملوك ، الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القـاهرة : دار المعارف ، ط ٤ .

٤٥- تاريخ الزمان ، ابن العبري ، ترجمة الأب إسحاق أرملة ، بيروت : دار المشرق ، ١٩٨٦ م .

٤٦- تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ، ترجمة : د . نبيه فارس ومـنير بعلبكي ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م .

٤٧- تاريخ العلويين ، محمد أمين غالب الطويل ، اللاذقية : ١٩٢٤ م .

٤٨- تاريخ الموصل ، الأزدي ، تحقيق : علي حبيبة ، القاهرة : لجنة إحيـاء التـراث الإسلامي ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م . الجزء الثاني .

٤٩- تاريخ اليعقوبي ، بيروت : دار بيروت ، ١٩٨٠ م .

٥٠- تجارب الأمم ، مسكويه " ضمن كتاب العيون والحدائق " بغداد : مكتبة المثنى ، د . ت .

٥١- تذكرة الخواص ، سبط ابن الجوزي ، النجف ، العــراق : المطبعــة العلميــة ، ١٣٦٩ هـــ .

٥٢- التطور والتجديد في الشعــر الأموي ، د . شــوقي ضــيف ، القــاهرة : دار المعارف ، ط٦ ، د . ت .

٥٣- التفسير النفسي للأدب، د . عز الدين إسماعيل ، بيروت : دار العودة ، د . ت .

٥٤- التمثيل والمحاضرة ، أبو منصور الثعالبــي ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلــو ، مصر : مطبعة عيسى البابي وشركاه ، ١٩٦١ م .

٥٥- التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري ، تحقيق : علي البواب ، الرياض : مكتبة المعارف ، ط١ ، ١٤٠٥ هـــ .

٥٦- التنبيه والإشراف ، المسعودي ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨١ م .

٥٧- تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مراجعة : محمد علــي النجار ، القاهرة : الدار المصرية للتأليف ، ١٩٦٤ م .

(ث)

٥٨- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، الثعالبي ، القاهرة : ١٩٠٨ م .

٥٩- ثورة الزنج ، د . فيصل السامر ، بغداد : دار القارئ ، ١٩٥٤ م .

٦٠- ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، أحمد علبي، بيروت: دار الفارابي ،١٩٩١ م .

(ج)

٦١- جمع الجواهر في الملح والنوادر ، الحصري ، تحقيق : د . رحــاب عكــاوي ، بيروت : دار المناهل ، ١٩٩٣ م .

٦٢- جمهرة أشعار العرب ، القرشي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، القــاهرة : دار نهضة مصر ، د . ت .

٦٣- جوامع الشعر ، الفارابي ، تحقيق : محمد سليم سالم ، القاهرة : ١٩٧١ م .

٦٤- جوامع علم الموسيقى " من قسم الرياضيات من كتاب الشفاء " ابن سينا ، تحقيق : زكريا يوسف ، الإدارة العامة للثقافة ، ١٩٥٦ م .

(ح)

٦٥- الحركات السرية في الإسلام ، محمود إسماعيل ، بيروت : دار القلم ، ط١ ، ١٩٧٣ م .

٦٦- حلية المحاضرة ، الحاتمي ، تحقيق : جعفر الكناني ، بغداد : ١٩٧٩ م .

٦٧- الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (ثمانية أجزاء) بيروت : دار الجيل ، ١٩٩٢ م .

(خ)

٦٨- خاص الخاص ، الثعالبي ، تحقيق : حسين الأمين ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٦ م .

٦٩- الخراج في الدولة الإسلامية ، محمد ضياء الدين الريس ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٧ م .

٧٠- خزانة الأدب ، البغدادي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة : دار الكاتب العربي ، ١٩٦٨ م .

٧١- الخوارج في العصر الأموي ، نايف محمود معروف ، بيروت : دار الطليعة ، ط١ ، ١٩٧٧ م .

٧٢- الخوارج والشيعة ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، الكويت : وكالة المطبوعات ، ط٣ ، ١٩٧٨ م .

(د)

٧٣- دائرة المعارف الإسلامية ، كارل بروكلمان ، القاهرة : ١٩٣٣ م .

٧٤- دراسات فنية في الأدب العربي ، د . عبد الكريم اليافي ، دمشق : ١٩٧٢ م .

٧٥- دراسات في الأدب العربي ، غوستاف غروبناوم ، ترجمة : د . إحسان عباس وآخرين ، بيروت : ١٩٥٩ م .

٧٦- دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط١٠ ، ١٩٨٣ م .

٧٧- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، دمشق : ١٩٨٣ م .

٧٨- ديوان ابن الرومي ، شرح : أسامة حيدر ، وفاروق أسليم وآخرين ، بيروت : دار الجيل ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

٧٩- ديوان ابن الرومي ، شرح وتحقيق : عبد الأمير مهنا ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

٨٠- ديوان ابن المعتز ، شرح : مجيد طراد ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، ١٩٩٥ م .

٨١- ديوان الخوارج ، نايف محمود معروف، بيروت : دار المسيرة ، ط١ ، ١٩٨٣م .

٨٢- ديوان دعبل الخزاعي ، تحقيق : د . عبد الكريم الأشتر ، دمشق : مجمع اللغة العربية بدمشق ط٢ ، ١٩٨٣ م .

٨٣- ديوان الفرزدق ، شرح : د . عمر فاروق الطباع ، بيروت : شركة دار الأرقم ، ط١ ، ١٩٩٧ م .

٨٤- ديوان النابغة الذبياني ، شرح : محمد عاشور ، تونس : الشركة التونسية ، ١٩٨٦ م .

٨٥- ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ، تحقيق : عبد القدوس أبو صالح ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٥ م .

(ذ)

٨٦- ذات الكاتب الإبداعية وتطور الأدب ، م . خرابتشينكو ، ترجمة : نوفل نيوف وعاطف أبو جمرة ، وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨٠ م .

٨٧- ذيل زهر الآداب ، الحصري ، تصدير الشيخ عبد العزيز البشري ، المطبعة الرحمانية بمصر ، د . ت .

(ر)

٨٨- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ، د . مصطفى الشكعة ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ م .

٨٩- الرومانسية في الآداب الأوربية ، بول فان تيغيم ، ترجمة : صياح الجهيم ، وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨١ م .

٩٠- الرومنتيكية ، د . محمد غنيمي هلال ، بيروت : ١٩٧٣ م .

(ز)

٩١- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني ، تحقيق : د . زكي مبارك ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٤٥ م .

(س)

٩٢- سارتر بين الفلسفة والأدب ، موريس كرانستون ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٥ م .

٩٣- السبر الأدبي ، د . أسعد علي ، الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية في باريس ، ١٩٨٦ م .

٩٤- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٩٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح الحنبلي ، بيروت : المكتبة التجارية ، د . ت .

٩٦- شرح ديوان الأعشى ، تحقيق كامل سليمان ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، د . ت .

٩٧- شرح ديوان صريع الغواني " مسلم بن الوليد" تحقيق : د . سامي الدهان ، القاهرة : دار المعارف ، ط ٢ ، د . ت .

٩٨- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٩٦ م .

٩٩- شعر أبي فراس الحمداني " دلالاته وخصائصه الفنية " ، د . عبد اللطيف عمران ، دمشق : دار الينابيع ، ١٩٩٩ م .

١٠٠- شعر التجربة ، اريشبالد ميكليش ، ترجمة : سلمى الخضراء الجيوسي ، بيروت : ١٩٦٣ م .

١٠١- الشعر الحديث جداً ، د. أسعد علي ، دمشق : دار السؤال ، ط٣ ، ١٩٨٥ م .

١٠٢- شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة ، د . زكي محاسني ، القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م .

١٠٣- شعر الحرب في العصر الجاهلي ، د . علي الجندي ، بيروت : دار الجامعة العربية ، ط ٣ ، ١٩٦٦ م .

١٠٤- شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري ، د . إبراهيم الخواجة ، الكويت : منشورات شركة كاظمة ، ط١ ، ١٩٨٤ م .

١٠٥- الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث ، مصطفى السحرتي ، جدة : تهامة للنشر ، ط٢ ، ١٤٠٤ هـ .

١٠٦- الشعر والتجربة ، روبرت لانغيوم ، ترجمة : علي كنعان ، عبد الكريم ناصيف ، وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨٣ م .

١٠٧- الشعر والحياة العامة ، م . روزنتال ، ترجمة : إبراهيم يحيى الشهابي ، وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨٣ م .

١٠٨- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٤٦ هـ .

١٠٩- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، د . شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .

١١٠- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، الخفاجي ، تصحيح : نصر الهوريني ، مصر : المطبعة الوهبية ، ١٢٨٢ هـ .

(ص)

١١١- الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس ، القاهرة : ١٩١٠ م .

١١٢- صناعة الكتابة ، د . أسعد علي ، بالاشتراك مع د . فيكتور الكك ، دمشق : دار السؤال ، ط ٤ ، ١٩٨١ م .

١١٣- الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي ، دار إحياء الكتب ، ١٩٥٢ م .

١١٤- الصورة الأدبية ، د . مصطفى ناصيف ، ط٢ ، بيروت : ١٩٨١ م .

١١٥- الصورة الفنية في التراث النقدي ، د. جابر عصفور ، ط٢ ، بيروت: ١٩٨٣م .

١١٦- الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ، د . عبد الله التطاوي ، القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧ م .

(ض)

١١٧- ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، د . ت .

(ط)

١١٨-طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فـراج ، مصـر : دار المعارف ، د . ت .

١١٩-طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمـد شـاكر ، القاهرة : مطبعة المدني ، ١٩٧٤ م .

(ظ)

١٢٠-ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمـة والنشـر ، ومكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٥ م .

(ع)

١٢١-العباسيون الأوائل ، د . فاروق عمر ، بيـروت : دار الإرشـاد ، ط١ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

١٢٢-العبر في خبر من غبر ، الذهبي ، تحقيق : أبو هاجر زغلول ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٢٣-العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف ، القاهرة: دار المعارف ، ط١٢، د.ت.

١٢٤-العصر العباسي الأول ، د . عبد العزيز الدوري ، بغداد : طبع النفيض الأهلية ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٥ م .

١٢٥-العصر العباسي الثاني ، د . شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، د . ت .

١٢٦-العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، الطبعة الأزهرية ، ط١ ، ١٣٢١ هـ . وطبعه ٢ ، ١٣٧٢ - ١٩٥٢ م ، وطبعة بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٦٠ م .

١٢٧-العلاقات بين العلويين والعباسيين ، د . عبد العزيز اللميلم ، بيروت : مؤسسـة الرسالة ، ط ٣ ، ١٩٩٢ م .

١٢٨-العمدة ، ابن رشيق ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، د . ت .

١٢٩-عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، عني بتصحيحه : محمد حسن الطالقاني ، المطبعة الحيدرية ، العراق : النجف ، ط ٢ ، ١٩٦١ م .

١٣٠-عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، تحقيق : طه الحاجري ، ومحمد زغلول سلام ، القاهرة : ١٩٦٥ م .

١٣١-عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ط١ ، ١٩٢٥ — ١٩٢٨ — ١٩٣٠ م ، وطبعة بيروت .

١٣٢-العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، مجهول المؤلف ، " الجزء الثالث " بغداد : مكتبة المثنى ، د . ت .

(غ)

١٣٣-غرر الخصائص الواضحة ، أبو إسحاق الوطواط ، مصر : ١٣١٨ هـ .

(ف)

١٣٤-الفتنة السوداء ، أو ثورة الزنج ، محمد عثمان جمال ، القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ م .

١٣٥-فتوح البلدان ، البلاذري ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د . ت .

١٣٦-فجر الإسلام ، أحمد أمين ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٩٦٩ م .

١٣٧-الفخري في الآداب السلطانية ، ابن الطقطقي ، تحقيق : عبد القادر مايو ، حلب : دار القلم العربي ، ١٩٩٧ م .

١٣٨-الفرق بين الفرق ، البغدادي ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٢ م .

١٣٩-الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، بيروت : دار المعرفة ، ١٩٨٣ م .

١٤٠-فقه اللغة ، الثعالبي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت .

١٤١-فن الحياة ، فن الكتابة — د . أسعد علي ، دمشق : ١٩٧٧ م .

١٤٢-فن الشعر من قسم المنطق من كتاب الشفاء ، ابن سينا ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، القاهرة : ١٩٥٣ م .

١٤٣-الفن والحياة الاجتماعية ، شارل لالو ، ترجمة : عادل العوا ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٦ م .

١٤٤-في الأدب العباسي " الرؤية والفن " د . عز الدين إسماعيل ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ م .

١٤٥-في الأدب العباسي ، محمد مهدي البصير ، النجف الأشرف ، ط٣ ، ١٩٧٠ م .

١٤٦-في الأدب والنقد ، د . محمد مندور ، القاهرة : ١٩٧٧ م .

١٤٧-في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، كمال أبو ديب ، ط٢ ، بيروت : ١٩٨١ م .

١٤٨-في النقد الأدبي ، د . شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف ، ط٢ ، د . ت .

(ق)

١٤٩-القرآن الكريم .

١٥٠-القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥م .

١٥١-قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، ابن رشيق ، تحقيق : الشاذلي بويحيى ، تونس : ١٩٧٢ م .

١٥٢-قيم جديدة للأدب العربي القديم المعاصر ، د . عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ " معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٦ – ١٩٦٧ م .

(ك)

١٥٣-الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، راجعه : نخبة من العلماء ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ٦ ، د . ت .

١٥٤-الكامل في اللغة والأدب ، المبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت : المكتبة العصرية ، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

١٥٥- كتاب العين ، الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، د . ت .

١٥٦- كتاب الموسيقى الكبير ، الفارابي ، تحقيق : غطاس عبد الملك ، القاهرة : ١٩٦٧ م .

١٥٧- كنز الدور وجامع الغرر ، ابن آبيك الدواداري ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، القاهرة : ١٩٨١ م .

١٥٨- كولردج " سيرة أدبية " ، د . محمد مصطفى بدوي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨ م .

(ل)

١٥٩- لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت : دار صادر ، ١٩٩٤ م .

١٦٠- لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ، بيروت : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ٢ ، ١٩٧٠ م .

(م)

١٦١- المثل السائر ، ابن الأثير ، تحقيق : د . أحمد الحوفي ، د . بدوي طبانة ، ط٢ الرياض : دار الرفاعي ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٦٢- المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ، إبراهيم حركات ، بيروت : أفريقيا الشرق ، ١٩٩٨ م .

١٦٣- مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة ، د . أسعد علي ، دمشق : دار السؤال ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .

١٦٤- المجموع أو الحكمة العروضية من كتاب " معاني الشعر " ابن سينا ، تحقيق : محمد سليم سالم ، القاهرة : ١٩٦٩ م .

١٦٥- المخصص ، ابن سيده ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، د . ت .

١٦٦-مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت : دار الفكر ، ط ٥ ، ١٩٧٣ م .

١٦٧-المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ، نشر : محمد سعيد الرافعي ، مصر : المكتبة الأزهرية ، ١٣٢٥ هـ .

١٦٨-المعارف ، ابن قتيبة ، تحقيق : د . ثروت عكاشة ، مصر : دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٦٩ م .

١٦٩-المعجم الأدبي، جبور عبد النور، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

١٧٠-معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، بيروت : دار صادر ، ط٢ ، ١٩٩٥ م .

١٧١-معجم الشعراء ، المرزباني ، صححه وعلق عليه : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو ، بيروت : دار الجيل ، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

١٧٢-معجم علم الأصوات ، محمد علي الخولي ، الرياض : مطابع الفرزدق ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ .

١٧٣-معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بيروت : دار الجيل ، د . ت .

١٧٤-المعجم الوسيط ، إخراج : إبراهيم مصطفى وآخرين ، استانبول : المكتبة الإسلامية ، د . ت .

١٧٥-المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، الجواليقي ، تحقيق : أحمد شاكر ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٦١ هـ .

١٧٦-معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين " رجال الكشي " تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، كربلاء : مؤسسة الأعلمي ، د . ت .

١٧٧-المعرفة والتاريخ ، البسوي ، تحقيق : د . أكرم العمري ، بغداد : مطبعة الإرشاد ، ١٩٧٤ م .

١٧٨-المعنى الشعري في التراث النقدي، حسن طبل ، القاهرة: مكتبة الزهراء ، د.ت .

١٧٩- المعيار في أوزان الأشعار ، والكافي في علم القوافي ، أبو بكر الشنتريني الأندلسي ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، دمشق : ١٩٧٩ م .مكتبة دار الملاح.

١٨٠- مقاتل الطالبين الأصفهاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، بيروت : دار المعرفة .

١٨١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، الأشعري ، تحقيق ، محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، ١٩٥٠ م .

١٨٢- مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، د . نعيم اليافي ، دمشق : وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨٢ م .

١٨٣- الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، بيروت : دار المعرفة ، ط٢ ، ١٩٧٥ م .

١٨٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ابن الجوزي ، تحقيق محمد ومصطفى عطا ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٢ م .

١٨٥- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجه ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط٢ ، ١٩٨١ م .

١٨٦- الموازنة ، الآمدي ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م .

١٨٧- موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، بيروت : دار القلم ، ط٤ ، د . ت .

١٨٨- ميزان الذهب ، أحمد الهاشمي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

(ن)

١٨٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي الأتابكي ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م .

١٩٠- النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، حسين مروة ، بيروت : دار الفارابي ، ط٢ ، ١٩٧٩ م .

١٩١- نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام، د. فاروق فوزي، عمان (الأردن) : الأهلية للتوزيع والنشر ، ط١ ، ١٩٩٩م .

١٩٢- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، أبو علي التنوخي : تحقيق : عبود الشالجي ، بيروت : ١٩٧١ م .

١٩٣- نظرية الانفعال ، جان بول سارتر ، ترجمة : هاشم الحسيني ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٤ م .

١٩٤- النغم الشعري عند العرب، محمد عبد المنعم خفاجي، الرياض:دار المريخ ، د.ت.

١٩٥- النقد الأدبي ، جان لوي كابانس ، ترجمة : د . فهد عكام ، دمشق : ١٩٨٢م .

١٩٦- النقد الأدبي ، ويمزات ، بروكس ، ترجمة : د . حسام الخطيب ، محيي الدين صبحي ، دمشق : ١٩٧٧ م .

١٩٧- نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ، د . قاسم مومني ، القاهرة : ١٩٨٢ م .

١٩٨- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : س . بونيناكر ، مطبعة بريل : ١٩٥٦م .

١٩٩- النقد والحداثة ، د . عبد السلام المسدي ، بيروت : ١٩٨٣ م .

٢٠٠- نهاية الأرب ، النويري ، القاهرة : دار إحياء الكتب المصرية ، ١٩٢٣ م .

(و)

٢٠١-وظيفة الفن الاجتماعية . غروموف ، م . كاجان ، ترجمة : عدنان مدانات ، بيروت : دار ابن خلدون ، د . ت .

٢٠٢-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٤٩ م .

٢٠٣- الولاة والقضاة ، الكندي ، بيروت : طبع الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م .

(ي)

٢٠٤-يتيمة الدهر ، الثعالبي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣ م .

" **المقالات** "

١- الأدب والمجتمع ، د . عبد العزيز المقالح ، مجلة " المستقبل العربي " عـــدد ٢ عـــام ١٩٨٣ م .

٢- التجارب الإنسانية الكبرى ، د . عبد الكريم الأشتر ، مجلة " المعرفة " الدمشـــقية ، العدد الثالث ، سنة ١٩٦٣ م .

٣- التناص ، د . صبري حافظ ، مجلة " ألف " للبلاغة المقارنة ، القاهرة ، عـــدد ٤ ، عام ١٩٨٣ م .

٤- نحو معالجة جديدة للصورة الشعرية ، د . فهد عكام ، مجلة " التـــراث العـــربي " الأعداد : نيسان وتموز ١٩٨٣ م .